الإمبريالية والناتو العربي

و"لميس"

التجاني صلاح عبد الله المبارك

الطبعة التمهيدية

1444 هـ _2022

الإمبريالية والناتو العربي

و"لميس"

التجاني صلاح عبد الله المبارك

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ولا يسمح بطبع هذا الكتاب طبعة ورقية أو الكترونية أو ترجمته لأي جهة نشر إلا بموافقة المؤلف، ويسمح بالاقتباس مع الإشارة إلى المصدر.

من أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا، وعدل السيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسرها، فليقتد بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليستعمل أخلاقه وسيره؛ ما أمكنه، أعاننا الله على الإتساء به؛ بمنه، آمين.

الإمام "ابن حزم"

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فهذه مجموعة مقالات كنت قد كتبتها في أوقات متفرقة من العام 2016 الى عامنا هذا، رأيت أن اجمعها في كتاب بدلا من أن تذروها الرياح ويطويها النسيان..كتبتها بوجداني وقلبي وعقلي، وعلى أحوال مختلفة فتارة وأنا سائر في الطرقات تهبط في ذهني الأفكار والعبارات، وتارة أجدها من كتب متعددة هي اشد على حنتي من ضرائر كثيرة، فقد قيل لامرأة الزبير بن بكار:هنئيا لك إذ ليست لك ضرة فقالت: والله لهذه الكتب اضر علي من عدة ضرائر،واني لأجد بعد ذلك متعة كبيرة وسعادة غامرة، رغم اني أكون وقتها مشدودا منتبها، فان وجدت لديك رضا وقبولا وصواب فمن الله فهو الموفق والمعين، وما كان فيها من خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله من ذلك بريئان. والله المستعان وعليه التكلان.

التجاني صلاح عبد الله المبارك

الخرطوم شتاء 2022 م

الإمبريالية والناتو العربي و"لميس"

تردد في الأيام الفارطة الحديث عن إنشاء تحالف عسكري عربي إسرائيلي تحت رعاية الولايات المتحدة، وان هذا التحالف (قيد التأسيس) مكون من دول مجلس التعاون الخليجي، ومصر والأردن، على أن تقدم الولايات المتحدة الدعم الفني والاستشاري للتحالف.

وتردد أيضا بحسب ما ذكرت صحيفة "وول ستريت جورنال" الأمريكية أن اجتماعا على مستوى عال من السرية، عقد في شرم الشيخ، ضم رؤساء أركان دولة الاحتلال والمملكة السعودية وقطر، ومسؤولين عسكريين من مصر والأمارات والبحرين، تم فيه وضع تصور لنظام دفاع جوي إقليمي محتمل.

تكوين الأحلاف والاتحادات العربية فكرة لا يختلف عليها اثنان، بل هو هدف سامي يتمنى أي فرد تحقيقه ووجوده، لمجابهة التحديات التي تحدق بالأمة من كل صوب، وتستهدف عقيدتها وارثها.. إلا أن يكون من أعضاء الحلف أعداء الأمة نفسها، فهذا ما لا يقبله عقل أو منطق.

الغرض من إنشاء التحالف العربي أو الناتو العربي المزمع، هو مواجهة ومحاصرة المد الإيراني المتنامي والكاسح في المنطقة. بدأت فكرة إنشاء تحالف الناتو العربي في الظهور عام 2014 بعد أحداث الربيع العربي، بغرض صد النفوذ الإيراني في المنطقة ومحاربة التطرف أو الإسلام السياسي، كما تسمي اغلب الأنظمة العربية السلطوية الاستبدادية (إن لم يكن كلها)، المناهضين لها، وكان "باراك اوباما" الرئيس الأمريكية الأسبق يعول كثيرا على هذه الفكرة، التي من شأنها (إذا ظهرت للوجود) أن تمكن الولايات المتحدة من حماية مصالحها، وتحقق لها استقرارا في لمنطقة من دون أن تتكلف الولايات المتحدة عناء وتدخلا مباشرا.

مع دخول الحرب الأوكرانية الروسية شهرها الخامس، والتي اختلت فيها التوقعات المفترضة أمام صلابة ودهاء الدب الروسي، أعاد " جو بايدن" فكرة الناتو العربي إلى العلن مرة أخرى، بعد أن فشل في تكوينها "باراك اوباما "، والتاجر الماكر "ترامب".

ربما تفرض المعطيات الحالية على" بايدن" ذلك، فمن ناحية تسببت الحرب الروسية الأوكرانية في الحاق أضرار اقتصادية

كبيرة في العالم، خاصة بالدول المستوردة للحبوب ومنها الدول العربية بما يكون مردوده ازدياد حالات الاحتقان وتوابعه السلبية على الأنظمة السلطوية والدكتاتورية والإمبريالية، ومن ناحية أخرى ربما يحقق الناتو العربي بعضوية إسرائيل فيه، ذراعا أخرى لمنازلة إيران وتوجيه ضربات استراتيجية لها بكل غشم، وفي الوقت ذاته ضمان استقرار إسرائيل من أي هجمات عربية قد تتعرض لها من دول الطوق العربي أو من خارجه.

ورغم خطورة المد الإيراني الشيعي المتنامي في العالم الإسلامي، فإن الدخول في مواجهات عسكرية مع إيران الشيعية، سيكون الرابح الوحيد في تلك المواجهات هي دولة الاحتلال إسرائيل، التي ستجد في ذلك ما يحقق الحفاظ على أمنها القومي، في ظل التهديدات التي تتوعدها إيران، وآياتها، وبما تكتنزه إيران من ترسانة صاروخية، ومقدرات في تطوير نوعية الأسلحة.

صحيح أن إيران الشيعية تمثل خطرا كبيرا داهما بما تحمله من تبديل في أصول العقيدة الإسلامية، إلا أن إسرائيل أيضا لا تقل خطورة، وتمثل أيضا خطرا كبيرا داهما، باحتلالها وتدنيسها المقدسات

الإسلامية، ولا يمكن بأي حال الاستعانة بالخصم والعدو، وهو دولة الاحتلال إسرائيل، لمنازلة الخصم الآخر ومحاصرته وصد نفوذه.

"ألكسندر جوفي" وهو أكاديمي مؤيد لإسرائيل، يقول في ورقة سياسية نشرتها مجلة شؤون الأمن الدولي وهي مجلة تصدر عن المعهد اليهودي لسياسة الأمن القومي: إن الإمبراطورية الأمريكية لا يوجد لها من الناحية العملية أي منافسين، وهدف الإمبراطورية الأمريكية في القرن الحادي والعشرين ليس هو السيطرة الإقليمية أو استغلال الثروات الطبيعية، بل هو القيادة السياسية والاقتصادية التي تعزز وتحمي المصالح الأمريكية.

ربما تكون هذه الكلمات هي وصفا حقيقيا لحالة الإمبريالية التي تمارسها الولايات المتحدة، والتي تظهر جليا في فكرة الناتو العربي الشرق أوسطي، من المفيد هنا أن نشير إلى رأى "هانس مورجانثو" الذي يرى أن الإمبريالية في حقيقتها الأساسية هي محاولة لهدم الوضع القائم، وتبديل تراكيب القوة القائمة في اطار معادلات جديدة، تكون اقدر على الاستجابة لهذه التطلعات الإمبريالية وإرضائها، عليه فان هذا التحالف المسخ اذا تم له

التكون (لا قدر الله) فانه سيمثل بابا من أبواب الإمبريالية للتدخل السياسي والعسكري والاقتصادي في المنطقة تحت رعاية أمريكية ويهودية غير منظورة خلف الكواليس.

إن النزعة الإمبراطورية الليبرالية التي تستحوذ على كيان الدول الإمبريالية، تتستر في الغالب الأعم تحت مصطلحات فضفاضة تتحمل أكثر من معنى مثل مصطلح" التدخل الإنساني "،"القدر العظيم "،"الأمانة المقدسة"، وبهذا المعنى المتسع والعريض وغيره من المعاني المشابهة مثل مصطلح" الناتو العربي" فإن الدول الإمبريالية تتمكن من اجتياح الدول الأخرى وتدنيس سيادتها ومقدساتها .

بعد هذا أتصور انه لا يمنع أن نقول" لعترتها عادت لميس" !

الفرضية المحتملة في الأزمة الأوكرانية

قبل ما يقرب عقدين من الزمان تحديدا في عام 2007 أمر الرئيس "هو جين تاو" الحزب الشيوعي الصيني بزيادة القوة الناعمة للدولة، ورغم أن الصين قوة ضاربة وتهدد جوارها الجغرافي بالقوة الاقتصادية والعسكرية الضخمة والمهولة، إلا أن مكونات القوة الصينية كانت بحاجة إلى قوة أكبر وهي القوة الناعمة!

القوة الناعمة تعرف بأنها القوة الفارضة علي الدولة (ب) بالإذعان والانقياد للدولة (أ)، من غير أن تمارس الدولة (أ) عليها أي ضغوطات عسكرية أو قوة صلبة، وهو المصطلح الذي أتي به "جوزيف س ناي" عام 1990 في مقال يحمل اسم (القوة الناعمة). ودمج القوتين الناعمة والصلبة يكون القوة الذكية أو التحويلية ومن ثم مقدرة الدولة علي التعامل بهذه القوة المزدوجة مع كل الفواعل والوحدات الدولية.

"نيل فيرجسون" يعرف القوة الناعمة بأنها القدرة على أحداث الأثر في السياسة العالمية عن طريق قوي غير تقليدية،

ويعتبر بذلك المعروض الثقافي والتجاري قوى غير تقليدية، إلا أنها تظل قوي محدودة بحسب قبولها والإعجاب بها، أو رفضها ومقاومتها من الطرف الآخر.

في واقع الأزمة الراهنة أو الحرب الضروس بين روسيا وأوكرانيا، فإن القوة الفارضة على روسيا بالتورط والانزلاق إلى المستنقع الأوكراني، ربما يكون تدبيرا عمدت اليه الولايات المتحدة والغرب في طريقة مختلفة تماما لما هو مفترض إذا أسقطنا أزمة الصواريخ الكوبية في عام 1962 فقد اتفق وقتها الاتحاد السوفيتي وكوبا على أن تكون الصواريخ السوفيتية جاثمة على الأراضي الكوبية، وهي الأزمة التي انتهت بتغليب الحكمة من الطرفين وسحب الصواريخ.

الولايات المتحدة تمتلك وسائل القوة الصلبة والقوة الناعمة والقوة التحويلية، وهي تستخدم كل تلك الأنواع مجتمعة أو متفرقة في علاقاتها مع المجتمع الدولي، فقد استخدمت القوة الصلبة بل والمفرطة في اجتياح الدول، وتستخدم القوة الذكية مع بعض الدول بالتهديد والابتزاز، بأن تدفع الدول أموالا طائلة نظير حمايتها ورد العدوان عنها، والأمثلة

واضحة وأكثر من أن تحصى في عالمنا المعاصر.

وفي استراتيجياتها ومناهجها اعتمدت الولايات الأمريكية وربما العديد من الفواعل علي زيادة حجم القوة الناعمة، وتفعيل المكون الثقافي والفكري والأيدلوجي في خطوات ثابتة لتدعيم القوة الصلبة، ليس إرساء لقيم الحق والعدالة ونشر السلام والأمن الدوليين كما مفترض ومتوقع، ولكن لزيادة بسطتها وسيادتها وتحقيق أهدافها ومصالحها الآنية وبعيدة المدى.

في غزو واجتياح العراق كمثال من قبل الولايات المتحدة وقوات التحالف، كان الفكر الاستعماري لا يدعو إلي استعمال القوة الناعمة باستخدام الموروث الثقافي والتجاري وحسب، ولكنه كان ينتقد تحكيم "بريمر" لفترة سنة واحدة هي في نظره قصيرة بكل المقاييس، وكان الأحرى والاوجب أن يستمر حاكما لسنوات طويلة يشبع فيها الأمريكيون العراقيين بقصر المدة التي ينتوون البقاء فيها ، بل انه من جهة أخرى وفي نفس الخط الاستعماري كان البعض ينتقد دراسة الطلاب للطب والهندسة، ويرى بدلا منهما (على حوجتهما) دراسة سياسات

الاستعمار، وأهمية البقاء في المستعمرات لفترات طويلة!

الفكر الاستعماري الإمبراطوري يعتبر أن ما تحتاجه الولايات المتحدة هو التصرف كإمبراطورية، والتصرف كشرطي قائد للمجتمع بما تمتلكه الإمبراطورية من قوة لمنع أي قوى ظلامية من تحدي هذا النظام العالمي الصالح والحميد، هذا هو جوهر الفكر الاستعماري الذي يعتقد بإن الولايات المتحدة بحاجة شديدة إليه في القرن الحادي والعشرين اكثر من أي وقت مضى، لأن المهددات الأمنية على اختلاف أشكالها وأضرابها باتت أسهل وصولا من ذي قبل، فالأوبئة يمكن أن تصل في وقت وجيز لتفتك بالآلاف فتكا شنيعا، التقنية العسكرية يمكن أن تساعد في الوصول للمدن الأمريكية ودكها بصورة مفزعة في وقت قصير، ولن تهزم هذه الإمبراطورية الأمريكية من أي قوي أخرى أو إمبراطوريات أخرى مهما بلغت، إنما ما يهزمها هو فراغ القوة من الداخل، أو غياب إرادة القوة الذاتية للإمبراطورية الأمريكية.

"ريتشارد هاس" مدير تخطيط السياسة الخارجية في إدارة "بوش" يقول: إن الأمريكيين بحاجة لإعادة إدراك دورهم وتغييره من منظور الدولة_الامة

التقليدية إلى القوة الإمبراطورية، والصحفي "سيباستيان مالابي" يقول: أن الإمبراطورية الأمريكية الجديدة هي أفضل علاج لحالة الفوضى والتشوش التي سببتها الدول الفاشلة في مختلف أنحاء العالم، أما "جيمس كيرث" يقول: هنالك اليوم إمبراطورية واحدة :الإمبراطورية العالمية للولايات المتحدة، الجنود الأمريكيون هم الورثة الحقيقيون لمسئولي الإدارة المدنية الأسطوريين في الإمبراطورية البريطانية، وليسوا مجرد ضباط عسكريين متفانين ومخلصين.

مع هذا يمكن القول أن الإمبريالية هي نوع من أنواع التسلط السياسي أو الاقتصادي، أو الثقافي أو الحضاري الذي تمارسه الدولة على غيرها من الدول الضعيفة في الغالب الأعم، وتمارس في ذلك التسلط كل أنواع القوة الثلاثة: الصلبة والناعمة والذكية، لأن القوة هي الأساس الذي يقوم عليه الاستعمار، من اجل تحصيل المصالح المتمثلة في الاستغلال الاقتصادي لموارد الدولة الطبيعية والبشرية الخاضعة تحت سيطرتها

تحفظ البعض مثل "هانس مورجانثو" على التلازم الذي يكون بين الاستعمار والقوة، فهو يعتقد انه لا يمكن النظر إلى أي سياسة

خارجية ترمي إلى زيادة قوة الدولة على أنها أبدا وبالضرورة التعبير عن نزعات إمبريالية، لأن الإمبريالية في حقيقتها الأساسية هي محاولة لهدم الوضع القائم، وتبديل تراكيب القوة القائمة في اطار معادلات جديدة، تكون اقدر على الاستجابة لهذه التطلعات الإمبريالية وإرضائها، أما السياسات التي تبحث عن أي شكل من أشكال المواءمة بين قوة الدولة ومصالحها دون أن تمس على أي نحو جذري جوهر علاقات القوة القائمة، فإنها تعتبر سياسات تحدث في نطاق الوضع القائم، وعليه لا يمكن اعتبارها سياسة إمبريالية.

وفي الحق أن قولنا أن انجرار روسيا إلى المستنقع الأوكراني ربما يكون تدبيرا عمدت اليه الولايات المتحدة والغرب، إنما ينقصه أن نضيف إليه أمرا أخر، فاذا كان ما جرى هو من تدبير الولايات المتحدة والغرب واذا كانت المعادلة في حقيقتها هي استدراج من الولايات المتحدة لإيقاع روسيا في فخ الحرب، فإنه ربما يكون على روسيا وحليفتها الصين أن يعملا على إنفاذ سيناريو الحرب، وهذا ما حدث بالفعل وهو ما يعني في واقع الأمر مجابهة الالة العسكرية الأمريكية وتوابعها، إما حربا كاملة لا يعلم أحدا نهايتها أو مآلاتها، وأما أن يعيد الجيش الروسي النظر في

خطته ويتحول لخوض حرب قصيرة بشرط أن تحقق روسيا فيها مكاسب كبيرة.

الفرضية الثانية هي أن تعمد روسيا والصين إلى نفس السلاح والقوة التي يحارب بها الطرف الأخر.

الاتفاق النووي والمصلحة الإسرائيلية

في عام 1981 أقلعت مقاتلة إسرائيلية سرا من قاعدة عسكرية في إسرائيل، وكانت تختبئ بالطيران أعلى من طائرة كبيرة عملاقة بغرض حمايتها من أجهزة الترصد والرادار، لتدمير المفاعل النووي العراقي (مفاعل تموز)، وعندما عادت المقاتلة إلى قواعدها بعد تنفيذ المهمة وتدمير المفاعل، قال "مناحيم بيغن": تبارك الله.

وفي عام 2007 دعا رئيس الوزراء الإسرائيلي" إيهود أولمرت" الرئيس الأمريكي "جورج دبليو بوش" لمهاجمة الكبر، وهو مفاعل نووي شمال شرق سوريا مشتبه به لأغراض عسكرية. يفيد "بوش" في مذكراته أنه، نقل إجابته إلى" أولمرت": "قلت له إنني قررت الخيار الدبلوماسي المدعوم بالتهديد باستخدام القوة". كان رد" أولمرت" مباشرا: "يجب أن أكون صادقا ومخلصا معك. استراتيجيتك مزعجة للغاية بالنسبة لي ". وبعد شهرين، قصفت الطائرات الإسرائيلية المفاعل ودمرته.

ولا يغيب عن الذاكرة تدمير مصنع الشفاء وتدمير مصنع اليرموك في السودان. الحقيقة لو ذهبنا نستقصي العمليات العسكرية الاستباقية الإسرائيلية، سواء في الوحدات والمنشآت العسكرية أو الأهداف الاستراتيجية الأخرى، مثل اغتيال وتصفية العلماء والمهندسين والقيادات السياسية والميدانية، وكل ما يمكن أن يمثل تهديدا وجوديا لإسرائيل فلن أتمكن من الإمساك تماما بمقالتي. ولن نصل إلى نهاية.

أما بداية القصة، فقد قدمت وكالة الطاقة الذرية (IAEA) في عام 2003 تقريرا مفاده أن إيران لم تعلن مساهماتها النووية الحساسة وأنشطتها في التخصيب والمعالجة، وطالبت الوكالة بعدها بأن تعلق إيران أنشطة تخصيب اليورانيوم.

وفي عام 2006 صرح "بوش": انه يجب أن تكون هناك عواقب لتحدي إيران لمطالب توقف تخصيب اليورانيوم، أن العالم يواجه الآن تهديدا خطيرا من النظام المتطرف في إيران، وحزب الله بأسلحته الإيرانية وتمويله، ونصحه".

وفي عام 2008 قال "باراك اوباما" أن الولايات المتحدة تحتاج إلى "تكثيف الجهود الدبلوماسية الصعبة ولكن مباشرة مع إيران". وقال في رأيه" أن الولايات

المتحدة تحتاج أن توضح للإيرانيين أن مجال التنمية المزعوم للأسلحة النووية وتمويل المنظمات "مثل حماس وحزب الله"، والتهديدات ضد إسرائيل هي "غير مقبولة".

وبذلك اعتبرت الإدارات الأمريكية المتعاقبة إيران دولة مارقة، ومصدرا من مصادر الشر وزعزعة الأمن والاستقرار في المنطقة، وراعية للإرهاب وبهذا الاعتبار فإنها تشكل خطرا على الأمن والسلم الدوليين، اللذين لا تقبل التفريط فيهما الولايات المتحدة والأمم المتحدة!

من الواضح تماما أن توقيع كل من روسيا والولايات المتحدة والصين وبريطانيا وفرنسا وألمانيا، على اتفاق خطة العمل المشتركة الشاملة (JCPOA) الاتفاقية النووية، في عام 2015 ، والتي التزمت إيران بعد التوقيع عليها بتجميد أنشطتها النووية، وعدم حيازتها مواد انشطارية لمدة 15 عاما مقابل تخفيف العقوبات الاقتصادية المفروضة عليها، لم يكن ذلك مقبولا لإسرائيل، ومن الواضح أيضا أنها انبسطت أساريرها في 8مايو (أيار) العام 2018 عندما أعلن" ترامب" الانسحاب الأحادي من الاتفاقية، واصفا إياها بأنها من أسوأ الاتفاقات في تاريخ

الولايات المتحدة، وأنها تمنح إيران أكثر بكثير من الدول الموقعة عليها.

"مايك بومبيو" وزير الخارجية الأسبق في ذلك الوقت قدم في خطابه أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب الأمريكي، استراتيجية جديدة تتضمن 12 مطلبا ينبغي على إيران تنفيذها، وعقب بعدها قائلا: أن تنفيذ ذلك ليس بالأمر الصعب، أما الرئيس "حسن روحاني" فقد توعد بإلحاق الهزيمة النكراء بالولايات المتحدة إذا التزم الإيرانيون بواجباتهم تماما.

وفي الوقت الذي كان فيه "ترامب" يرفض أي تراجع من انسحابه أو أي اتفاق تكميلي منفصل، مثل المقترح الذي تقدمت به الدول الأوربية (فرنسا على وجه التحديد)، والذي طلبت فيه تمكين المراقبين الدوليين بالتفتيش على الإنتاج الصاروخي وعدم الاكتفاء بالتفتيش النووي؛ لأن ذلك سيضع حدا للصواريخ الباليستية ودورها التخريبي في اليمن وسوريا، فإن إيران كانت تؤكد أن لها عدة خيارات، وأن جميع تلك الخيارات جاهزة، وأن الانسحاب سيأتي بردود تحير الولايات المتحدة.

ورغم الضجيج الإسرائيلي كما تتهم إيران إسرائيل والمتمثل في حملات التشكيك في

النوايا الإيرانية بالعودة إلى المفاوضات، والزعم أن إيران تسعى لكسب الوقت، وكسب المليارات لتمويل مشروعها النووي سرا، فإن المفاوضات الحالية بين الولايات المتحدة وإيران تشير إلى احتمالية عودة الولايات المتحدة إلى الاتفاقية النووية بعد 18شهرا من المفاوضات غير المباشرة، نتيجة تغير في الموقف الإيراني الذي كانت محصلته تنازلات في مسائل جوهرية بحسب تصريحات الطرف الأمريكي.

وحتى تتضح الصورة تماما لفهم حقيقة الطرف الإسرائيلي وربما تصرفاته المتوقعة، فإنه ينبغي أن نقف على دوافع الطرف الأمريكي ورؤيته في التوقيع على الاتفاقية أم البقاء خارجها.

ربما تكون الدوافع والرؤية الأمريكية الراهنة لدى "بايدن" تختلف تماما عن ما كانت عليه في عهد "ترامب" في ظل معطيات الحرب الروسية الأوكرانية الراهنة، وملامح تشكل الاتحاد الروسي الصيني وتمايز الصفوف. عليه فإن التوقيع على الاتفاقية النووية مع إيران ربما من شأنه أن يعطي صورة أمريكا المحبة للسلام والخير من ناحية، ومن ناحية ثانية اتقاء المصائب

التي ربما تأتي من إيران أو محور الشر كما ينعتها أسلافه.

بعد هذا فإن إسرائيل تعتبر أن التوقيع على النووي من جانب الولايات المتحدة ربما يضعها في مهب الريح وتحت مرمى النيران. أكثر من ذلك فإن أي سلاح ذكي يستخدمه محور المقاومة فسيكون إيرانيا خالصا، عليه فإن أوجب مهمات اللوبي الصهيوني في أمريكا هي عرقلة الاتفاقية، ومنع الولايات المتحدة من التوقيع عليها.

إن العقلية الإسرائيلية التي تمارس القتل والتعذيب والعنصرية، والسجن وتجريف الأراضي وإقامة المستوطنات، وقتل الأطفال والشيوخ والنساء، واغتيال القيادات السياسية والعسكرية والعلماء النوويين، على مدى تاريخها الأسود؛ لا يتوقع منها غير رفض الاتفاقية النووية ومنع الولايات المتحدة من التوقيع عليها، وكأنهم يقولون نكون أو لا نكون.

ربما تكون أصدق دلالة على ذلك هو ما ذكره الموظف الإسرائيلي الكبير، واصفا الأجواء في مكتب "نتانياهو" بعد فوز الرئيس الأسبق "روحاني" في الانتخابات الرئاسية، وبعد نقل مسؤولون كبار في إدارة "اوباما" سلسلة رسائل تهدئة لإسرائيل خلال يونيو (حزيران) 2013 بشأن المحادثات

المتوقع مواصلتها مع النظام الإيراني الجديد بأنها كانت تقترب في تلك اللحظات من الهستيريا.

ورغم أن الطرف الرئيس في الاتفاقية النووية هو الولايات المتحدة التي تتم المفاوضات بينها وإيران عبر الوسيط الأوروبي، إلا أن حضور إسرائيل في هذه المفاوضات يبدو كما لو أنها الطرف الأصيل والرئيس ومن دلالات ذلك أيضا محاولات "نتانياهو" منع الولايات المتحدة التوقيع على الاتفاقية، ومهاجمة "اوباما" من داخل الكونجرس الأمريكي في مارس (أذار) 2013.

وزير الدفاع الإسرائيلي أكد، على أن "العمل العسكري" سيبقى مطروحا على الطاولة في حالة فشل الجهود الدبلوماسية الأمريكية لإعادة برنامج إيران النووي "إلى الصندوق مرة أخرى". وفي خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، قال" بينيت": إن "برنامج إيران النووي قد وصل إلى لحظة فاصلة. وكذلك تسامحنا. الكلمات لا تمنع أجهزة الطرد المركزي من الدوران".

خلاصة القول، ومما سبق فإنه ربما تتفتق الذهنية الأمريكية فيما أتصور، بعد إرساء الاتفاق النووي وتوقيع الاتفاقية، الشروع في تكوين الناتو العربي الذي من بين

أعضائه إسرائيل وربما زعيمته وليس من المستبعد بالمرة في ظل نظام عالمي يتسم بالفوضى واكتساب المصالح فقط، كيفما كانت وأينما كانت، أن نسمع عن حدوث عملية عسكرية مفزعة واحدة أو اثنين، تدفع اليها إيران دفعا في العمق السعودي والعمق الإماراتي في وقت واحد، مما يعجل بقيام وإنشاء الناتو العربي الإسرائيلي الذي سيمكن إسرائيل والولايات المتحدة سويا على إلحاق الأذى ب إيران بالوكالة والإنابة. يا للهول

ألف يوم من العزلة :عن الرئيس مرسى أتحدث

لا حاجة بنا إلى القول بأن من أعظم المكاسب التي تحققت لإسرائيل، والتي تجثم على جسد الأمة الإسلامية والعربية ما يزيد عن السبعين عاما، هو اشتعال المنطقة العربية بالحروب المذهبية والانفصالية والتوسعية، والتي قد تكون نتاجا من توابع ثورات الربيع العربي، مثلما هو في اليمن وليبيا وسوريا .. ولا حاجة بنا كذلك إلى القول بان اليد الإسرائيلية الخبيثة هي وراء ذلك كله، تغذيه بالمال والسلاح، لكن من المكاسب المتحققة لها أيضا هو غياب أو بالأحرى تغييب الإسلاميين من الوصول إلى سدة الحكم في مصر وغيرها، وهو ما يمثل لها تهديدا حقيقيا (إذا تمكنوا من ذلك) من الممكن أن ينسف وجودها ويمحو خارطتها من الأذهان .

وبالرجوع إلى الماضي القريب، فقد كان صناع القرار في إسرائيل الذين يحسبون كل صيحة عليهم ، يعملون في التخطيط لمنع تمكن الإسلاميين من ذلك، بالرغم من حالة الفوبيا والصدمة والإحباط التي باتت تلازمهم، إلى الحد الذي وصف فيه الكاتب

الإسرائيلي "إيتان هابر" ذلك بقوله: أمام المخاطر الكيانية الملموسة أمام مسائل الحياة والموت أمام الحاجة الماسة إلى مجموعة اليهود العباقرة والحكماء وأصحاب التجربة الكبيرة والأكثر نجاحا في العالم فإننا ننتخب من يوزعون النقانق والكاتشوب والخردل للناخبين.. إننا نستحق هذه النقانق.

بعد سويعات من إعلان فوز الرئيس "مرسى" في الانتخابات وحتى قبل توليه مقاليد الحكم، عمدت هيئة أركان الجيش الإسرائيلي، والتي دخل فيها الهلع والخوف كل مدخل، إلى مطالبة وزارة المالية ب 4.5 مليار دولار لموازنة الأمن، وذلك لتامين القيادة الجنوبية وزيادة قوتها وفعاليتها، ولأن قيادة الجيش الإسرائيلي الجنوبية سيكون على عاتقها مهمة اكبر من غيرها في تلك الحدود، والتي مع صعود الإخوان المسلمين إلى الحكم من الممكن أن تكون مصدر قلق يهدد وجود الدولة العبرية، وتصبح منثم اتفاقية كامب ديفيد التي وقعتها مصر وإسرائيل عام 1979 والتي كانت تمثل درعا واقيا لها من أي عدوان عربي محتمل يهدد الأمن القومي الإسرائيلي ، تصبح مثل أي هدنة في تاريخ الصراعات والحروب بين الدول.

ومن المؤكد أن مصر في عهد الرئيس "مرسى" (والذي مضت عليه ألف يوم في سجنه الآن) لن تقبل بأي التزام استراتيجي أو اتفاق أمنى ومخابراتي مع دولة العدو الإسرائيلي، وان مصر مرسى سوف تقوم بدورها كاملا تجاه أمتها العربية والإسلامية، وأوضح مثال في ذلك هو دور مصر الأخير في إنهاء العدوان الإسرائيلي على غزة، والذي قادت فيه مصر وقتذاك حراكا سياسيا ودبلوماسيا انتهى بوقف العدوان على غزة، وهو ما عبر عنه الرئيس "مرسي" موضحا أن مصر اليوم ليست مصر الأمس ومهددا إسرائيل وصناع قرارها، تهديدا لا يقبل التأويل بقوله :

لن نترك غزة وحدها، إن مصر اليوم مختلفة تماما عن مصر الأمس، ونقول للمعتدي إن هذه الدماء ستكون لعنة عليكم وستكون محركا لكل شعوب المنطقة ضدكم، أوقفوا هذه المهزلة فورا وإلا فغضبتنا لن تستطيعوا أبدا أن تقفوا أمامها، غضبة شعب وقيادة .

المقال الأخير..عن الحرية والرأي الأخر وعودة الوعي

لقد كنت ابحث على الانترنت مؤخرا للنظر في مؤشر حرية الصحافة لعام 2018 الذي نشرته مؤسسة "فريدوم هاوس" وتوصلت لإدراك خطير، هنالك دولة واحد فقط في العالم العربي نالت تصنيف "حرة"، تلك الدولة هي تونس، تليها الأردن والمغرب والكويت في المرتبة الثانية بتصنيف "حرة جزئيا"، تصنف بقية الدول في العالم العربي علي أنها "غير حرة".

ونتيجة لذلك فان العرب الذين يعيشون داخل هذه البلدان إما غير مطلعين أو مضللين، فهم لا يستطيعون معالجة المسائل التي تؤثر على المنطقة وحياتهم اليومية على نحو كاف، ناهيك عن مناقشتها علنا، يهيمن سرد تديره الدولة علي النفسية العامة وبينما لا يصدقه الكثيرون، إلا أن أغلبية كبيرة من السكان تقع ضحية لهذه الرواية الزائفة، للأسف من غير المحتمل أن يتغير هذا الوضع.

لقد كان العالم العربي مفعما بالأمل خلال ربيع عام 2011،كان الصحفيون والأكاديميون وعامة السكان يفيضون بتوقعات لمجتمع عربي مشرق وحر في بلدانهم، كانوا يتوقعون التحرر من هيمنة حكوماتهم والتدخلات المستمرة والرقابة علي المعلومات، سرعان ما أحبطت هذه التوقعات وهذه المجتمعات إما عادت إلي أوضاعها السابقة أو واجهت ظروفا أكثر قسوة من ذي قبل، وكتب صديقي العزيز الكاتب السعودي البارز" صالح الشحي" احد أشهر الأعمدة المكتوبة في الصحافة السعودية، مع الأسف انه الآن يقضي عقوبة سجن غير مبررة لمدة 5 سنوات بسبب تعليقات مزعومة تعارضت مع الخط السعودي العام للحكومة السعودية، لم يعد استيلاء الحكومة المصرية علي صحيفة "المصري اليوم" يغضب الزملاء أو يثير ردة فعل منهم، هذه الإجراءات لم تعد تحمل عواقب رد فعل عنيف من المجتمع الدولي، بدلا من ذلك، قد تؤدي هذه الإجراءات إلي إدانة يتبعها صمت سريع، ونتيجة لذلك، فقد منحت الحكومات العربية حرية مواصلة إسكات الإعلام بمعدل متزايد.

كان هناك زمن اعتقد فيه الصحفيون أن الانترنت سيحرر المعلومات من الرقابة والسيطرة المرتبطين بوسائل الإعلام

المطبوعة، لكن هذه الحكومات التي يعتمد بقاؤها الفعلي على السيطرة علي المعلومات أعاقت الانترنت بشدة، كما اعتقلوا المراسلين المحليين وحظروا الإعلانات للإضرار بعائدات وسائل إعلام معينة.

هناك عدد قليل من الواحات التي لا تزال تجسد روح الربيع العربي، تواصل حكومة قطر دعم التغطية الإخبارية الدولية مقارنة مع تمويل دول الجوار تجذير سيطرة النظام العربي القديم علي المعلومات في حين أن المنافذ الإعلامية في تونس والكويت حرة، إلا أنها تركز علي القضايا المحلية وليس علي القضايا التي يواجهها العالم العربي الكبير، وهم يترددون في توفير منصة للصحفيين من السعودية ومصر واليمن، حتى لبنان، جوهرة التاج العربي عندما يتعلق الأمر بالصحافة الحرة، سقط ضحية استقطاب ونفوذ حزب الله الموالي لإيران.يواجه العالم العربي نسخته الخاصة من الستار الحديدي التي لا تفرضها جهات خارجية ولكن من خلال القوي المحلية المتنافسة علي السلطة.

السطور السابقة هي من المقال الأخير ل"جمال خاشقجي" رحمه الله نشرتها صحيفة واشنطن بوست، بعد اختفائه ومقتله داخل

قنصلية بلاده في تركيا ..وهو يشير فيها إلي افتقاد العالم العربي للتعبير وحرية الرأي.

مع ذلك فان تغييب حرية الرأي وإحباط توقعات المجتمع العربي في رؤية واقع أفضل وحر كما ذكر رحمه الله في تقديري ما هي في النهاية إلا نتيجة تفكير جمعي أو وعي جمعي للنخب الحاكمة، أو السلطة المستبدة، بمختلف هيئاتها ومفاصلها، وتعتبر ذلك _أي تغييب حرية الرأي _هو الأسلوب الأفضل والمتاح.

وعندما يكون التفكير الجمعي أو الوعي الجمعي للسلطة بمختلف هيئاتها، هو تغييب حرية الرأي والرأي الأخر وتصفية الخصوم، مثل تصفية" جمال خاشقجي" صاحب الرأي الحر، أو نزع السلطة والحكم من بعضهم مثل الدكتور "محمد مرسي"، وزجهم بالسجون سنين عددا، فان هذا الوعي الجمعي لا ينطبق بالضرورة على الوعي الجمعي للأفراد من هم خارج حاشية وبطانة السلطان.

وهذا ما حدث بالفعل في حالة تصفية" خاشقجي"، فان المجموعة التي أوجبت إسكاته وتصفيته وإعدامه، هي مجموعة قليلة كان محصلة تفكيرها هو تنفيذ التصفية، مع أن المجموعة الكبيرة وهي العالم العربي بل كل المجتمع الدولي

الذي تابع تفاصيل هذه التصفية الشنيعة، كانت نظرته وتفكيره هو فظاعة الجريمة وتأثيم وتجريم مرتكبيها، هذا إذا استبعدنا نظرية المؤامرة والمكر الخارجي، مع انه يظل فرضا متوقعا، ومقاربة محتملة في أسباب ما جرى في كل الأحوال.

رحم الله "خاشقجي" واسكنه فسيح الجنان.

إطالة الصراع في سوريا .. لصالح من ؟

في الوقت الذي وصفت فيه "ماريا زاخاروفا " الناطقة الرسمية باسم وزارة الخارجية الروسية ، تحذيرات المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية "جون كيربي" الأخيرة، بأنها تشبه أوامر لتوجيه الكلاب اكثر مما تشبه التعليق الدبلوماسي !!، وذلك بعد أن حذر الأخير روسيا من إطالة الحرب الأهلية في سوريا ، لان الإرهابيين (كما يقول) سيستغلون فراغ السلطة ومن الممكن توسيع عملياتهم ، ومن ثم قيامهم بعمليات إرهابية ضد مدن روسية، فان "زاخاروفا " وهي تستخدم ذلك الوصف الكريه تعتقد تماما انه لا يوجد فراغ سياسي، لان النظام السوري مسيطر علي الدولة بالفعل !، وهي من ثم تهدد من أي ضربات عسكرية علي دمشق وعلي الجيش السوري، لأن ذلك سيؤدي إلى تحولات فظيعة في المنطقة بأسرها ، وان الإرهابيون سيستغلون هذا الفراغ السياسي(بزعمها) وستصعب السيطرة عليهم، مثلما هو الفراغ في السلطة الذي اعقب حل الجيش العراقي، والذي تخشى في الوقت ذاته "زاخاروفا " ان يتكرر ذلك التنظيم الدموي في سوريا

وربما بقدر اكبر، ويسيطر علي مفاصل الدولة اذا تخلت هي وروسيا عن دعم حليفهم الاسد !!، ولكن الشيء الذي لم تحدثنا به وربما تناست ذلك عن عمد، ان الفراغ السياسي الذي تخشاه في سوريا موجود بالفعل وان الذي يحكم سوريا ليس "الاسد"، ولكن روسيا وإيران وميليشيات حزب الشيطان وبقية المرتزقة !!.

وخلافا لما توصف به" زاخاروفا " كيفية نشؤ تنظيم الدولة، الذي يهدد أمن روسيا القومي والذي سيؤدي الي تحولات فظيعة في المنطقة، وتخوفها من فراغ السلطة في سوريا، فان السيناتور "ماكين" يؤكد بأن التنظيم عرض من اعراض الحرب الاهلية في سوريا ! والتي يطيل في عمرها الروس أنفسهم، ومع هذا ورغم اختلاف الاثنين في تحديد منشأ تنظيم الدولة، إلا انهما يتفقان في النهاية انه مهدد للأمن القومي الروسي والأمريكي وان تباينت مفاهيمهم لتعريف تنظيم الدولة او الارهابيين، وما تبع ذلك من تصعيداتهم الكلامية وتهديداتهم المتبادلة وتراشقهم بالألفاظ .

من جهة أخري فان" ماكين" يدعو الي تحجيم قوة الاسد الجوية والطائرات الروسية، ويهدد بتعرضها للخطر بل وباتخاذ الخطوات

اللازمة لتعريضها للخطر، وهو نفس ما صرح به الوزير "كيري" الذي قال أن جهوده الدبلوماسية لإنهاء الصراع في سوريا لم يتم دعمها بعمل عسكري، وان دعوته لتحرك عسكري بعد انهيار الهدنة لم تجد آذانا صاغية، ومع هذا فان قرار "اوباما" غير "ماكين" و"كيري"، فهو يدعو إلى عدم التدخل العسكري في سوريا بشكل قوي، تخوفا من انتقال الحرب السورية إلى مستوى مختلف وربما انفلات الوضع الي مستويات أسوأ، وربما يذكر وضع اوباما (الذي يمسك العصا من النصف) بأجواء التلويح بالتدخل العسكري في 2013 عندما لازمه التردد كثيرا في أزمة الكيمائي، تلك التي قضي فيها نظام الاسد علي الأبرياء السوريين في الغوطة خنقا بالغاز السام، وفي وقت اعلن الجيش الأمريكي جاهزية تامة وفي انتظار إشارة الأمر ببدء الهجوم، إلا أنه نكص علي عقبيه !! .

إطالة الصراع في سوريا بين الروس وإيران وما تبقي من الجيش السوري وبقية المرتزقة من ناحية، ضد فصائل الثوار علي اختلاف مسمياتهم من ناحية أخري، هو في النهاية حماية مجانية يقدمها الروس بطريقة غير مباشرة لأمن إسرائيل القومي وأمن الولايات المتحدة القومي، ومن مصلحة الولايات المتحدة هلاك خصومها

التقليديين في المحرقة السورية وهم الروس وإيران، وحزب الله الذي كان يهدد بحرق إسرائيل بالصواريخ، والجهاديين الذين يشكلون خطرا عليها، ومن مصلحة إسرائيل هلاك الجنس السوري والفلسطيني بل والعربي بأكمله، ومع هذا فان بعضا من هؤلاء العرب أتوا لتشييع "بيريز" وهم حوله يتباكون، وربما يبكون !!.

عن أميمة والشنفري

من الناس من ينصرف بأكمله في وصف جمال المرأة الخلقي، وما تقع فيه عينه عليها فيبدع في ذلك شيئا كبيرا، من قمة رأسها إلى أخمص قدميها! وهولاء هم القسم الأكبر، ومع هذا فإن هناك من يهتم اهتماما آخر، ليس إلى جمال الخلقة فحسب، بل جل اهتمامهم بالصفات الخلقية المثالية والفاضلة للمرأة.. سأتحدث اليوم عن واحد منهم، وهو الشنفرى "ثابت بن أوس"، وهو واحد من الشعراء الجاهليين الصعاليك، الذين منهم "تأبط شرا" و"عروة بن الورد" و"السليك بن السلكة" و"أسيد بن جابر"، وربما يكون "الشنفرى" أشهرهم.

وأول ما يقفز إلى ذهني هو تائيته المشهورة، والتي قدمنا أنه واحد ممن خالف ما يهتم به عامة الشعراء، وتائيته تلك يختص فيها المرأة (وهي هنا "أميمة" زوجه) بالصفات المثلى، ويصفها وصفا بليغا يتسم بالجزالة والقوة، وهذا هو مكمن إعجابي بها، وربما سائر الناس.

من بعض ما وصفه فيها أنها لا تسرع المشي والخطى فيسقط قناعها، مثلما تسقط أقنعة

الأخريات، ولا تكثر التلفت لأنه من فعل أهل الريبة، وأميمته المصونة لا تطيل الكلام في الطريق، فهي إذا مشت، عيناها تنظران إلى الأرض، كأنها أضاعت شيئا على الأرض، لشدة حرصها، وإذا تكلمت فإنها لا تطيل الكلام، وهذه هي قمة الحياء المفترض أن يتوفر في كل امرأة، وبعد هذا كله فإنها إذا ذكر خبر النساء، فإنه لا يخزي" الشنفرى" الحديث عنها، وذلك لخفرها وعفتها، وهذه أيضا صفات جيدة، إذا ضمت إلى ما قبلها، فإننا أمام صورة متكاملة إلى ما ينبغي أن تكون عليه الأخلاق الكاملة.

ولا أجد في ذلك وصفا تستحقه هذه الأبيات أكثر مما وصفها به" الأصمعي" الذي قال إن هذه الأبيات أحسن ما قيل في خفر النساء وعفتهن، الأبيات يقول فيها "الشنفرى "من البحر الطويل:

ألا أم عمرو أجمعت فاستقلت

وما ودعت جيرانها إذ تولت

وقد سبقتنا أم عمرو بأمرها

وكانت بأعناق المطي أظلت

بعيني ما أمست فباتت فأصبحت

فقضت أمورا فاستقلت فولت

فـو اكبـد ا علــى أمـيـمـة بـعـد مـا

طمـعـت فـهبـهـا نـعـمـة الـعيـش زلـت

فـيـا جارتـي و أنـت غيـر مـلـيـمـة

إذ ا ذكـرت ولا بـذ ات تـقـلـت

لـقـد أعجـبـتـنـي لا سقـوطا قـنـا عهـا

إذ ا مـا مشت ولا بـذ ات تـلـفـت

تـبـيـت بـعـيـد الـنـوم تـهدي غبـوقـهـا

لـجارتـهـا إذ ا الـهديـة قـلـت

تـحل بـمـنـجـا ة مـن الـلـوم بـيـتـهـا

إذ ا مـا بـيـوت بـالـمـذمـة حـلـت

كـأن لـهـا فـي الأرض نـسيـا تـقـصـه

علـى أمـهـا ، و إن تـكـلـمـك تـبـلـت

أمـيـمـة لا يـخـزي نـثـا هـا حـلـيـلـهـا

إذ ا ذكـر الـنـسو ان عفـت وجلـت

اذ ا هـو أمـسـى آب قـر ة عيـنـه

مـآب الـسـعيـد لـم يـسل أيـن ظلـت

فـدقـت وجلـت و اسبـكـرت و أكـمـلـت

فـلـو جن إنـسـا ن مـن الـحـسن جـنـت

ومع اهتمام " الشنفرى" بالمعاني المثالية والمكارم في أبياته الجزلة، التي ربما جعلته مختلفا عن عامة الشعراء الجاهليين الذين يبدؤون أشعارهم بالأطلال، وذكر الحبيبة وعيونها وجمال قوامها، إلا أنه مع هذا جمع كل الصفات الخلقية والخلقية أيضا في بيت واحد، وهو الشيء الذي يدعو للإعجاب والرضا الكبيرين وهو قوله:

فدقت وجلت واسبكرت وأكملت

فلو جن إنسان من الحسن جنت

لأنه يعني أنها دق من أعضائها ما يستحب دقته وفخم ما يستحب فخامته، واعتدلت طولا وأكملت، وبهذا فقد استوفي كل صفاتها في صدر هذا البيت، أما عجزه فهو شأن آخر؛ لأنه يحتمل ثلاثة معان كلها صحيحة (كما يقول رواة الشعر)، الأول هو أنه لو ستر إنسان عن العيون صيانة له عن الابتذال لفعل ب"أميمة"، والمعنى الثاني أنه يريد لو جن إنسان تفكرا فيما تفرد به من الجمال لكانت "أميمة"، والمعنى الثالث أنه لو أخرج من البشرية إنسان، ونسب إلى الجن لما منح من الحسن، لكانت" أميمة"!.

عن السالفاتور موندي

أول ما يلفت نظري في الخبر المفزع والمحبط في وقت واحد، الذي نشرته مؤخرا بعض المواقع والصحف مثل موقع عربي 21 و وول ستريت جورنال ونيويورك تايمز في الأيام الماضية، وهو الخبر الذي ذكر فيه أن أميرا في دولة عربية اشتري لوحة الرسام الإيطالي "ليوناردو دافينشي" السالفاتور موندي (مخلص العالم)، وأنه دفع مقابلها أمولا عظيمة بلغت نصف مليار دولار!، أول ما يلفت نظري، ونظر أي متابع منصف يتوخى الحقيقة المجردة والنصح الخالص، واللذين ينبغي أن يكونا مطلبا لأي فرد، هو هذا الترف الباذخ والرفاهية الفاحشة التي لا تحدها حدود وتبذل فيها أمولا بمثل هذه الضخامة، صحيح أنه ليس من الحق أن ننازع أحدا فيما أعطاه الله من بسطة في المال، لكن أن تنفق بمثل هذا السخاء، بمثل نصف مليار، من اجل لوحة.. مجرد لوحة !، فهذا مما يأباه العقل والمنطق، ومع هذا فان ديننا الحنيف يأمرنا بالتوسط والاعتدال في كل شيء، وينهى عن الإسراف والتبذير.

وكونه خبرا مفزعا بالنسبة لي ولدى الكثيرين، فانه يرجع إلى أن فكر قادتنا

وزعماءنا فيما هو مفترض ينبغي أن يكون على قدر كبير من الإحساس بحجم المخططات التي يدبرها ويديرها العدو في المنطقة، وأن يكون أيضا على قدر كبير من الزهد في الدنيا وترفها وزينتها، أما أن يحل محل ذلك اهتماما بالصور والفن واللوحات، وتبذل الأموال في لوحة السالفاتور موندي التي تمثل نبي الله عيسي عليه السلام، وهو ما لا يتوافق مع شريعتنا الإسلامية، لأنه لا يجوز تصوير أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، كما أنه لا يجوز اقتناء الصور لعموم قوله صلى الله عليه وسلم :"إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة" فهذا مما يعظم البلوى ويجعل الحليم حيرانا.

وكونه خبرا محبطا بالنسبة لي، فلأن هذه الأموال التي أنفقت في الوقت الذي تفرض فيه حالة التقشف وعدم زيادة الأجور وحملة الحفاظ على المال العام في ذلك البلد ،هذه الأموال كانت كفيلة بالقضاء علي وباء الكوليرا مثلا، الذي انتشر في اليمن مؤخرا وراح ضحيته الآلاف ممن لم تهلكهم الحرب، والذي قالت اللجنة الدولية للصليب الأحمر إن عدد الحالات المحتملة فيه وصل إلي مليون حالة !.. مليون حالة محتملة أي أن الكوليرا سوف تحصد في الشهور المقبلة علي الأرجح أضعافا أخرى من أرواح أشقائنا اليمنيين ،كانت هذه

الأموال المنفوحة من الاوجب أن تنفق في القضاء على هذا الوباء المنتشر ؛وكان الاوجب أيضا أن تنفق في إعانة المتضررين من الحروب التي طال أمدها في اليمن وسوريا ، غير أن سفارة ذلك البلد في واشنطن أعلنت في بيان لها أن هيئة الثقافة والسياحة في دولة مجاورة، هي من طلبت من الأمير أن يكون وسيطا في شراء اللوحة التي عرضت في مزاد دار كريستيز في نيويورك، وإذا كان هذا البيان ينفي تهمة شراء الأمير لها من ناحية ، إلا أنه في الوقت نفسه يدخله فيها بوصفه وسيطا في شراء لوحة دافينشي التي يرسم فيها نبي الله عيسى عليه السلام !،ولا ادري ماذا سيغير ذلك سواء كان مشتريا أو وسيطا أو إن كان المالك هو الأمير أو هيئة الثقافة والسياحة .يجوز لي بعد ذلك أن اصف الخبر المحبط بالمأساة ،لأن طائرات إسرائيل تقتل المسلمين في غزة وطائرات روسيا تقتل المسلمين في سوريا ،وطائرات الولايات المتحدة تقتل المسلمين في العراق وطائرات التحالف تقتل المسلمين في اليمن، ونحن بعد هذا نهتم باللوحات والفن!

رغم أن الحصار الذي فرضته الدول الأربع، المملكة السعودية والإمارات والبحرين ومصر على قطر، والذي تم بعد تلفيق البيان المكذوب لأمير قطر، بعد الاختراق السيبراني لوكالة الأنباء القطرية، وبعد تكميم كل الأصوات التي تتوخى الحقائق في إعلام الدول الأربع، ومن ثم توجيه الإعلام فيها إلى لغة واحدة وهي لغة تجريم قطر وتأثيمها، وتكرار هذه اللغة مما من شأنه أن تبدو قطر مجرمة وآثمة بالفعل، وتدعم كافة أشكال الإرهاب، رغم أن الحصار الذي استمر شهرا كاملا لم يؤت نتائجه المرجوة والمطلوبة لديهم في إخضاع وتطويع قطر، لأنها رفضت نزع سيادتها وتركيعها وكل أنواع الوصاية، وهو ما تمثله المطالب الثلاثة عشر التعسفية التي قدمت إليها، ورغم أن الدول الأربع المحاصرة لم تلق تأييدا وانضماما واسعا لحملتها أو فتنتها من باقي الدول العربية، ما عدا جيبوتي وموريتانيا والأردن، التي شاركت فقط بتخفيض التمثيل الدبلوماسي، رغم كل ذلك فإنه يصعب جدا على المرء أن يصدق أن الرغبات الجامحة في السلطة والعرش، من الممكن التضحية في سبيلهما بأي شيء، حتى

وإن كانت تلك التضحية هي بعلاقات القربى والأخوة والدم، يصعب ذلك جدا ولما تخمد بعد الحرائق المشتعلة في المنطقة، ومع هذا فإنه لا أحد يعلم حقيقة ماذا تخبئه الدول الأربع في أيامها القادمات!

وعندما نتحدث عن الحصار الذي لا يعلم له هدف واضح ومعقول، فإن أول ما يقفز إلى ذهني هو ذكرى أحداث رابعة العدوية والنهضة، ورغم أنه تمت تصفية الإخوان المسلمين ومن ناصرهم من الأحرار في تلك الموقعة، وهي الموقعة التي وصفتها منظمة هيومن رايتس ووتش بأن ما حدث هو على الأرجح جرائم ضد الإنسانية، إلا أنها كانت بداية لضرب المد الكاسح لجماعة الإخوان المسلمين، أو الإرهابيين أو المتطرفين! مثلما تطلق عليهم الأوصاف والمسميات، كانت بداية لضرب المد الكاسح للإخوان المسلمين أينما كانوا وكسر شوكتهم، وما أشبه الليلة بالبارحة فإن المطلب الثالث من جملة المطالب الثلاثة عشر هو قطع العلاقات مع الإخوان المسلمين وإدراجهم كيانات إرهابية، وطردهم من قطر وترحيل قياداتهم ورموزهم، مثل الداعية الإسلامي الشيخ" يوسف القرضاوي"! وللأسف الشديد فإن هذا المطلب بطرد الشيخ "القرضاوي" مع قامته وقيمته، يتناقض تماما مع ما وجده في السابق من حفاوة وتكريم من

المملكة السعودية ذاتها في مؤتمر رابطة العالم الإسلامي!

والواقع أن تنامي ظاهرة الرعب من الإسلاميين أو الإسلام السياسي، تسببت فيها فيما أرى، التنظيمات المتطرفة والمنحرفة، مثل تنظيم الدولة الإسلامية والقاعدة، التي كانت نتاجا للأنظمة الاستبدادية والمتسلطة في المنطقة، والتي تم استخدامها وتطويعها في آخر الأمر من أعدائنا لتفتيت الأمة الإسلامية وتقسيمها، وإلحاق صفات الإرهاب والعدوانية والتطرف بها، ومن ثم فإن حالة الرعب امتدت لتشمل التنظيمات الإسلامية المعتدلة، التي تجنح إلى السلم وتدعو إلى الحوار، والدعوة بالتي هي أحسن لبناء الدولة الإسلامية ذات التوجه العقائدي السليم، وانتهى الأمر لدى بعض الأنظمة الاستبدادية المتسلطة التي يهمها استقرار العرش واستدامته وبقاؤه، إلى محاربة كل تيارات الإسلام السياسي دونما تمييز أو تفرقة بينها.

بعد هذا ينبغي أن نشير إلى أنه من المؤكد أن تكون قطر والتي تعد من أغنى دول العالم، من المؤكد أن تكون غنيمة للمتربصين والطامعين في ثرواتها، من كل الجهات التي ترى تقسيم واقتسام المنطقة، وتوزيع ثرواتها ورزها، لأن قطر وحسب

المعايير والإحصاءات الدولية، تمتلك ثالث أكبر احتياطي للغاز الطبيعي في العالم، حيث يوجد بها 900 تريليون قدم مكعب، وهذا أدعى للجهات الطامعة والمتربصة باغتنام السانحة إذا خرجت الأوضاع عن السيطرة - لا قدر الله - بل أدعى لها في ذلك أن يشتعل كل الخليج، بل كل المنطقة العربية.

السويد وفنلندا وجدلية الحياد والتحالف

يعتبر مفهوم توازن القوى من أكثر المفاهيم المثيرة للجدل، لكثرة معانيه وغموضه أحيانا وكثرة الانتقادات الموجهة ضده والآراء المؤيدة له، وهناك من لا يعتبر الغموض المصاحب لتوازن القوى أمرا سلبيا، لأن النظام الدولي غامض بطبيعته والحروب المدمرة فيه تندلع بأسباب غامضة.

يعتقد "كينيث والتز "وهو من أشد المؤيدين لفكرة توازن القوى، بأنه إذا كان هناك نظرية سياسية متميزة بشأن السياسة الدولية فإنها دون ريب توازن القوى، إضافة لذلك فإنها تعتبر مرشدا ومرجعا لفهم الأنماط المتكررة لسلوك وتصرفات الدول في الأوضاع التي تتسم بالفوضى الدولية.

في هذا السياق، قيام التحالفات بين الدول يعد من أفضل الطرق لتعزيز توازن القوى، وكلما زادت عدوانية الدول وأظهرت نوايا توسعية، كان الاحتمال كبيرا أن

تتسبب في تكوين تحالف مناهض لها، ويمكن بصورة عامة في تكوين التحالفات، اعتبار جميع الدول حلفاء، وربما أعداء محتملين، ويعد هذا السلوك مقبولا وفاشيا في توازن القوى، غير أن الدول ينبغي لها أن تسعى للتحالف مع حلفاء لهم القدرة على معادلة قوة الخصوم، أو موازنة القوة بالقوة.

التحالفات الدولية في حقيقتها هي علاقات تعاقدية تقوم بين دولتين أو أكثر، بموجب اتفاقية تحدد واجبات وحقوق الطرفين (أو الأطراف) المتعاقدين إزاء بعضهما فيما يتعلق بالأمن القومي للأطراف المتعاقدة، وبموجبها تتعهد تلك الأطراف بمساعدة بعضها واتخاذ ما يلزم من التدابير المعينة لحماية أعضائها من قوة أخرى معينة تبدو مهددة لأمن كل من هؤلاء الأعضاء في المستقبل.

والتحالف بما ينطوي عليه من معاني التفاهم، والعمل المكمل والمشترك، في كل المجالات الدفاعية والعسكرية والسياسية والاقتصادية، يكون مؤقتا وينشأ دائما في أوقات الحروب، حيث تتولد مصلحة مشتركة بين دولتين أو مجموعة من الدول تدفعها إلى التحالف، تحديدا في حالة حصول تغيير مفاجئ في الوضع العسكري، وهذا بالفعل ما حدث عندما فارقت كل من السويد وفنلندا

حالة الحياد التي التزمتها والتي امتدت إلى ما يقارب السبعين عاما في الحالة الفنلندية وأكثر من ذلك بكثير في الحالة السويدية.

ومن الواضح تماما أن انضمام الدولة للحلف يعني خدمة مصالحها وأهدافها أولا، بما يحققه التحالف من معاني الاستقرار المادي والمعنوي لكل المتحالفين أو المتحدين بأنصبة متساوية وعادلة (بعض التحالفات يكون الاستقرار المادي والمعنوي للطرف الأقوى والفاعل فيها اكبر بكثير من الطرف أو الأطراف الأخرى من داخل التحالف، بل إن الطرف الأقوى والفاعل ربما يكون تحقيق الأهداف والمصالح ليس هو فقط المحصلة الوحيدة التي يسعى إليها ولكنه يصل إلى مراحل اكبر واخطر من ذلك، مثل إملاء الشروط والفروض التي تتوافق مع استراتيجيته الخاصة، أو حسب ما تقتضيه الظروف التي تملي عليه تغيير مواقفه ومبادئه بالكامل وان يتبع ذلك تهديدات بالانسحاب من التحالف، أو تهديدات بالغزو والاجتياح).

ربما يزيد انضمام السويد وفنلندا إلى حلف الناتو (باعتباره منظمة دفاعية) من قوة وصلابة الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة، في مواجهة الآلة العسكرية

الروسية التي سيطرت على أجزاء كبيرة من أوكرانيا، وتعتبر الولايات المتحدة أن هذا التصرف من الدولتين هو مما يخدم توجهها في ردع الدب الروسي ووسيلة ضغط جديدة في تطويقه واحتوائه، كما أن ذات التصرف يعتبر مقو جديد لركائز الناتو، وزيادة لمقدراته الدفاعية والهجومية لصد أي اعتداءات روسية جديدة محتملة.

روسيا من جانبها تعتبر طلب انضمام الدولتين إلى حلف الناتو هو شر مستطير، ومهدد لأمنها القومي، وان هذا التصرف ربما يجعلهما في مرمى النيران الروسية.

مع هذا وبعد كل هذا، فإن في فوضى السياسة الدولية والمشهد الراهن يمكن أن نتصور عدة كواليس ودوافع جرت كما يأتي:

1_هناك شواهد حقيقة على نية روسيا في التمدد والتوسع في القارة العجوز بعد أن دخلت الحرب الأوكرانية شهرها الرابع. قالت "ماجدالينا اندرسون" رئيسة الوزراء السويدية: قررت السويد التقدم بطلب للانضمام إلى الناتو، لأنها غيرت وجهات نظرها بشأن استعداد روسيا لاستخدام العنف وتحمل مخاطر هائلة، فالأسباب الروسية لغزو أوكرانيا جميعها لا تهم لكن الوسيلة التي اختارها "بوتين" لحسم الخلافات هي

خوض الحرب مما ينذر ذلك بمزيد من التهديدات.

2_قياس القوة السويدية أو القوة الفنلندية مقارنة بقوة الدب الروسي، هي نسبة راجحة لروسيا وان الحكمة تقتضي التحول من الحياد إلى الانضمام للناتو في هذا الظرف تحديدا، وان الانضمام للناتو سيحقق منظومة دفاعية أكبر عن كلا الدولتين، بكافة الوسائل السياسية والعسكرية ضد أي تهديد أو عدوان روسي محتمل.

3_ان يكون الدافع إلى ذلك (أي تقدم الدولتين بطلب الانضمام للناتو) هو دافع خارجي من الولايات المتحدة ذاتها، خاصة وأنها عززت تواجدها العسكري في أوروبا الشهور الماضية، ونشرت قوات في أوروبا بعد دخول روسيا إلى أوكرانيا، وإذا صح ذلك التصور، فإنه يحسب نجاحا للولايات المتحدة في استخدام القوة الناعمة وتحريك قطع الشطرنج من غير أن يبدو للعالم أنها وراء ذلك، والهدف الأساس والأول والأخير في ذلك هو تركيع روسيا.

جملة القول وأيا ما كانت الدوافع والمسببات التي جعلت الدولتين تختار سياسة التحالف والانضمام للناتو، وان تتخلى عن سياسة الحياد الطويلة التي كان

من نتائجها اكتسابهم الهدوء والاستقرار السياسي، ونتائج جيدة في المجالات الاقتصادية والعسكرية والعلمية، أيا ما كانت، فإن فرضية الرد الروسي القاسي والمفاجئ لدول الاتحاد الأوروبي وأعضاء الناتو والولايات المتحدة وربما للمجتمع الدولي برمته، تظل في كل الحالات فرضية محتملة وواردة ومتوقعة.

الصراع الروسي_الاوكراني: المنازلة الأخيرة

لا جدال أن الأسس والقواعد في النظام الدولي ينبغي أن يلتزم ويتعامل بها مجموع الدول الفاعلة وغير الفاعلة، والمنظمات والشركات العابرة للقارات، سواء كانت الأسس والقواعد هي المواثيق المتفق عليها، أو أعراف وتقاليد دولية أو قوانين دولية، غير أن الواقع غالبا إن لم يكن دائما، لا يعطي نموذجا مثاليا وفاضلا لما يفترض أن تكون عليه العلاقات بين أفراد المجتمع الدولي، بل إن الواقع للأسف يعكس صورة مختلفة تماما لمجتمع دولي تكثر فيه النزاعات والحروب، والمؤامرات ولغات التهديد.

النزاع أو الصراع باعتباره حالة عارضة أو طارئة للأفراد أو الدول، يحاول فيها كلا الطرفين المتصارعين اكتساب السبق على الآخر، أو باعتباره حالة تنازع بين الطرفين، وهذا التنازع ناشئ من الاختلاف القائم بينهما في الدوافع والتصورات، أو التطلعات أو الأهداف أو غير ذلك، هو بهذه الاعتبارات يمثل جزءا رئيسا ومحور أساس

في فهم العلاقات الدولية وفي التنبؤ بتطوراتها ومآلاتها.

ورغم أنه ليس للصراع صفات الثبات والدوام، إلا انه تتفاوت درجات الصراع بين الأطراف بحسب حيثيات الهدف المتصارع عليه ونوع الصراع، سواء كان سياسيا، أو اقتصاديا أو حضاريا (الصراع في فلسطين بين اليهود والمسلمين، يمكن أن يصنف من أطول أنواع الصراع في الوقت الراهن كمثال، بل أنه يخرج من اعتباره صراعا دينيا وحضاريا إلى اعتباره قضية دينية إسلامية يهتم بها كل مسلم)

إضافة، فان الصراع أو النزاع يعرف بأنه: حالة تناقض بين أهداف الدول، أو بين قيم الفاعلين في النظام الاجتماعي، ويتم ذلك ضمن إطار مفاهيم ومعتقدات كل طرف. ويعرفه آخرون: أنه يستخدم في بعض الأحيان للإشارة إلى التضارب أو التناقض في المبادئ أو المفاهيم، أو العواطف أو الأهداف، أو المطالبة بالكيانات أو الهوية.

"كينيث والتز" يزعم أن الصراعات والحروب إنما تنتج من مشاعر الأنانية والغباء الإنساني، وأيضا عن سوء توجيه النزعات العدوانية، وان ما عدا ذلك من العوامل التي تسبب الصراع يعد ثانويا ولا ينبغي

أن ينظر إليه إلا في ضوء هذه الحقيقة السيكولوجية الأساسية، وهو أيضا يؤيد الاتجاه الذي يربط بين جنوح الدول إلى العدوان وبين الطبيعة البشرية. أما "فلوجل" فانه يفترض في نظريته (الإخفاق أو الإحباط) أن الدول التي تتحقق فيها الحاجات الأساسية لشعوبها بصورة معقولة، تكون اقل استعدادا من الناحية السيكولوجية للصراع والحرب، من تلك الدول التي يسيطر على شعوبها الشعور بعدم الرضا أو الضيق.

أيضا البعض يفسر ظاهرة الصراع والنزاع بين الدول، بإرجاع أصول الصراع إلى النواحي الأيدلوجية، بمعنى ان التناقضات أو الاختلافات الأيدلوجية هي الأصل الذي ينبغي أن يرجع إليه في فهم أي صراع، ويستندون على وجه التحديد على الأيدلوجية الماركسية، التي من وجهة نظرهم تعتبر أن الصراع أصوله طبقية، وإذا أمكن تحديد العلاقات الطبقية بين مختلف القوى فهو الأداة الوحيدة لتفسير الصراع.

الواقعيون يعتبرون أن مصالح الدولة القومية، هي الدافع الرئيس لنشوب الصراع، وفي محاولة الدولة الحفاظ على مصالحها القوية؛ ومن اجل بقائها والمحافظة على مصالحها وذاتها، فإنها

تنزع إلى العدوانية وإظهار القوة العسكرية، بل وأضراب القوة الأخرى: السياسية والاقتصادية والدعائية وغيرها، وقد عبر "كينيث تومبسون" عن هذه المعاني بقوله: أن الصراع على القوة باعتباره الركيزة التي تستند عليها المصلحة القومية، هي حقيقة ثابتة تتجاوز المعتقدات الفردية والمذهبيات والأحزاب السياسية، وأشخاص الحكام في الدول الرأسمالية والشيوعية على السواء.

ومن مدخل طبيعة وبنية النظام الدولي، يعتنق البعض تأويلا أخر يقوم على ما مفاده، أن الفوضى العالمية واحتفاظ كل وحدة سياسية بسيادتها هو الأصل الذي ينبغي أن يكون لفهم طبيعة الصراع، وانه لأجل حلحلة جميع أنواع الصراع فإن الأوجب هو نزع السيادة من أي دولة، وتكوين حكومة عالمية واحدة تذوب فيها كل تلك السيادات، وفي دفاعه عن هذا المفهوم يقول "ويكوم": أن الصراعات والحروب لن تنتهي طالما بقي النظام الدولي القائم على تعدد الدول، وان السلام لن يتحقق ما بقيت هذه التعددية، وشكك في مقدرة الأمم المتحدة على الاضطلاع بهذه المهمة، كونها الضامن والحامي لتعدد السيادات الوطنية في المجتمع الدولي.

أما علماء النفس والاجتماع، فان بعضهم دعوا إلى تصميم مداخل الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن واليونسكو، بحيث يضطر ممثلو الدول إلى المرور عبر ملعب حضانة أطفال في طريقهم لقاعات الاجتماع، ويعتقد آخرون بإمكانية دعم قضية السلام من خلال استبدال الرجال بالنساء في حكم الشعوب!

لا جدال أن الأزمة الأوكرانية الحالية أو المنازلة الروسية_الأوكرانية، هي نموذج ومثال لما قدمناه من حالات الصراع بين الدول وانعدام الثقة بين روسيا وأوكرانيا. طلب أوكرانيا الانضمام لحلف الناتو يعني تهديدا أساسيا لأمن روسيا القومي، لان حلف الناتو سيقوم بنشر سلاحه النووي على الحدود، وهو ما أوجب على روسيا مقاومة هذا الفعل بالقوة وإنطاق المدافع.

مع هذا فان المنازلات الدائرة على الأرض الآن لا يمكن اعتبارها فقط بين روسيا وأوكرانيا، بل بين روسيا من ناحية والولايات المتحدة وحلف الناتو من ناحية أخرى. صحيح أن الولايات المتحدة ودول حلف الناتو لم تكن ظاهرة في الميدان تفاديا لنشوب حرب إقليمية أو حرب نووية على أسواء الفروض والسيناريوهات، إلا أنها

دأبت على إرسال المعدات والآليات والصواريخ والمساعدات اللوجستية وفي خطوة لاحقة قامت بإعلان العقوبات الاقتصادية والمالية، في عدة خطوات أفصحت عنها.

لا يمكن التكهن الآن بنتائج الصراع، لكن فيما أتصور أن روسيا تخوض حربا خاسرة ونزاعا مكلفا، وان كانت تحقق تقدما في الأرض. نصرها هو في حد ذاته هزيمة، لأنها ستخرج من المستنقع الأوكراني وهي منهكة اقتصاديا وعسكريا وسياسيا، كما أنهكت في النزال الأفغاني والنزال السوري. سيبدو هذا واضحا بعد أن تسكت المدافع.

لا تعتقد النظرية الواقعية الدفاعية أو "الواقعية الجديدة" أن الدول مجبولة على العدوان مثل نظرية واقعية الطبيعة البشرية، لكن تعتبر أن الدول تسعى إلى البقاء وحسب.

يعتقد "كينيث والتز" الذي ارتبطت النظرية باسمه في أواخر سبعينات القرن الماضي، أن فوضى النظام الدولي هو ما يكره الدول إلى النزوع إلى التنافس بين الدول على القوة لأن القوة هي أساس البقاء، لا إلى التوسع والسيطرة والعدوانية لكن على أن تتصرف بطريقة دفاعية تحافظ على توازن القوى وتؤمن بقاءها.

ويدعو "والتز" في نظريته الدول العظمى لأن تبتعد عن اكتساب القوة المفرطة، لأن من شأنها (أي القوة المفرطة) أن تفرض على الوحدات الأخرى أن تتحد بصورة أكثر فاعلية لمنازلتها ومقاتلتها، ومحصلة ذلك أن يتركها في أسواء حال مما لو امتنعت عنها.

ربما كانت أفكار "جان جاك روسو" التي تشبه في بعضها أفكار "أفلاطون" القائلة أن الإنسان لا يولد صالحا أو طالحا ،والمسئول عن هذا التشكيل فقط هو البيئة التي ينشأ فيها الإنسان، الكيان السياسي الفاسد هو المسئول عن صبغ البشر بالفساد، والكيان السياسي الصالح هو من له فضل صلاح البشر، ربما كانت خاصة تلك الأفكار المبثوثة في مقال "روسو" (حالة الحرب) هي المعين ل"والتز" في ابتداع نظرية الواقعية الدفاعية.

المقاربة التي تنطوي على أن الدولة ينبغي أن يكون لديها المقدرة الدفاعية ضد أي خصوم متوقعين، لأنها إذا لم تغتنم الفرصة وتبدءا بالضربة الدفاعية الوقائية، فإنها ربما تفوت الفرصة وتكون هدفا سهلا من الخصم، هذه المقاربة كما يقول "والتز" هي الأساس التحليلي لكثير من مقاربات توازن القوى في العلاقات الدولية، وهي في الوقت نفسه تفسير عام لسلوك الدول، وهي أيضا نقطة ارتكاز حرجة ضد الذين يفسرون السلوك الخارجي للدول من خلال بناها الداخلية، وقد أشار إلى ذلك المعنى "الكسندر هاملتون" و"ثيوسيديدس"، وصرح بها كل من "مكيافيللي" و "هوبس" و "روسو".

وبالرغم من أن نظرية واقعية الطبيعة البشرية أو المدرسة الواقعية التي من أبرز كتابها ومنظريها "هانس مورجانثو"، الذي يعتقد أن الدول مجبولة على الرغبة والشهوة للقوة بل والشهوة الجامحة، وهذه الشهوة تدعوها إلى التقاط أي بادرة للظهور والهجوم والسيطرة، ومن ثم فان هذه الرغبة الغير إرادية للقوة والسيطرة هي التي تقود الدول العظمى للنزاعات والحروب.

وإضافة لهذه الرغبة المجبولة المتأصلة لدى كل الدول في العدوانية للهيمنة والسيطرة، فان النظام الدولي نفسه يعتبر عاملا من الدرجة الثانية لتأجيج النزاعات ومحاولات جنوح الوحدات السياسية للهيمنة والتفوق والسيطرة، لما في النظام الدولي من فوضى وفلتان بمعنى عدم وجود سلطة حاكمة فوق الدول العظمى.

"هانس مورجانثو" يعتبر بذلك أن قوة الدولة هي الرغبة الفطرية للبشر في امتلاك القوة ، لكن السؤال هو هل توجه وتضبط رغبات البشر في امتلاك وزيادة وتوجيه القوة أو غيرها بضوابط وأوامر وتوجيهات عقائدية ربانية، أم يترك للنفس ورغباتها العنان؟

إلا أن "والتز"يدافع عن نظريته ويقدم تساؤلات عديدة للتشاؤميين _كما يصفهم _المتيقنين والمعتقدين بصحة فروض واقعية الطبيعة البشرية :ما الذي يفسر تقلب فترات الحرب والسلام ؟ فلو أن الطبيعة البشرية كانت هي سبب الحرب لما استطاع العالم أن ينعم بالسلام ويتحدث عن أن الاهتمام المتعاظم بالسبب "الجوهري" للصراع يؤدي في نهاية الأمر إلى ابتعاد المرء عن التحليل الواقعي للسياسة الدولية ، لأن السبب الأساسي هو ابعد الأسباب عن القابلية للعلاج، أما الأسباب التي تفسر السلوك واختلافاته فانه ينبغي أن يبحث عنها في مكان غير الطبيعة البشرية .

ويقدم في الوقت نفسه تساؤلات عديدة للتفاؤليين_ كما يصفهم أيضا _القائلين والداعين إلى الأفهام الليبرالية : هل الجملة التالية صحيحة : إن البشر صالحون وبالتالي ليس هنالك مشاكل اجتماعية أو سياسية ؟ هل من شأن إصلاح الأفراد (إذا تم تحقيقه) أن يشفي من الشرور الاجتماعية والسياسية ؟

وإذا كان "والتز" يقدم هذه الأسئلة باعتبارها حجة لنظريته الدفاعية ، إلا أن السلوك والطبيعة البشرية المنفلتة

والشيطان يعتبر جزءا وسببا رئيسا في فوضى النظام الدولي، لان العالم في الواقع لا ينعم بالسلام، فما انطفأت حرب إلا وأوقدت نارها في طرف آخر.

الحقيقة أن كلتا النظريتين تصلحا لتفسير الحرب والاقتتال في العالم، فإن مظان نظرية "مورجانثو" واقعية الطبيعة البشرية موجودة في جزء من العالم، ومظان نظرية الواقعية الدفاعية موجودة في جزء آخر من العالم.

إن النفس البشرية وفقا لنظرية الطبيعة البشرية ليست مجبولة على الشر والعدوانية، ولكن يمكن تسميتها (إذا كانت عدوانية) بالمنحرفة والضالة ويقودها ويقويها الشيطان، وفوضى النظام العالمي الذي يدعو ويكره الدول وفق نظرية الواقعية الدفاعية إلى القتال والحرب والتصرف بطريقة دفاعية تحافظ على توازن القوى وتؤمن بقاءها هذه الفوضى أيضا يقودها ويقويها الشيطان.

في الشهور الماضية قتلت قوات الاحتلال ما يزيد علي المائة من المتظاهرين السلميين في مسيرة العودة الكبرى، وأصابت الآلاف بالذخائر الحية والرصاص المطاطي والغاز (لا يعلم تحديدا نوع الغاز الذي تم استخدامه بشكل متزايد من قوات الاحتلال، إلا أن أثاره الخطيرة تتمثل في نوبات تشنج عنيف وإجهاد عام). الجرائم التي ارتكبتها دولة الاحتلال في مسيرة العودة الكبرى في حقيقة الأمر كانت أكثر من ذلك، حيث قامت قواتها بإصابة وقتل المدنيين من النساء والأطفال، وقتل الإعلاميين، وقتل الكوادر الطبية مثل المسعفة "رزان النجار"، بل أن إجرام الدولة المحتلة وصل إلي قتل ذوي الاحتياجات الخاصة والمعوقين.

من وجهة نظر القانون الدولي فان الاتفاقيات الدولية منحت حق الحماية للمتظاهرين السلميين، والنساء والأطفال، ولذوي الاحتياجات الخاصة والمعوقين، كما نص علي ذلك إعلان الأمم المتحدة الذي أكد علي ضرورة توفير حماية خاصة لهم (ينص إعلان الأمم المتحدة في المادة 58 من البروتوكول الإضافي الأول، أن الاعتداء علي

أشخاص عاجزين عن القتال يعتبر جريمة حرب) .لم تلتزم دولة الاحتلال (وهو أمر متصور ومتوقع)باحترام وتطبيق أحكام اتفاقيات جنيف الأربعة لعام 1949 بالرغم أنها صادقت عليها ، أو أحكام النظام الأساسي لمحكمة الجنائيات الدولية ، وقانون لاهاي والإعلان العالمي لحقوق الإنسان واتفاقيات مناهضة الجرائم الدولية ، واتفاقيات حظر الأسلحة المحرمة دوليا ، واتفاقيات حقوق المرأة والطفل.
.. إن ما قامت به دولة الاحتلال هو انتهاك بكل المعايير للمواثيق والاتفاقيات والأعراف الدولية ، التي تقرر مبدأ الحماية الدولية للمدنين، ليس ذلك وحسب بل أنها في فعل مجرم أيضا كانت تثمن بلاء قواتها ، والاحتراف الذي بلغته في قتل المتظاهرين السلميين وهو ما يؤكده " أفيغدور ليبرمان" الذي يقول: (إن جنودنا احترفوا قتل المتظاهرين علي الحدود الشرقية في قطاع غزة) ! !لم يكن معني الحماية التي تعرف في فقه القانون الدولي، بأنها الإجراءات التي تتخذها الهيئات الدولية إزاء دولة ما ، للتأكد من مدي التزامها بتنفيذ ما تعهدت والتزمت به في الاتفاقات الدولية لحقوق الإنسان والكشف عن انتهاكاتها ، ووضع مقترحات أو اتخاذ إجراءات لمنع هذه

الانتهاكات، لم يكن هذا المعني موجودا في مسيرة العودة الكبرى أو غيرها، ولم تتخذ الهيئات الدولية أية إجراءات لمنع المخالفات والانتهاكات ضد دولة الاحتلال الغاصبة. ومع هذا فإن دولة الاحتلال (فيما هو منظور)تعتبر أنها بلغت من القوة العسكرية والتقنية، ما يمنع معها الالتزام بأية قوانين أو أعراف أو مواثيق دولية، وهي من ثم غير معنية بالتقيد أو الالتزام بقانون أو ميثاق. وليس عدم إنفاذ دولة الاحتلال للقوانين الدولية، الذي تعتبره هي من القوة التي بلغتها (مع أن الواقع يؤكد أن قطاع غزة يمثل صداعا مزمنا لها، وألما موجعا في خاصرتها، وهي الحقيقة التي يزيد من مضمونها المرابطون في قطاع غزة) ولكن عدم التزامها يشير من ناحية ثانية إلي الضعف الذي يعتري المنظومة الدولية، التي لا تستطيع إنفاذ مبدءا الحماية الدولية للمتظاهرين السلميين، والنساء والأطفال والمعوقين !أو اتخاذ أي إجراء دولي ضد هذه القوة المتمردة علي القوانين والأعراف ! والتي تفرض وجودها وطبيعتها الإجرامية والسارقة بقوة النيران ! يمكن مقاربة ذلك بأمرين أثنين :أولا هو حجم التعامل أو بالأحرى التواطؤ الكبير مع دولة الاحتلال، حيث ترتبط

العديد من الدول الموقعة علي الاتفاقيات والمواثيق الدولية، مع الولايات المتحدة ودولة الاحتلال بمصالح وأهداف مشتركة في المنطقة، وهو ما يجعلها تتغاضى وتتعامى طوعا أو كرها عن جرائم ودموية الاحتلال حتى وإن كانت توقن بعدم شرعية الاحتلال ودمويته المفرطة. الأمر الثاني هو لغة التهديد والترهيب ورفع العصا، التي تستخدمها الولايات المتحدة (باعتبارها قوة عظمى) بتوقيع وإنزال العقوبات الاقتصادية أو العسكرية، ضد أي دولة في المجتمع الدولي يمكن من شأنها أن تهدد أو تمس الأمن القومي لدولة الاحتلال.

العرش والبقاء وطرح" ميرشايمر "

تعتبر نظرية الواقعية الهجومية أن القوة هي الأساس والركن الرئيس لبقاء الدولة، وهي بهذا الاعتبار تتفق مع الواقعية الدفاعية إلا أن الجديد الذي أتي به منظر النظرية "جون ميرشايمر" هو السؤال عن المقدار الذي تحتاجه الدولة.

النظام الدولي (في طرح الواقعية الهجومية) يجبر القوى العظمى على تعظيم وزيادة قوتها النسبية. ويرى "ميرشايمر" في ذلك أن أفضل تلخيص للواقعية الهجومية، هو ما سبق إليه "ج. لويس ديكنسون" في كتابه (الفوضى الأوروبية) الذي يقرر فيه أن السبب الرئيس للحرب العالمية الأولى ليس ألمانيا أو أى قوة أخرى، وإنما هو حالة الفوضى الأوروبية.

اعتمد "جون ميرشايمر" في نظرية الواقعية الهجومية على خمسة فرضيات تفسر التنافس على القوة بين الدول العظمى وسعيها لتعظيم القوة.

الفرضية الأولى:

يفترض " ميرشايمر "أن النظام الدولي هو نظام فوضوي بالأساس، لكن ذلك لا يعني انه مشوش أو يمزقه الاضطراب.

الفرضية الثانية :

تعتقد هذه الفرضية أن الدول العظمى بما لها من قوة عسكرية ومادية، قادرة على أحداث الأذى والضرر وربما التدمير التام فيما بينها، حتى إن لم تكن للدولة قوة عسكرية بالضخامة التي تمكنها الانتصار فان السكان بأنفسهم يشكلون قوة بشرية للدفاع والهجوم، إذ أن لكل رقبة يدان تخنقاها.

الفرضية الثالثة :

لا تستطيع الدول مهما بلغت قوتها والقوة المعلوماتية بها، من التيقن الكامل بأي هجوم ربما يقع عليها، بل استحالة التكهن بما يضمره أصدقاء اليوم.

الفرضية الرابعة :

يعتبر الأمن وسلامة الدولة وبقاءها هو أسمى الأهداف والأولويات، وقد عبر "ستالين" عن ذلك بقوله: أننا نستطيع أن نبني الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي، بل يجب أن نبنيها لكن علينا أولا أن نضمن وجودنا.

الفرضية الخامسة :

وهى الفرضية التي تدفع بأن القوى العظمى فاعل يتسم بالعقلانية، ويدرك مكونات البيئة الخارجية المحيطة به ويضع من الاستراتيجيات ما من شأنه أن يمكنه من البقاء فيها، وعلى وجه الدقة فإنها تتفاعل مع الدول الأخرى وتراقب أنماطها وكيف يمكن أن يؤثر سلوكها على سلوك الدول الأخرى، وكيف يمكن لسلوك الدول الأخرى أن يؤثر على استراتيجيتها للبقاء كما تأخذ الدول في حسبانها النتائج بعيدة المدى والآنية لأفعالها.

مع هذا فإن هذه الفرضيات إذا تم إسقاطها بصورة منفردة، لا تكون في رأي "ميرشايمر" مبررا قويا يتوجب معه أن تتصرف الدول بالسلوك العدائي فيما بينها، ولكن تكون موجبة لذلك إذا اجتمعت كلها في دولة واحدة، وينشأ نتيجة لذلك ثلاثة أنماط من السلوك وهي:

1_ الخوف

بمعنى عدم وضع الثقة الكاملة في أي دولة مهما كانت درجة الصداقة والتعامل معها، لأنه من الممكن أن يكون أصدقاء اليوم هم أعداء الغد. الخوف هو الذي جعل كل من المملكة المتحدة وفرنسا تنظران بالريبة

والشك لألمانيا بعد توحيدها، رغم أن الدول الثلاثة كانوا حلفاء مقربين لمدة خمسة وأربعين عاما.

2_الاعتماد على الذات

في مجال السياسة الدولية يساعد الله من يساعدون أنفسهم فقط، وهذا التأكيد بالاعتماد على الذات لا يمنع الدول من تكوين تحالفات، لكن التحالفات أيضا عبارة عن زيجات مصالح مؤقتة فقد يتحول حليف اليوم إلى عدو الغد، وعدو اليوم إلى حليف الغد.

3_تعظيم القوة

القوى العظمى تناضل من اجل زيادة قوتها على منافسيها على أمل أن تكون دولة مهيمنة، وحين تبلغ تلك المكانة الرفيعة تصبح الدولة من قوى الوضع الراهن، والدولة المهيمنة هي دولة بلغت من القوة ما يمكنها من السيطرة على كل الدول الأخرى في النظام، ولا تمتلك دولة أخرى الموارد العسكرية اللازمة لخوض حرب كبرى ضدها، عليه فإن الدولة المهيمنة تكون فعليا القوة العظمى الوحيدة في النظام.

مع ذلك فإن الدول التي تبدأ الضربات الاستباقية سواء ضد دولة أخرى أو ضد أعداء حقيقيين أو مفترضين داخل حدود

الدولة مع ملاحظة ان دائرة الافتراض دائما تكون أكبر من المعتاد أو الحقيقي (وهذا هو المؤلم والمحبط في آن واحد إذ أن معظم الدول في العالم وخوفا على العرش، لا تنظر إلا بمنظار واحد هو الريبة وظن السوء، ونظرة واحدة على أعداد المعتقلين والفارين من بطش الأنظمة البوليسية وأنظمة الجنرالات والدكتاتوريات، تؤكد تلك الحقيقة)لا تعدم أن تعاني من معضلة تجعلها تقوم ببداية هذا السلوك العدائي، هذه المعضلة على الأرجح هي ضعف النظام الحاكم أو انعدام الثقة لديه بمن حوله وبما يضمرون من نوايا أو بالاثنين معا. ورغم أن الضربات الاستباقية في الحرب هي من أنجع الوسائل للدول في تحقيق النصر، إلا أن ذلك لا يمنع من حقيقة الضعف لديها بما تنطوي عليه تلك الوسيلة نفسها من عناصر المفاجأة والمباغتة.

يمكن القول أن الواقعية الهجومية تتخذها بشكل واضح الولايات المتحدة وإسرائيل. إسرائيل مثلا تستخدم الضربات الهجومية والاستباقية فيما هو منظور ومتوقع أكثر من الضربات الدفاعية، بل إن الاستراتيجية التي يقوم عليها جيش الدفاع الإسرائيلي هي الضربات الهجومية والاستباقية لتعظيم حالات بقاء دولة الاحتلال. إن مثال إسرائيل الغاصبة يمثل

حالة السعي لفرض الهيمنة بالهجوم والضربات الاستباقية من أجل البقاء في أوضح صورها .وينطبق ذلك على غيرها في أي مكان .

الغوطة الشرقية وشقشقة اللسان

قدر الطغاة والمستبدين (الاستبداد صفة من الصفات المرذولة التي يتصف بها اغلب حكامنا، ودائما يقترن ذلك الاستبداد بالبطش الشديد والقتل الذريع لمن يعصون نهجهم ويخالفون شهواتهم، ولا أشد شهوة في ذلك وأعظم، من التي في السلطة والحكم) قدر الطغاة والمستبدين هو أن يلاقوا النهاية الشنيعة، مهما امتد بهم الزمان، ويكون مصيرهم وحتفهم الذي هم ملاقوه من أسواء الخواتيم والنهايات!

ومن اشد وأهول وأوجع المآسي، التي نعايشها من هؤلاء الطغاة هو ما كان في الأيام الماضية عندما استهدفت القوات الروسية ونظام الأسد والعناصر الإيرانية، الأبرياء والمدنيين العزل في مدينة دوما في الغوطة الشرقية ورشقتهم بالصواريخ والأسلحة الكيمائية المحرمة، وفعلت بهم مأساة ينخلع لها القلب، ومع هذا فإنهم كانوا يتحججون بادعاءات مختلقة بعد أن فعلوا فعلتهم !

ليست هذه المرة الأولى التي يستخدم فيها الطغاة الأسلحة الكيمائية، مثل غاز الكلور والسارين في محاولة كتم أنفاس

الثوار وإخماد دعوات تغيير النظام، المطالبة بالحق المشروع في الحرية والعدالة وقد تمكنوا بالفعل من القضاء على أخر معاقلهم، لكن النظام تعدى ذلك إلى التغيير الديموغرافي الكامل، والإبادة الجماعية للسوريين المغضوب عليهم.

القرارات التي أصدرها مجلس الأمن والأمم المتحدة، لردع الطغاة من استئناف بطشهم بحق المدنيين والأطفال مثل القرار رقم 2118 الذي يدعو لحظر السلاح الكيمائي واستخدامه في الأعمال القتالية، والقرار رقم 2139 الذي يطالب بوقف القصف الجوي، والمشرع لعمليات العبور الإنساني عبر الحدود، وعبر جبهات القتال وإلى المناطق المحاصرة والقرار 2209 الذي أدان استخدام غاز الكلور في قصف المدنيين، أيا من هذه القرارات لم توقف عمليات القتل المروعة، والإبادة الجماعية التي تقوم بها روسيا وإيران وأشباه الحيوان من بقايا نظام الأسد! ومع هذا فإنها تعلن صراحة فشل المجتمع الدولي وعجزه الكامل في تحقيق الحماية للمدنيين، التي يتشدقون بها ولا يزالون! وتعلن قبل هذا عن موت الضمير الإنساني، حيث تعلو المصالح والمكاسب على أي قيمة إنسانية! وتصبح من ثم هذه القرارات شقشقة لسان

يتحدث بها المجتمع الدولي في ذلك النادي الكبير.

في حقيقة الأمر لا توجد إرادة دولية حقيقة جادة لإدانة وتجريم نظام الأسد، بعد أن احتمي هذا النظام أو بالا حرى رهن نفسه لروسيا وإيران، ولا توجد إرادة دولية حقيقية وجادة لمنع روسيا ونظام الأسد من استخدام الغازات السامة، مثل غاز الكلور الذي قضى على عائلات بأكملها في الغوطة الشرقية ! لأن روسيا ذاتها تجمع بين الخصم والحكم باعتبارها من الدول الخمسة، التي تملك حق النقض حتي وان كانت هي المعتدية.

من ناحية أخري، فان دماء هؤلاء الأبرياء تفرقت بين اتهامات وتهديدات وقرارات الولايات المتحدة، ورفض روسيا القاطع لتلك الاتهامات الموجهة للنظام السوري باستخدام غاز الكلور والأسلحة الكيمائية، إلى الحد الذي ابدي فيه الجنرال "يوري يفتوشينكو" الاستعداد لإرسال خبراء في مجال الدفاع الإشعاعي والكيمائي والبيولوجي لجمع المعلومات !وان لم تكن هذه البجاحة فلا أدري كيف تكون!

الولايات المتحدة وناديها الكبير (الأمم المتحدة)دفعت بالكل في هذه المحرقة، فمنعت السلاح النوعي عن الجيش السوري

الحر حتي يتم سحق الثوار والقضاء علي كافة فصائلهم، ومهدت من ثم لوقوع الروس وإيران في حروب استنزاف طويلة، مما يضيف عليهما أعباء اقتصادية وإنهاكا عسكريا تاما، في حروب لا احد يعلم متى تنتهي، والمحصلة في ذلك هو تحقق بقاء وامن حليفتها الشيطان إسرائيل.

وارجع إلى القول الأول فإن قدر الطغاة والمستبدين هو أن يلاقوا النهاية الشنيعة، مهما امتد بهم الزمان، ويكون مصيرهم وحتفهم الذي هم ملاقوه من أسواء الخواتيم والنهايات.

الغوطة الشرقية وشقشقة اللسان 2

إتماما لحديثي في المقال المنشور الاسبوع الماضي، الذي ذكرت فيه أن مصير الطغاة والمستبدين مهما امتد بهم الزمان سيكون شنيعا ومروعا، وان نظام الأسد وحلفاؤه الروس وإيران، هم من الطغاة الذين ارتكبوا أفظع جرائم الحرب على مدى سبع سنوات، وكان من جملة الأهوال والمآسي التي فعلوها والتي ينخلع لها القلب، هو تقتيلهم الأبرياء في الغوطة الشرقية خنقا بغازات الكلور والسارين المحرمة دوليا، وذكرت أن قرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة التي توحي بالجدية والأخذ على أيدي الظالمين ومعاقبتهم، إنما هي شقشقة لسان يتقاذفونها في ناديهم الكبير، وهي وإن كان ظاهرها مناصرة وحماية المدنيين والأبرياء وحقوق الإنسان، إلا أنها في واقع الأمر تعلن صراحة عن موت الضمير الإنساني، واللامبالاة بحقوق الإنسان التي يتشدقون بها، مهما كانت في ذلك فظاعة وبشاعة الجرائم التي ترتكب ضد الإنسانية!

إتماما لذلك، فقد وصفت رئيسة الوزراء البريطانية "تيريزا ماي" العملية

العسكرية التي قامت بها الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، يوم السبت الماضي على دمشق، والتي كانت تستهدف المنشآت المتوقع بها مخزون الأسلحة الكيمائية، وصفتها بأنها عملية محدودة ولا تستهدف تغيير الحكومة السورية، وإنما ردعها عن استخدام الأسلحة الكيمائية! أول ما يستشف من حديثها هو القبول الضمني باستمرار القتل والإبادة الجماعية والتهجير في سوريا، لأن الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا لا يعنيها في الأمر الذي جيشت له جيوشها إلا تدمير الأسلحة الكيمائية، أما غير الكيمائية فإنه لا شان لها بها، حتى وإن تواصلت أعمال القتل والإبادة بالأسلحة التقليدية سبعة سنوات كاملة أخرى! وهذا من شأنه أن يجعلهم في حالة واحدة مع الطغاة والقتلة الحقيقيين (نظام الأسد وحلفاؤه)، وكان الذي يفترض أن تقوم به هذه الدول الثلاثة هو تدمير الأسلحة الكيمائية، وتدمير النظام الذي يستخدم الأسلحة الكيمائية وغير الكيمائية؛ لأن الأبرياء والمدنيين يموتون بالأسلحة الكيمائية بغازات السارين والكلور، ويموتون بغيرها، وهي فيما أرى، استراتيجية ونهج تتخذه الولايات المتحدة، تحاول به كسب رضا جميع الأطراف دون الانزلاق في مواجهة مكشوفة مع روسيا

وإيران، وهو نفس النهج الذي دعا "باراك أوباما" لأن يعقد اتفاقا مع روسيا، يتم بموجبه تسليم مخزون الأسلحة الكيمائية إلي منظمة حظر الأسلحة الكيمائية على أن تلغى عملية الهجوم المزمعة إذ ذاك، في وقت كان الجيش الأمريكي يعلن جاهزية تامة.

غير أنه لا شيء يضمن ل "ماي" عدم عودة النظام الذي لم تستهدف العملية العسكرية تغييره حسب ما ذكرت في قولها، إلى استخدام هذه الأسلحة الكيمائية ليتابع بها أعمال القتل والإبادة، ومع هذا فإنها ليست المرة الأولي التي يقصف فيها النظام وحلفاؤه المدن السورية بالأسلحة الكيمائية، لا شيء يضمن ذلك أو يتوقع من النظام الدموي الذي هجر ما يقارب اثني عشر مليون من السوريين خارج سوريا، وقتل مئات الآلاف منهم في أسوا المذابح التي ترتكب بحق المدنيين.

وفي الوقت الذي تواجه فيه الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا أزمات وضغوطا داخلية، مثل الضغوط التي تتعرض لها "ماي" من تداعيات استفتاء البريكست وقتل الجاسوس الروسي "سكريبال"، والضغوط التي تواجه" ترامب" بسبب فضيحة تزوير

الانتخابات الرئاسية، التي يلاحقه فيها مكتب التحقيقات الفيدرالي الذي يؤكد تورط روسيا في التخطيط والتخريب السيبراني للتأثير في العملية الانتخابية، وتواطؤ "ترامب" وجنرالات في الحكومة الأمريكية مع "بوتين"، والضغوط التي يواجهها "ماكرون"، الذي أعلن أمام العالم في العام الماضي أنه (إذا وضعت خطوطا حمراء، وكنت غير قادر على فرضها، فإنك من تقرر أن تكون ضعيفا) فإن تدمير الأسلحة الكيمائية، يمثل لهم مخرجا مناسبا لصرف الأنظار عن أزماتهم الداخلية أولا، ويؤكد من ثم هذا المخرج قيادتهم وظهورهم بمظهر قوي وأمين أمام العالم ثانيا، ولأنهم يدافعون عن حقوق الإنسان ويعملون علي وقف نزيف الدم العربي المباح ثالثا.

حالة خوف

في مقاله المنشور 3/ 9 في موقع عربي 21 بعنوان (عندما كان نتنياهو مهزوما وضعيفا ..واهتز قلب كيري له !!) ذكر الأستاذ "فراس أبو هلال" أن وزير الخارجية الأمريكي السابق "جون كيري" اخبر في كتابه الأخير عن حياته السياسية، أنه عندما التقي بنتنياهو أثناء العدوان علي غزة عام 2014 للحديث عن الهدنة، أنه لأول مرة يرى نتنياهو مهتزا وهشا، وبغير طاقته المعهودة، وأن مشهده بهذه الصورة قد "مسه "! لأنه من الصعب عليه أن يرى زعيم إسرائيل على هذه الهيئة.

وذكر الأستاذ " فراس" أن الإدارة الأمريكية السابقة لم تكن علي وفاق تام مع نتنياهو، أما أن يصرح الوزير "كيري" أن مشهد زعيم إسرائيل قد مسه، فهو ما يعني أنه مهما كان عدم الوفاق والاتفاق بين الإدارتين، إلا أن الإستراتيجية الأمريكية في كل الأحوال لا تقبل بأي هزيمة أو انكسار لإسرائيل وزعيمها، وأن العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل تقوم علي ضمان أمن دولة الاحتلال وتفوقها الاستراتيجي بأي ثمن، وذهب سيادته في إجابة على سؤال لماذا كان نتنياهو بهذه الصورة من

الهزيمة والضعف أثناء عدوان 2014 دون غيره من الأوقات، إلى الحد الذي يتألم فيه "كيري" اشد الألم، ذهب إلى أنه كان بهذا الضعف والاهتزاز، لأنها من المرات القليلة التي يشعر فيها نتنيا هو أن احتلال فلسطين له ثمن، وأن الاشتباك بين الشعب الفلسطيني المحتل مع الصهاينة بأي وسيلة ممكنة وقانونية، هو وحده الكفيل بتدفيع حكومة الاحتلال ثمنا لجرائمها وممارساتها القمعية، وذكر سيادته أنه لا يهم نوع الاشتباك، فالمهم هو أن يدفع الاحتلال كلفة سياسية وأمنية واقتصادية، وأن يخسر شرعيته، وأن يلاحق القتلة من سياسييه وعسكرييه قانونيا، وان يعاملوا كما يستحقون كمجرمي حرب وهو ثمن لا يمكن أن يحصل بمجرد الأمنيات ولا بالتصريحات، بل بالاشتباك الذي يعيد للصراع معناه الحقيقي.

الحقيقة أن الأستاذ "فراس" محق في كل ما ذكر، ومع هذا ليس لي إلا أن أضيف إلى رأيه والذي لا أشك في نصاعته، أن الصراع العربي الإسرائيلي اعتمدت فيه إسرائيل أكثر شيء على حرب البدايات أو الضربات الاستباقية، التي تقوم علي طريقة المباغتة والمفاجأة، وهذا ادعى لها (كما يقول الخبراء) في تحقيق الانتصار وكسب المعركة من أول ضربة ومع ذلك يمكن القول

أن عمليات الاغتيالات والتصفية للقادة والسياسيين والعلماء، الذين يعتقد صناع القرار في إسرائيل، أنهم مصدر خطر وقلق يمكن من شانه أن يهدد الأمن القومي الإسرائيلي لذلك تتم تصفيتهم، يمكن القول أنها أيضا ضربات يقصد بها تدمير الطرف الأخر، ويقصد بها إطالة أمد الاحتلال، كل ذلك يصاحبه تفوق عسكري وتقنية عسكرية متقدمة.

غير أن هذا النوع من الحروب التي يدمر فيها الطرف الأخر تدميرا كاملا أو جزئيا في أسواء تقدير، تستخدمه إسرائيل أو أي طرف فيما أتصور، إذا كان إما في حالة مفرطة من الخوف والرعب، أو في حالة مفرطة من الثقة والقوة، والمرجح هنا هو الافتراض الأول، وهو حالة الخوف والارتعاب، وهو السبب الرئيسي لاستخدام الضربات المباغتة والإستباقية، ومع ذلك فانه رغم إسرائيل متفوقة إلى حد كبير في الناحية العسكرية، وربما تتفوق علي الدول العربية مجتمعة بما بلغته من تطور في التقنية العسكرية، إلا أنها تفتقد الثقة والطمأنينة، ويأخذها القلق والخوف كل مأخذ، مهما حاولت أن تفرض وجودها وذاتها عن طريق الأوهام واستخدام العنف، وما ذكره الأستاذ "فراس" من حالة الاهتزاز والضعف الظاهرة على نتنياهو، والتي مست

وآذت "كيري"، تؤكد أن خيار الحرب والصراع هو خيار إكراه وخوف من الطرف الإسرائيلي، وتلجأ فيه إلي خيار الضربات الاستباقية داخل فلسطين وخارجها ، والأمثلة علي ذلك كثيرة في تاريخ الصراع.

ومع ذلك رغم البون الشاسع بين الواقع الذي وصلت إليه الدول العربية والإسلامية بما ينطوي عليه هذا الواقع من اقتتال وحروب بلا هوادة بين بعضها البعض، وبين الواقع الذي كان من المفترض أن تكون عليه من القوة والجاهزية لسحق العدو، لكن هذا لا يمنع أو ينفي حقيقة الخوف لدي الإسرائيليين، وهو ما تفضل بالإبانة عنه الأستاذ " فراس"، الذي نقل عن الوزير "كيري" أنه رأى أمارات الضعف والهزيمة على نتنياهو، وهو ما كان صعبا عليه أن يرى زعيم إسرائيل علي هذه الهيئة.

تلك النهاية الحزينة

من بين أبيات الرثاء المعبرة والصادقة في الشعر العربي التي استوقفتني كثيرا، أبيات الشاعر "عبد السلام بن رغبان" الملقب بديك الجن، تلك التي يرثي فيها زوجته "ورد بنت الناعمة"، وهي من القصائد التي يكمن سر خلودها وبقائها (شأن كل القصائد الدرر والخوالد) يكمن بقاؤها فيما انطوت عليه من وصف صادق لكل مشاعر الحزن والألم والندم التي عاش تفاصيلها ديك الجن بعد أن أغمد سيفه في زوجته التي خانته في نفسها كما كان يتصور، وهي التي تبين لاحقا، أنها بريئة كل البراءة من تلك الجريمة الأخلاقية التي رميت بها، وأنها كانت ضحية للأكاذيب ومشاعر الحقد والحسد !

وخبر مأساة ديك الجن، (من المناسب هنا أن نوضح سبب تسمية الشاعر بهذا اللقب، فهناك من يقول أن ديك الجن لقب أطلق عليه لأن عينيه خضراوان، وهناك من يرى سببا آخر للتسمية، مثل" الدميري" فيما ينقله عن الإمام "زكريا القزويني" صاحب

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، الذي يرجع سبب التسمية إلى أن ديك الجن هو دويبة توجد في البساتين، وأن الشاعر غلبت عليه هذه التسمية لخروجه كثيرا إلى البساتين، ومنهم من ذهب إلى أن أصل تغليب اللقب عليه، يعود إلى قصيدة قالها في رثاء ديك عمير، وكان هذا قد ذبحه وأولم به إلى جماعة من الناس) خبر المأساة كما ذكر "ابن خلكان" في وفيات الأعيان، أن الشاعر التقى بحسناء نصرانية تدعى "ورد بنت الناعمة"، وأصبحت شغله الشاغل في قومته وقعدته، وسره وجهره، لجمالها الكامل، ثم إنه دعاها إلى الإسلام فأسلمت على يده، وتزوجها بعد ذلك وكانت كل شيء في حياته حتى إنه يقول:

انظر إلى شمس القصور وبدرها

وإلى خزاماها وبهجة زهرها

لم تبك عينك أبيضا في أسود

جمع الجمال كوجهها في شعرها

وامتدت الأيام بهما زوجين حبيبين سعيدين يزداد حبهما كل يوم، إلى أن نزلت بديك الجن ضائقة مالية، قلبت أموره رأسا على عقب، فرحل إلى سلمية قاصدا " أحمد بن علي الهاشمي" وأقام عنده مدة من الزمن، وكان له ابن عم هو "أبو الطيب" يضمر له البغضاء بسبب هجائه له، وحملته الكراهية والبغضاء على أن أذاع على "ورد بنت الناعمة" أنها تعشق غلاما عشقا شديدا، و أوصل ذلك الخبر عن قصد وتدبير وسوء طوية إلى أهل الشاعر وعشيرته وجيرانه، وانتشرت الشائعة حتى وصلت "عبد السلام"، الذي رجع على الفور إلى حمص ليقف على حقيقة الحال، وذهب ابن عمه لملاقاته وعنفه على تمسكه ب" ورد"، المرأة الفاجرة اللعوب فارغة العين، التي ملأتهم عارا وسوء سمعة، وأشار عليه بطلاقها، فلما نزل "عبد السلام" منزله وألقى ثيابه، سألها عن الخبر وأغلظ عليها غلظة شديدة، فأجابته بنفي القصة وأنها لا تعلم شيئا من القصة المتناقلة وإفكها، إلا أنه قام إلى سيفه وضربها به في الحال، وتأكد للشاعر بعد الحادثة بما لا يدع مجالا للريب والظن، أن في الأمر مكيدة حاقدة دبرها له ابن عمه الخبيث، فندم على قتلها أشد الندم ومكث شهرا يبكيها، ولا يطعم من الطعام إلا ما يقيم رمقه، يقول

ديك الجن في أبياته التي تفيض أسي وحزنا :

يا طلعة طلع الحمام عليها
وجنى لها ثمر الردى بيديها

رويت من دمها الثرى ولطالما
روي الهوى شفتي من شفتيها

قد بات سيفي في مجال وشاحها
ومدامعي تجري على خديها

فوحق نعليها وما وطي الحصي
شيء أعز علي من نعليها

ما كان قتليها لأني لم أكن
أبكي إذا سقط الغبار عليها

لكن ضننت على العيون بحسنها

وأنفت من نظر الحسود إليها

والواقع أن فصول هذه المأساة هي مثال جيد لعدم الاندفاع والتريث، حتى يتبين المرء الحقيقة الناصعة، وللأسف مثل هذا الاندفاع الذي يقود إلى طمس البصر والبصيرة، يقف خلفه دائما ذوي الغرض والنفوس المريضة وبطانة السوء، التي تنقل الأخبار الكاذبة والمضللة على أنها حقائق دامغة لتحقيق أهدافهم المرذولة، وهو الاندفاع الذي يؤدي في النهاية لإزهاق أرواح الأبرياء دونما ذنب، وأن يموت الآلاف من الناس نتيجة الأخبار المكذوبة والملفقة والتي يقف خلفها أفراد أو جهات أو حتى دول...، على أية حال تبقى أبيات ديك الجن صادقة ومعبرة لحجم الألم والندم الذي عاشه شاعرنا، بعد أن فقد زوجته وحبيبته "ورد" التي كانت ضحية للأكاذيب والأقاويل المغرضة، وتبقى أبياته الموجعة، من الدرر والروائع الخالدة في الشعر العربي.

ماذا تحمل "نانسي بيولسي " في حقيبتها ؟

في الايام القليلة الماضية قامت السيدة" نانسي بيلوسي" رئيسة مجلس النواب الأمريكي بأخطر زيارة لها في تاريخ العلاقات الأمريكية الصينية، الى اليابان وكوريا الجنوبية وسنغافورة وماليزيا وتايوان، وفي ظروف التوتر المتبادل بين القوتين العظميين وفي ظل الحرب الدائر رحاها بين روسيا الحليف الاول للصين ووواوكرانيا التي تدعمها الولايات المتحدة.

ومن دلالات خطورة هذه الزيارة المثيرة للجدل ان رافقتها عدة تأويلات وتهديدات ونداءات . الرئيس الأمريكي السابق "ترامب" نصح "بيولسي" بعدم زيارة تايوان قائلا: ان الزيارة "ستجعل الأمور أسوأ فقط" وان "الهدف من تدخلات" بيلوسي "في قضية تايوان هو خلق المشاكل وكسب المال فقط"، اما المتحدث بإسم البيت الأبيض للقضايا الاستراتيجية فقد ذكر ان من حق رئيسة مجلس النواب الأمريكي ان تزور تايوان لكنه رجح ان تكون الصين في

حالة " تموضع " لاستعراض قوة عسكري محتمل حول تايوان ربما يتخلله اطلاق صواريخ في مضيق تايوان أو حول تايوان.

اما بكين فانها ترى الزيارة مجرد استفزاز تقوم به الولايات المتحدة وأكدت وزارة الدفاع الصينية أنها "لن تقف مكتوفة اليدين" إذا قامت رئيسة مجلس النواب الأمريكي بالزيارة لانها تنتهك مبدأ (صين واحدة) وبنود البيانات الثلاثة المشتركة بين الصين والولايات المتحدة. اما الرئيس الصيني فقد دعا إلى عدم اللعب بالنار بشأن تايوان وقال: ان من يلعبون بالنار سيحرقون انفسهم وآمل ان يدرك الجانب الأمريكي تماما هذا الامر.

النشطاء الصينيون توعدوا " بيولسي " اذا أتت تايوان بإرسالها إلى الله. فمن هي "نانسي بيولسي" و ماذا تحمل في حقيبتها ؟

" نانسي بيولسي" هي الفتاة الوحيدة والاصغر بين سبعة أطفال في عائلة ايطالية امريكية ولدت امها في كامبو باسو جنوب ايطاليا ووالدها أصوله إيطالية تمتد الى جنوى والبندقية.

وهي سياسية ومن المعارضين البارزين لحرب العراق والمعارضين ايضا لمحاولة إدارة "بوش" عام 2005 خصخصة الضمان الاجتماعي

جزيئا وخلال فترة رئاستها الأولى لعبت دورا فعالا في إصدار العديد من مشاريع القوانين الهامة مثل قانون الرعاية الصحية الأمريكية وقانون الانتعاش وإعادة الاستثمار الأمريكي لعام 2009 وقانون الإعفاء الضريبي لعام 2010

وهي ايضا سياسية أمريكية في الحزب الديمقراطي وتعد أول امرأة في تاريخ الولايات المتحدة تشغل منصب رئيسة مجلس النواب الأمريكي وحصلت على الدكتوراه الفخرية من جامعة برانديز كما حصلت على جائزة الشخصية لشجاعة عام 2019

وحتى نجيب على السؤال وعنوان هذا المقال فانه لا بد ان نأتي على مقارنة سريعة بين هذا التصعيد المتسارع الخطى وبين تصعيد اخر مماثل من جانب الإدارة الأمريكية السابقة مع دولة آسيوية ايضا ، وأعني بهذه المقارنة ما جرى بين المعتوه"ترامب" والفتى السمين "كيم جونغ" كما كان ينعت كل منهما الآخر حينذاك.

فقد كان التصعيد الاخير بين بيونغ يانغ وواشنطن وصل الى حد التهديدات الكلامية المتبادلة (مثلما يحدث الآن) بعد ان نفذت كوريا الشمالية تجربة اطلاق صاروخ باليستي يمكنه ان يصل إلى اجزاء من

الولايات المتحدة الأمريكية، ففي الوقت الذى يرى فيه باحثون ومؤرخون من كوريا الشمالية ان زعيمهم ورئيسهم ابعد ما يكون عن الجنون بل أن "ترمب" هو الشخص الذي لا يمكن التنبؤ بتصرفاته فان السيناتور "جون ماكين" كان يصف الزعيم الكوري "كيم جونغ أون" وقتها بالفتى السمين الأخرق.

ورغم كل التهديدات والتراشقات الكلامية والتنابز القبيح والتأهب للدرجات القصوى التي اعلنها كلا البلدين إذ ذاك بما يصور ان حربا نووية وشيكة ستندلع بينهما وستقضي على الأخضر واليابس بل تهدد بفناء البشر والعالم بأجمعه فإن الفتى "اون" كما يسميه "ماكين" إنما كان يخطط في واقع الأمر لاستنزاف الإدارة الأمريكية اقتصاديا ومعنويا

ومن دلالات هذه الحقيقة الموجعة للإدارة الأمريكية ان كوريا الشمالية هددت بالانسحاب من المعاهدة الدولية في عام 1985 في وسيلة منها لمواجهة الضغط الذي تتعرض له من الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية واليابان وفي عام 1993 نفذت التهديد بالفعل وقد نجحت وقتها الإدارة الأمريكية في التوصل الى حل سلمي للازمة تلتزم فيه كوريا الشمالية بتجميد

برنامجها النووي مقابل اموال توفرها الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية لسد حاجتها للطاقة إلا انها اعلنت في عام 2003ث انسحابها من الإلتزام بالمعاهدة الى ان تمكنت الولايات المتحدة في عام 2005 بعد محاولات مستميتة في مباحثاتها مع كوريا الشمالية التي علقت المفاوضات إلى اجل غير مسمى تمكنت الولايات المتحدة من اصدار إعلان بكين لتسوية الأزمة الذي تضمن عددا من المبادئ منها التزام كوريا الشمالية بتجميد برنامجها النووي مقابل ضمانات امنية واقتصادية وبعد يومين اعلنت كوريا تخليها عن الإلتزام والاتفاق وتتابعت هذه المتوالية بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية.

أما في المثال التايواني فان الفتى السمين الأخرق ربما يمثله هنا الولايات المتحدة التي تمثل دور إشعال الفتنة واختلاق المشاكل كما يزعم "ترمب" الذي كان معتوها في نظر الباحثين والمؤرخين الكوريين الشماليين.

عدد سكان تايوان يبلغ ثلاثة وعشرين مليونا ويعيشون تحت تهديد دائم من غزو صيني محتمل لأن الصين تعتبر ان الجزيرة هي جزء من أراضيها في الوقت الذي تتمسك فيه تايوان بسيادتها واستقلاليتها. ووجدت

تايوان في الولايات المتحدة شريكا يمكنها من مواجهة التهديد الصيني وأعلنت "تساي اينج وين" رئيسة تايوان عن ذلك صراحة وافصحت عن التخطيط للتعاون بين الحرس الوطني الأمريكي والجيش التايواني.

ذكرت" بيولسي "بشأن الزيارة أنها ستعقد في سنغافورة وماليزيا واليابان وكوريا الجنوبية اجتماعات عالية المستوى لمناقشة الطريقة التي يمكن فيها ان تعزز القيم والمصالح المشتركة لا سيما الامن والسلام والنمو الاقتصادي والتجارة ومواجهة جائحة كورونا وأزمة المناخ وحقوق الإنسان والحوكمة والديمقراطية إلا انها لم تذكر تايوان بشيء ولم تعرض ما تخبئه في حقيبتها .

زيارة"بيولسي" في هذا التوقيت بالتحديد اعني به توقيت الحرب الروسية الأوكرانية له عدة معان ودلالات تحاول أن توصلها إلى القيادة الصينية والى القيادة التايوانية والى المجتمع الدولي:

1_هي رسالة إلى القيادة الصينية أولا ان الولايات المتحدة الأمريكية موجودة وحاضرة في المشهد السياسي الدولى وانها قادرة على حماية تايوان معنويا وعسكريا .

2_ هي رسالة إلى القيادة التايوانية أن حضور " بيولسي" يمثل دفعة معنوية وحضور سياسي وان الولايات المتحدة ستدافع عن سيادة تايوان ولن تتخلى عنهم تحت عدوان أي قوة ظالمة وغاشمة تحاول ان تنتهك سيادتها .

3_الرساله الثالثة هي رساله إلى المجتمع الدولي تؤكد فيها ان الولايات المتحدة هي الشرطي الأول والأوحد القادر على فرض النظام وفرض قيم الأمن والسلم الدوليين.

غير انه من ناحية ثانية أتصور أن الولايات المتحدة تحاول ان تدفع الصين الي اتخاذ الخطوة الظالمة ببدء العدوان على تايوان ومحاولة استعادة أراضيها إلى الصين الواحدة واذا تحقق ذلك فانه رصيد اخر يضاف إلى رصيد الولايات المتحدة في دفع قوى عظمى الى الهاوية والي النهاية فلا احد يعلم متى تنتهي هذه الحرب(إن هي وقعت) كما هو الحال في المثال الأوكراني الذي لا تزال سحائب الدخان فيه تتصاعد والذي دفعت فيه الولايات المتحدة الدب الروسي الي المحرقة وبداية الانهيار كما تتوقع وتحسب وكل هذا يصب في مقدرة الولايات المتحدة على استعمال أدوات القوة الناعمة وتحريكها دون ان تكلف نفسها طلقة واحدة.

لكن السؤال المطروح هل هذه السيناريوهات والاستراتيجيات المتوقعة من الولايات المتحدة تندفع اليها الصين من غير رؤية ورؤية ام ان لدي الرئيس الصيني "شي جين بينج" تخطيط اخر وفرضيات أخرى توجع الاثنين معا الولايات المتحدة والقيادة التايوانية .

الكنداكة

مما استوقفني وأنا أتابع الأخبار التي تنقلها الفضائيات التلفزيونية هذه الأيام عن السودان، وعن موجة الربيع العربي الثانية، التي ما انفكت تغمر الدول العربية، وتبشر بميلاد الأمة من جديد، بعد أن عم الفساد والاستبداد والظلم، معظم البلاد العربية إن لم يكن كلها، سواء كان الفساد والاستبداد، والظلم من أنظمة قامت عليه، أو تسترت عليه، أو أنظمة الدولة العميقة، أو أنظمة الدولة العميلة، مما استوقفني هو الخبر الذي تطوع فيه مذيع فضائية ما، بالحديث عن الكنداكة !

فقد ذكر واقعة الفتاة السودانية التي كانت تهتف ضد الظلم والطغيان والجبروت، والتي وصفها من حولها بأنها كنداكة، وذكر المذيع الذي لم يظهر المعلومة التاريخية الصحيحة كاملة عمن هي الكنداكة ! ذكر في تعريفها كلمتين اثنتين وهما "الملكة النوبية"، ربما ذلك ما يقتضيه السياق الإعلامي وملاحقة الحدث والخبر، لكن الذي ينبغي أن أضيفه هو أن الكنداكة ليس لقبا ووصفا يطلق على

الملكة النوبية فحسب، ولكن الكنداكة هي شخصية حقيقية بالفعل، وأنها كانت مثالا سودانيا واضحا لشجاعة الملكات السودانيات وجرأتهن وإقدامهن.

ففي سنة 23 ق.م. مما تذكره بطون كتب التاريخ، مثل مؤلف تاريخ السودان، الذي حققه البروفسير "محمد إبراهيم سليم" أن الإمبراطور "أوغسطوس قيصر"، وهو الذي آل إليه ملك مصر بعد البطالسة، أخرج معظم عساكره من مصر لغزو بلاد العرب، وكان على مروي (وهي مدينة في شمال السودان، ذكرها المؤرخ اليوناني "هيرودتس" وغيره من مؤرخي اليونان والرومان) حينذاك ملكة تلقب بكنداكة، الأرجح أنها "أماني شاخيتي" التي اعتلت العرش بعد وفاة الملكة "أماني ريناس" وكانت تحب الحرب والفتوح فاغتنمت الفرصة، وسارت بجيش مؤلف من 30 ألف مقاتل إلى مصر تريد افتتاحها، ففتحت حامية فيلي وحامية أسوان اللتين على حدود مصر، ودخلت مصر العليا، وكان النائب الروماني إذ ذاك رجلا شديد البأس يسمى "بترونيوس" فحمل على كنداكة بجيش منظم مؤلف من 10 آلاف رجل و800 فارس، فلما سمعت كنداكة باستعداده رجعت إلى إثيوبيا السفلى؛ فتتبعها حتى أدركها بقرب سلقيس (دكا)،

وطلب منها رد الأسرى والغنائم التي أخذتها من مصر.

ولما لم تجبه جوابا مرضيا حمل عليها، وكان معظم جيشها غير منظم ولا سلاح له إلا الفؤوس، فانتصر عليها انتصارا عظيما، وشتت جيشها ، ثم تقدم إلى إبريم، وكان فيها حامية قوية ، فاستولى عليها ثم سار إلى نبتة فخربها خرابا فظيعا، وفرت الملكة كنداكة من وجهه فامتنعت وتحصنت في قلعة في الشلال الرابع، ولما رأت أن لا طاقة لها على حربه، بعثت إليه في طلب الصلح، وفي هذا ما يوضح الدهاء والحيلة التي يلجأ إليها قادة الحرب!

وكان "بترونيوس" قد نفد منه الزاد وأضنى جيشه الحر، فاضطر أن يرجع إلى الإسكندرية قبل نهاية الصلح، وفي طريقه أقام حامية في إبريم مؤلفة من 400 رجل وحامية في دكا، فلما رأت كنداكة أن "بترونيوس" رجع عنها مضطرا، جمعت شتات جيشها وسارت حتى وصلت إلى إبريم فحاصرتها، ولكنها لم تلبث أن رأت عجزها عن استمرار الحصار فرفعته، وأرسلت إلى الإمبراطور أوغسطوس قيصر، وكان وقتها في جزيرة ساموس في الأرخبيل الرومي؛ فصالحهم على الشروط التي قدمتها كنداكة.

ثم ذكرت كتب التاريخ أنه لم يكن بين الرومان وإثيوبيا (إثيوبيا هو الاسم الذي أطلقه اليونان على جميع بلاد شديدي السمرة) شئ يذكر إلى أيام الإمبراطور "نيرون"، وهو الإمبراطور الخامس من أباطرة الرومان على مصر، فإنه في سنة 60 م أرسل حملة إلى إثيوبيا بقصد اكتشاف منابع النيل فكان من أخبارها، أنها سارت فيه حتى وصلت إلى مستنقع لا يمكن سلوكه؛ فعادت بالخيبة إلى مصر، قالوا وكان الحاكم على مروي في عهد هذه الرسالة ملكة تلقب بكنداكة.

بقي أن أشير إلى أن صفة الشجاعة والإقدام إذا توفرت فإنها هي التي تجمع بالكنداكة الملكة الحاكمة على مروي في تلك الأيام والكنداكات الماثلات اليوم، وهو الحديث الذي ساقتنا إليه موجة الربيع العربي الثانية في السودان.

عن اتهاماتهم مرة أخرى

بعد أشهر من الحصار الذي فرضته المملكة السعودية والبحرين ومصر والإمارات على قطر، وهو الحصار الذي قاطعوا فيه قطر اقتصاديا وسياسيا، بعد الاتهامات التي قدمتها هذه الدول الأربعة، والتي تتضمن مطالبتها دولة قطر بالتوقف عن دعم الإرهابيين! (كما تفترض وتعتقد)، وطرد رموز الإخوان المسلمين من أراضيها، مثل الداعية الشيخ القرضاوي، إلى آخر ما جاء في مطالبها الثلاثة عشر، وربما أكثر، بعد شهور من هذا الحصار أعلنت هذه الدول الأربعة المحاصرة أن الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين والمجلس الإسلامي العالمي الذين يضمان فقهاء من خيرة فقهاء الأمة الإسلامية ودعاتها فيما نرى ونحسب، وفيما يرى غيرنا؛ بل فيما ترى هذه الدول الأربعة ذاتها؛ لأنها كرمت رموزا من هؤلاء الأعلام والعلماء والدعاة واحتفت بهم حفاوة عظيمة، قبل إجماعها الأخير على التصدي لقطر ونبذها ووصفها بأنها تقدم الدعم إلى الإرهابيين، وتمثل بذلك خطرا داهما وقريبا على المنطقة بأسرها، أعلنت أن هذا الاتحاد كيان إرهابي؛ بل إن بعض

أعضائه هم في حقيقة الأمر دعاة للإرهاب والتطرف! وأنهم إنما يقدمون صورة مشوهة للإسلام الوسطي!

الحقيقة أن هذا الإعلان يمثل صدمة نفسية كبيرة، مثلما كان إعلان الحصار على قطر صدمة كبيرة؛ لأنه يشكك بصورة مباشرة في الاتحاد الإسلامي ورموزه وعلمائه، وربما أثرت هذه الصدمة في شعوب هذه الدول ذاتها، وفي البقية من دول العالم العربي والإسلامي بالقدر نفسه، وضاعفت هذه الصدمة من ناحية ثانية الإحساس بالمحنة والتعجب، الذي بلغ مبلغا كبيرا في كل من يراقب هذا التسلسل الدرامي للأحداث التي تصعد من وتيرتها شيئا فشيئا هذه الأربعة دول.

وأول سؤال ينبغي أن يطرح هو: لماذا تنصب هذه الدول المملكة السعودية والإمارات ومصر والبحرين نفسها حاكما عاما على المنطقة؟ إلى الحد الذي تتهم فيه من تشاء كما تشاء، وتقاطع فيه من تشاء كما تشاء، وتنزع سيادة من تشاء كما تشاء! وتشكك في كيانات وتنظيمات جامعة لعلماء الأمة ودعاتها! صحيح أن دولا مثل المملكة السعودية تمثل قامة في وجدان المسلمين في كل الأطراف، لكن أن تتفق مع مصر والإمارات والبحرين في حصار ظالم وجائر، على دولة شقيقة باتهامات يغلب عليها

التدبير والتلفيق، وتفتقد العقلانية والمنطق، وأن تتهم الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين والمجلس الإسلامي العالمي، الذي يتبنى منهج التوسط والاعتدال، ولا يجنح إلى الغلو والإفراط، أن تتهمه بالإرهاب وأن تقول في إعلانها الصادم إن الكيانين المدرجين هما مؤسستان إرهابيتان تعملان على ترويج الإرهاب، عبر استغلال الخطاب الإسلامي واستخدامه غطاء لتسهيل النشاطات الإرهابية المختلفة! وأن قرارها جاء في ضوء التزامها بمحاربة الإرهاب وتجفيف منابع تمويله، وتحدي الإيديولوجيا المتطرفة! فهذا من شأنه أن ينقص من قدرها ومصداقيتها وريادتها شيئا كثيرا، وأن يوسع في الوقت نفسه الصدع الذي أصاب هذه الأمة.

ومع هذا فإن هذه الحكومات الإسلامية لو أنها لجأت إلى حلول أخرى بينها وبين قطر، والاتحاد العالمي لعلماء المسلمين والمجلس الإسلامي العالمي، تنتهج فيه الحوار العلمي الجاد والمناصفة والمكاشفة في مؤتمرات علمية، فإن ذلك أفضل كثيرا من هذا الاتجاه الذي تسلكه، وأفضل من الحلول التي تميل إلى رمي الاتهامات وإلصاق العدوانية والتطرف بالآخرين، والتي لن تخدم في آخر الأمر إلا

أعداء الأمة الإسلامية والعربية، أما أن تتجاوز كل الحلول المشروعة والسلمية والعلمية لحل أي خلافات عارضة وطارئة، تراعي فيها مصلحة الأمة، فإن تجاوزها لن يخدم ويقوي إلا أعداء الإسلام والمتربصين وذوي الغرض، ولن يزيد ذلك (عندما تفعل) الأمة إلا فرقة وانقساما، وشتاتا وحروبا وويلات.

الأخلاق والاحتلال والشيطان

في كتابه (علم الأخلاق إلى نيقوماخوس) يقول "أرسطو":

إن الذين هم على خلق شرس يغضبون بسرعة، يغضبون ممن لا يستحقون الغضب، وفي فرص لا ينبغي فيها الغضب، وإنهم ليجاوزون في غضبهم الحد اللائق. نعم إنهم يهدئون كذلك بغاية السرعة وهذا هو أحسن ما يصنعون، فاذا وقعوا في هذا الخطأ فذلك لأنهم لا يعرفون أن يكظموا غيظهم، إنهم يستشيطون غضبا في الحال بإظهار شهوتهم بسبب ما بهم من شدة في حدة الإحساس الذي يهيجهم، ولكنهم عقب ذلك يهدئون بسرعة ليست أقل من سرعة غضبهم، على ذلك فالغضوبون هم أولو حدة مفرطة، فهم يهيجون لكل مناسبة وضد كل إنسان، ومن هذه الحال اشتق وصفهم.

الأخلاق في معناها الأكبر هي الطبع والسجية وباعتبار أن الأخلاق هي الطبائع والسجايا المتكونة في دواخل كل فرد، تحثه على أعمال الخير والفضيلة وتنهاه وتردعه في الوقت ذاته عن أعمال الشر والنقائص وخوارم المروءة، فإن القانون الأخلاقي

بهذا الاعتبار في نفوس كل البشر، هو رابط يربط بينهم جميعا، وعلى أساسه يمدحون إن هم جنحوا للخير وفعلوه، أو يذمون ويجرمون إن هم اجترحوا الشر.

الحقاد هم أصعب رجوعا إلى الصفاء وغضبهم يبقى زمنا أطول، لأنهم يعرفون أن يضبطوا إحساسات قلوبهم، ولا يهدئون إلا بعد أن يأتوا من الشر مثل ما أوتوا، فالانتقام هو الذي يسكن غضبهم، لأنه يحل اللذة محل الألم الذي كان ينهش قلوبهم، وما لم يشتف غلهم فلا يزال على قلوبهم ثقل يضايق أنفاسهم، ولكونهم يحرصون على عدم إظهار شيء فلا أحد يستطيع علاجهم بالإقناع، وإنه لا بد من زمن لأجل أن يفرض أحدهم غضبه في نفسه، أولئك هم شر الناس على أنفسهم وعلى أشفق أصدقائهم بهم.

مع هذا، دولة الاحتلال الغاشم لم ولن تلتزم (كما يؤكد ذلك الجرائم والفظائع التي ترتكبها كل يوم في حق الشعب الفلسطيني، وأخر جريمة وعدوان _نسأل الله أن يكون أخر عدوان وجريمة، وأن يحفظ أهلنا في فلسطين الحبيبة، وأن يدمر اليهود ومن والاهم_ هي اغتيال واستهداف "شيرين أبو عاقلة" مراسلة قناة الجزيرة في فلسطين) لم تلتزم بأية قوانين أو أخلاق أو أعراف أو مواثيق دولية، وهي

تعتبر بذلك واحدا من اثنين فيما أرى، إما أنها دولة لا يطبق عليها ما يطبق على الدول في المجتمع الدولي، أو أنها دولة الشياطين، والأرجح أن كليهما صحيح.

يقول "كانت" في كتاب (نقد العقل الخالص): ليست الأخلاق مبدأ يعلمنا كيف نجعل انفسنا سعداء ولكن كيف نجعل انفسنا جديرين بالسعادة. . فلو كان مجرد النفع في هذه الدنيا والوصول إلى الغاية هو كل ما يبرر الفضيلة، لما كان من الحكمة أن نكون فضلاء وان نتمسك بأهداب الفضيلة، ولكن على الرغم من معرفتنا لكل هذا الذي يواجهنا كل يوم ويتكرر في حياتنا باستمرار فإننا لانزال نشعر بأفضلية التقوى والفضيلة وعمل الخير

قولنا لم تلتزم بأية أخلاق أو القوانين الدولية فهذا لا يحتاج إلى دليل أو برهان، فقد جثمت دولة الاحتلال ما يزيد عن السبعين عاما على جسد الأمة الإسلامية والعربية، بعد أن قامت بالسطو على فلسطين بأساطير وأباطيل يدعو اليها حاخاماتها، والدعوة إلى هدم المسجد الأقصى وبناء هيكل سليمان المزعوم، وهي بذلك دولة متمردة على القوانين الدولية والأعراف وتفرض وجودها وطبيعتها الإجرامية

والسارقة بقوة النيران والغطاء والحماية الأمريكية.

السيناتور الأمريكي "إرنست ف. هولينغز" يقول في صراحة موضحا هذا الغطاء الأمريكي : يتساءل الناس لماذا ذهبنا إلى العراق، وما السبيل للخروج من هناك.. لقد اعترف الرئيس "بوش" نفسه بأن "صدام حسين" لم يكن له علاقة بهجمات الحادي عشر من أيلول /سبتمبر.. وطبعا لا يوجد في العراق أسلحة دمار شامل، إن جهاز الاستخبارات الإسرائيلي الموساد يعرف ما يجري في العراق. انهم الأفضل، إنه يتحتم عليهم أن يعرفوا ما يحدث هناك، لأن بقاء إسرائيل يعتمد على ذلك، ولو كانت هناك أسلحة دمار شامل في العراق أو لو أنها نقلت إلى مكان آخر، لقادتنا إسرائيل إلى مكان وجودها، وإذا كان العراق لا يشكل خطرا على الولايات المتحدة، فلماذا إذن احتلال دولة ذات سيادة؟ الجواب هو: سياسة الرئيس "بوش" في حماية وتعزيز أمن إسرائيل.

الأخلاق والقوانين الدولية لم يكن لها وجود في دولة الاحتلال والعنصرية (الابارتايد) فهم لم يقتلوا "شيرين أبو عاقلة" بدم بارد وحسب، بل انهم في تصرف ارعن اعتدوا على نعشها!! "جو بايدن"

يقول انه لا يعرف تفاصيل ما جرى و "انتوني بلينكن" يتظاهر بالغضب، وبهذا التظاهر وعدم معرفة التفاصيل تتم التغطية على جريمة قتل مراسلة الجزيرة الفلسطينية.

مع ذلك يمكن أن ندون بعض الملاحظات والحقائق التي يمكن أن نجملها على النحو التالي:

1_لا توجد حصانة أو حماية لكوادر الإعلاميين والصحافيين والأطباء والمسعفين، فقد قتل جنود الاحتلال المسعفة "رزان النجار" وغيرها من العاملين في الحقل الطبي والإسعافي في تحد سافر للقوانين والأخلاق والأعراف الدولية وهذه الحقيقة المؤلمة يتعامل معها المجتمع الدولي بتجاهل وبرود تام مثل قتل وسحق الأبرياء الفلسطينيين على مدى الأربعة وسبعين عاما.

2_يمثل اعتداء جنود الاحتلال على حاملي نعش "شيرين أبو عاقلة" اعلى درجات الوحشية والهمجية والبربرية وأخلاق الذئاب.

3_كلمات المواساة والتعزية أو الشجب والإدانة تعتبر مجرد تسكين للوضع وفي الغالب تعتبر مقدمة للإفلات من الحقائق والمسئوليات.

4_تهاوي دولة الاحتلال أخلاقيا، يعني أن نهايتها قد حانت لأن فلسطين لا تعرف الممكن بل تعرف المستحيل.

عن استقالة " ريما خلف"

قبل كل شيء دعونا نتفق أن رفع أي تقرير للأمم المتحدة لإثبات أن إسرائيل تفرض نظام الأبارتايد، وتطبقه بالفعل على الشعب الفلسطيني، ومن ثم المطالبة بمعاقبتها، وأن الأمم المتحدة ملزمة إلزاما قانونيا بالتصرف ضمن حدود قدراتها للاعتراف بعدم شرعيتها، دعونا نتفق أنها محاولات ستقابل بالرفض، وأن أمينها العام "أنطونيو غوتيريش" إنما ينفذ رغبات أو بالأحرى توجيهات إسرائيل والولايات المتحدة!

السيدة "ريما خلف" ألقمت الأمم المتحدة وأمينها العام، الذين لا يتوقع منهم رد فعل سوى القلق، أو الانزعاج في كل القضايا والأزمات العربية، ألقمتهم حجرا باستقالتها من منصبها كأمينة تنفيذية للمجموعة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (الإسكوا) ESCWA بعد رفض التقرير الذي يثبت بأدلته الدامغة ممارسة دولة الاحتلال للأبارتايد، أو التمييز العنصري، والهيمنة العرقية التي تمارسها إسرائيل على الفلسطينيين. وأهالت السيدة "ريما خلف" باستقالتها شيئا من التراب على

خيالات المآتة من أنظمتنا العربية، ودخلت التاريخ فيما أرى، من أوسع أبوابه.

وقد ذكرت سيادتها في الاستقالة التي تقدمت بها إلى ما تتعرض له الأمم المتحدة من تهديدات، وتوجيهات من دول ذات سطوة ونفوذ، بسبب تقرير الإسكوا عن الممارسات الإسرائيلية تجاه الشعب الفلسطيني، ومسألة الأبارتايد، وذكرت أنها لا تستغرب أن تلجأ هذه الدول التي تديرها حكومات قليلة الاكتراث بالقيم الدولية وحقوق الإنسان، إلى أساليب التخويف والتهديد حين تعجز عن الدفاع عن سياستها وممارستها المنتهكة للقانون، وأنها تجد نفسها غير قابلة للخضوع إلى هذه الضغوط؛ لأنها ترى أن أي حل حقيقي يكمن في تطبيق القانون الدولي، وتطبيق مبدأ عدم التمييز، وصون حق الشعوب في تقرير مصيرها، وتحقيق العدالة.

والسيدة" ريما خلف" محقة تماما في كل ما ذهبت إليه، ولا أجد هنا وصفا أصف به الأمم المتحدة وأمينها العام، سوى أنهم ينفذون فقط ما تحدده سياسة ومصالح إسرائيل والولايات المتحدة، وهم في ذلك يخالفون عن عمد وقصد وخوف، مضامين ومبادئ القانون الدولي لحقوق الإنسان، التي ترفض التمييز العنصري بما في ذلك ميثاق الأمم

المتحدة، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والاتفاقية الدولية للقضاء على التمييز العنصري بكافة أشكاله، والتي عرفت الأبارتايد في المادة 2 بأنه سياسة وممارسة العزل والتمييز العنصريين المشابهة لتلك التي تمارس في الجنوب الأفريقي، وأنها تنطبق على الأفعال اللا إنسانية المرتكبة لغرض إقامة وإدامة هيمنة فئة عرقية ما من البشر على أية فئة عرقية أخرى، واضطهادها إياها بصورة منتظمة، وهو ما يبدو واضحا من الهيمنة الإسرائيلية واضطهادها الوحشي للفلسطينيين الذي يزداد يوما بعد يوم، وتتناسى عن عمد وقصد وخوف الأمم المتحدة وأمينها العام نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، الذي يصف الأبارتايد بأنه أية أفعال لا إنسانية ترتكب في سياق نظام مؤسسي قوامه الاضطهاد المنهجي، والسيطرة المنهجية من جانب جماعة عرقية واحدة إزاء أية جماعة أو جماعات عرقية أخرى، وترتكب بنية الإبقاء على ذلك النظام.

ولئن كانت الأمم المتحدة تسلك مثل هذا المسلك الذي يتميز بالنفاق والانحياز لإسرائيل، وتنفيذ التوجيهات والأوامر فحسب تجاه القضايا والأزمات العربية، وعلى رأسها القضية الفلسطينية، فإن ذلك يؤكد

أنها جهة أبعد ما تكون عن التمسك بنصوص القوانين الدولية، وأنها غير معنية بتطبيق العدالة أو القانون خاصة إذا تعرضت هذه التقارير المرفوعة لمنصتها لأمن وبقاء إسرائيل، والتي هي في واقع الأمر عصابات من الفلاشا والألمان والإسبان والروس، لا يجمع بينهم إلا الخرافات والأباطيل والأساطير في أحقيتهم بالأرض الفلسطينية، ومع هذا فإنه يحسب للسيدة "ريما خلف" أنها جهرت بكلمة الحق، وأنها انتصرت للقضية الفلسطينية؛ لأنها ترى أن واجبها تجاه الشعوب التي تعمل لها ألا تكتم شهادة الحق.

حكاية حزب حسن

من المؤكد أن قرار مجلس دول التعاون الخليجي باعتبار ميلشيات حزب الشيطان المسمى حزب الله ، بكافة قادتها وفصائلها والتنظيمات التابعة لها والمنبثقة عنها ، منظمة إرهابية ، كان في حقيقة الأمر كاشفا للمستور عن هذا الحزب الذي يسمي نفسه حزب المقاومة ومحور الممانعة ، والذي بات يدافع عن نظام طاغية الشام النصيرى دفاعا مستميتا ، ويحارب السوريين بالسلاح تارة وبالمسغبة تارة أخرى ، وإلى الحد الذي يقول فيه "حسن نصر الله" : إذا سقط الأسد ونظامه سقط الحزب ومحور الممانعة ! ، وفى الوقت نفسه كان هذا القرار يصحح خطأ استراتيجيا وقعت فيه المملكة السعودية على وجه التحديد .

وحزب حسن هو جزء من إيران الشيعية في لبنان ، والذي يعمل على تنفيذ سياسة إيران التوسعية في المنطقة ، وهى سياسة لا تختلف كثيرا مع سياسة إسرائيل المحتلة ، إذ يجمع بين الاثنين خطط توسعية في المشرق العربي ، الأولى لها آمال أقرب

إلى الهوس بالتمدد الشيعي ، ومن ثم إقامة الإمبراطورية الفارسية ! أما إسرائيل المجذومة ، فإنها تطمح بإقامة دولة اليهود من الفرات إلى النيل ! وكلاهما انتقاميان دمويان ، وأظن أن "حسن نصر الله" لم يبتعد كثيرا عن المعنى ؛ عندما قال : إننا نرى في إيران الدولة التي تحكم بالإسلام والدولة التي تناصر المسلمين والعرب ، وعلاقتنا بالنظام علاقة تعاون ولنا صداقات مع أركانه ونتواصل معه ، كما أن المرجعية الدينية هناك تشكل الغطاء الديني والشرعي لكفاحنا ، وذهب "إبراهيم الأمين" إلى أبعد من ذلك عندما قال : نحن لا نقول إننا جزء من إيران ؛ نحن إيران في لبنان ولبنان في إيران !

وهذا الهوس الذي يسيطر على إيران الشيعية في التمدد في المنطقة ، كان من جملة الأسباب المباشرة التي أدت إلى تدمير اليمن بعد أن غذت الحوثيين بالسلاح وبالفكر الشيعي المسموم والمنحرف ، وإيران هي من تقف وراء حزب الله في لبنان ، وتقاتل مليشياته في سوريا لذات الهوس ، وإلى يومنا هذا تحارب إيران بهذين الذراعين الخبيثتين في الشام واليمن.

سيطرة حزب الله الشيعي على مفاصل الحياة السياسية أو اختطاف لبنان ، هو جزء من أوهام إيران الشيعية لتنفيذ مخططها التوسعي كما أسلفنا ، ويتشابه ذلك مع سيطرة الطائفة الشيعية النصيرية على سوريا ، والتي أباحت دوحه للطير من كل جنس!

ولذلك عندما شكك حزب الله في أهداف التحالف الإسلامي ، ورفض دخول لبنان في التحالف العسكري ؛ لمكافحة الإرهاب الذي أعلنته المملكة السعودية ، فإنه كان في حقيقة الأمر ينطق بغير لسانه ، وفي كل الأحوال فإن إعلان المملكة السعودية حزب الله منظمة إرهابية ، وإلغاءها لصفقة التسليح للجيش اللبناني ، والتي تبلغ قيمتها أكثر من ثلاثة مليارات دولار ، فإن ذلك كله من شأنه أن يقطع الطريق على آيات إيران ، وأن يشكل التحالف الإسلامي خطرا حقيقا على حزب الشيطان المسمى حزب الله ، ويشكل بالقدر نفسه خطرا على روسيا ، وعلى الدولة المجذومة إسرائيل.

مفهوم القوة والقوة الإلهية

إن مطلب القوة وزيادة القوة هو من الضروريات التي تحتاجها الدول، لحماية رقعتها وصون حدودها أكثر من أي مطلب آخر، لان بها تقوم الدولة، ويحفظ الأمن، في هذا المعني كان موسوليني _رغم دمويته وفظاعته _يقول: (إن إيطاليا لا تحتاج إلى خطط وبرامج، لكنها تحتاج إلى رجال وقوة).

وإذا كانت الدولة تسعى بشكل حثيث إلى زيادة قوتها وسيطرتها، فإن هذا ليس معيارا ومقياسا البتة للعدوانية أو سوء النوايا، لأن زيادة واكتساب القوة حق طبيعي وبديهي، فضلا عن أهميته المتناهية لحماية الحدود والدفاع عن البيضة.

مع ذلك فان زيادة قوة الدولة هو من العوامل الهامة، إن لم يكن أهمها على الإطلاق في نفاذ السيادة على الداخل وربما على الخارج بقدر أقل إن لم يكن مساويا له، وبالعكس فان نقصان قوة الدولة لا يؤدي إلى فقدان سيادتها على الداخل والخارج فحسب، بل هي دولة مهزومة عند أول هيعة للحرب.

ان زيادة القوة قد لا يعني الرغبة في فرض ضغوط علي الآخرين، بمقدار ما يكون مدفوعا بدوافع ذات طبيعة اقتصادية أو سيكولوجية أو اجتماعية أو ثقافية، كما أن السعي لتحقيق مثل هذه الأحداث غير السياسية يفرض بدوره قيودا على استخدام القوة السياسية خارج حدود الدول القومية، وثمة بعض الدول تستخدم الجزء الأكبر من طاقتها _قوتها للتنمية الذاتية وتحسين مستوي الحياة الثقافية والاجتماعية داخلها، وثمة دول أخري تركز على القوة من زاوية مختلفة حيث تسعي لضمان أمنها من خلال عدم التورط، أو العزلة أو الحياد أو الاسترضاء أو القبول بالدوران في فلك قوة أعظم. (1)

تعريف القوة

رغم الصعوبة في تعريف مصطلح القوة، حيث أن صعوبته وقساوته تكمن انه من المصطلحات والمعاني الجامعة، مما يجعل حصره في أسطر قليلة أمرا شاقا، فقد ذكر "كارل دويتش:" إن تعريف القوة في ابسط معانيها، هي القدرة على السيطرة في صراع ما والتغلب على العوائق، وفي هذا المعني طرح "لينين" قبل الثورة الروسية على زملائه مشكلة أساسية في السياسة، وهو السؤال المكون من كلمتين "من؟ ومن؟"

بمعني من سيكون سيد العمليات والأحداث؟ ومن سيكون ضحيتها. (2)

ويعتبر "جوزيف ناي" أن القوة هي المقدرة على التأثير في الآخرين، وان تحصل على النتائج التي تريدها، وثمة طرق ثلاثة لتنجز هذا:
بالإكراه (العصا) بالمال (الجزرة) وبالجذب والإقناع، العصا والجزرة صورة من صور القوة الصلبة، أما الجذب والإقناع فتسمي القوة الناعمة، تعد كل أبعاد هذه القوة مهمة. (3)

ويعرف "جون ميرشايمر" القوة بأنها: قدرات مادية محددة، تملكها الدولة وتمثل أصولا ملموسة، تحدد قدرتها العسكرية بالأساس، أما "كينيث والتز" يعرف القوة بالتركيز على القدرات الممثلة في حجم السكان والإقليم وتوافر الموارد، والقدرة الاقتصادية والقوة العسكرية، واستقرار النظام السياسي وكفاءته.

مع ذلك يمكن القول ان القوة هي إستطاعة الأفراد أو الجماعات أو الدول، في امتلاك الوسائل المحسوسة وغير المحسوسة التي تتيح التمكن من الآخرين وهزيمتهم، وهي تجسيد لمعني السيادة، عليه فان الدولة ذات السيادة هي قطعا دولة قوية في بنيتها ومكوناتها، ويصح المعنى إذا

قلبنا القول، أن كل دولة ليست لها سيادة هي دولة مهزومة ضعيفة، هذا إذا صح وصفها دولة أصلا!

القوة في المدرسة الواقعية

تعتبر المدرسة الواقعية التي من أبرز كتابها ومنظريها "هانس مورجانثو" و" نقولا سبيكمن"، أن القوة ودورها في سلوكيات الدول والعلاقات الدولية، هي الأصل الذي ترتكز عليه طبيعة هذه العلاقات وان قوة الدولة وزيادتها وتنميتها بكل السبل المتاحة العسكرية والاقتصادية وغيرها، هو صمام الأمان في مجتمع دولي تغلب فيه الفوضى والفلتان.

الافتراضات الأساسية لهذه المدرسة قامت على فوضي العلاقات الدولية، والتي تتمثل أهم تجلياتها في حضور الصراع والحرب كمظهر أساسي للعلاقات، واحتمال قائم على الدوام بما يجعل الشاغل الأساسي لكل دولة هو تحقيق مصالحها الوطنية وفي مقدمتها البقاء وحماية أمنها، وهو ما يقتضي زيادة قوتها، ووفقا لهذا التصور الغالب تصبح القوة معنية بالأساس بتحليل كيف تستطيع دولة استخدام مواردها المادية، لإرغام دولة أخري على القيام بتصرف أو سلوك، لم تكن ترغب في القيام به، أو الدفاع عن ذاتها في مواجهة مثل هذا

السلوك، وتصبح الموارد الأولى بالتركيز هي حجم الجيش ومدى تسلحه، وغيرها من مؤشرات الموارد العسكرية للدولة وثروة الدولة ومستوي تطورها الاقتصادي، وقدراتها الإنتاجية وغيرها من مؤشرات الموارد الاقتصادية (القابلة عند الضرورة للتحويل لخدمة القدرات العسكرية للدولة)والمؤشرات المتعلقة بالخصائص الديموغرافية والجغرافية للدولة وموقعها وشكلها .(4)

يري "هانس مورجانثو" أن السياسة الدولية هي صراع من اجل القوة، وعليه فان سلوكيات الدول تحركها وتدفعها الرغبة المتأصلة في اكتساب المزيد من القوة، والمحافظة عليها ولا تألوا جهدا في إنفاذ ذلك باستخدام كل الوسائل المتاحة.

ويؤكد على أهمية القوة السياسية أو قوة الأيديولوجيا باعتبارها علاقة نفسية بين من يمارسونها ومن تمارس عليهم، تمنح الأولين السيطرة على بعض ما يقوم به الآخرون من أعمال، بما يملكونه من نفوذ يؤثرون به في عقولهم، وشدد "مورجانثو"على أنه مهما كانت الأهداف المادية لأي سياسة خارجية كالحصول على مصادر للمواد الأولية، أو إجراء تغييرات إقليمية أو غير ذلك فإن إنجازها يتطلب

دائما السيطرة على سلوك الآخرين من خلال التأثير في عقولهم. (5)

ويعتبر "سبيكمن "أن المجتمع الدولي في حقيقته يتسم بفوضوية كبيرة، وغياب القوانين الفعالة التي تنظم العلاقات بين الدول بسبب غياب الطرف القادر علي فرض القانون، وانه لا بد من استخدام القوة للمحافظة على وجودها. أما "اورغنسكي" فانه يرجع مقياس القوة إلى الوضع الاقتصادي للدولة، وعليه قسم الدول بحسب العامل الاقتصادي إلى ثلاث مراحل:

1_المرحلة الأولي: مرحلة القوة الكامنة

2_المرحلة الثانية: مرحلة إنماء القوة

3_المرحلة الثالثة: مرحلة إظهار القوة

القوة في المدرسة السلوكية

يعرف منظري المدرسة السلوكية ومنهم "روبرت دال "القوة بأنها قيام الطرف الأول بفرض أمر معين على الطرف الثاني، ما كان الطرف الثاني ليقوم به ما لم تكن علاقة القوة موجودة بينهما.

وحتى تتسم أي علاقة تفاعلية بالقوة يفترض توفر الشروط التالية:

1_تنازع قيم ومصالح وأهداف بين طرفين في وضع تفاعلي.

2_رضوخ احد طرفي النزاع لمطالب الطرف الآخر.

3_استطاعة احد الأطراف التهديد بمعاقبة الطرف الآخر في وقت يستوعب هذا الأخير طبيعة التهديد والنتائج المترتبة عنه في حالة عدم الانصياع، ويصدق أيضا نوايا الطرف الأول بالتهديد بالمعاقبة. (6)

القوة في المدرسة الليبرالية

تتبني المدرسة الليبرالية الأفكار التي تعتمد على قدرة المؤسسات في الدول والفواعل على خلق علاقات اقتصادية تكاملية، بما يضيق الفجوة في نشوب الصراع والحروب.

تركز المدرسة الليبرالية في تيارات رئيسية منها، علي أن تزايد تدفق السلع والخدمات والتجارة والاستثمارات بين الدول والفاعلين المختلفين، يعزز أهمية القوة الاقتصادية مقارنة بالقوة العسكرية ،كما يفسح المجال لأدوار فاعلين من غير الدول مثل الشركات متعددة الجنسيات بما تملكه من موارد، مع تحررها نسبيا من التزامات وأعباء الإنفاق لدي الدول، وامتدادا لذات الفكرة فإن زيادة كثافة

العلاقات الاقتصادية وغير الاقتصادية بين الفاعلين من شأنه توليد علاقات اعتماد متبادل حيث يتأثر الفاعلون حال حدوث أي انقطاع أو تغيير في العلاقات بشكل متبادل وبدرجة كبيرة وأن كانت ليست متساوية أو متماثلة بالضرورة، ويمكن ذلك الفاعلين الأقل تأثرا في شبكات الاعتماد المتبادل من توظيفها للضغط بشكل مباشر أو غير مباشر لتحقيق مصالحهم، كما يستطيع الفاعلون الأقل قوة ممارسة الضغط على باقي أعضاء شبكات الاعتماد المتبادل، من خلال تضخيم حجم المخاطر التي قد تنجم عن انسحابهم أو خروجهم من علاقات الاعتماد المتبادل أو عجزهم عن الاستمرار فيها. (7)

القوة في المدرسة البنائية

تتبني المدرسة البنائية قوة الأفكار والإقناع والتفاعل الاجتماعي، بدلا من التركيز على القوة بمعناها العسكري، لأجل خلق بنيات وهويات تتوافق مع رؤيتها واستراتيجيتها، بمعنى أن قوة الفكر والإقناع هي الموجه الرئيس للقوة في معانيها الأخرى.

توازن القوى

من المصطلحات والمفاهيم التي ينبغي الإشارة إليها في دراسة القوة وأنواعها مفهوم توازن القوى، وهو مفهوم يعبر عن الحالة التي تكون فيها كل الدول على مستوي متقارب من القوة، لان أي تميز لواحدة منها بامتلاك كل وسائل القوة من شأنه أن يجعل الدول الباقية تحت رحمتها وسيطرتها، مما يؤدي إلى اختلال في المنظومة العالمية، وتبرز من ثم سياسات القطب الأوحد وسيطرة الدولة القوية، مثل ما تمارسه الولايات المتحدة اليوم تحت قيادة" ترامب".

لا تعتبر فكرة توازن القوى فكرة واحدة، وليس هناك اتفاق مستقر على اعتبارها ذات معنى واحد، بل توجد معان عديدة لها ومن هذه المعاني: أن توازن القوى يعني توزيعا متساويا للقوى بين أعضاء المجتمع الدولي او توزيعا قويا متساويا بين مجموعة معينة محددة من الدول، او توزيعا متساويا بين تحالفات او ائتلافات دولية، او توزيعا غير متساو لصالح دولة معينة. (8)

يدل استخدام هذه العبارة بطريقة موضوعية أو وصفية علي توزيع القوي بين الدول بشكل متساو أو غير متساو، وهي تدل عادة علي حالة لا تتفوق فيها دولة علي أخري،

ومن الناحية الفرضية فإنها تعبر عن سياسة ترويج تساوي القوى القائمة علي افتراض أن عدم توازنها أمر خطير، لذلك يتعين علي الدول الحذرة التي لا تقف في الطرف المتضرر من ميزان القوى ان يتحالف بعضها مع بعض ضد دولة مهيمنة، أو ان تتخذ تدابير أخرى من شانها أن تعزز قدرتها على وضع حد لأي معتد، كما يمكن لأي دولة أخرى أن تختار دورها التوازني فتغير انحيازها مع طرف ما لمصلحة أخر متى دعت الحاجة من اجل المحافظة علي هذا التوازن، وتستدعي سياسة توازن القوى أن تهدئ اي دولة من مسعاها المستقل إلى القوة، لان توافر الكثير من القوة لدولة واحدة قد يولد لدي الدول الأخرى شعورا بالخوف منها والعدوانية نحوها .(9)

إن طبيعة الصراع والنزاعات بين الدول يعتبر من الاسباب الموضوعية والعامل الرئيس لزيادة القوة، وتسخير المؤسسات العلمية والبحثية والعسكرية والمعلوماتية لهذا الغرض، وقد تميل إلى اقامة الاتحادات والتكتلات والتحالفات لزيادتها، او تلجأ إلى هذه الفرضيات باعتبارها ذرائع متاحة لسد النقص والضعف الذي يضرب الدولة، وكلا يدعي وصلا بليلي!

يمكن القول دون وجل ان سياسة توازن القوى تعتبر كابح من كوابح الضرورة التي تقتضيها المعاملات والعلاقات الدولية، والتي نجحت فيما يقارب ثلاثمائة عام في عدم تمكن دولة واحدة بالهيمنة والسيطرة العالمية.

أنواع القوة

في فكر العلاقات الدولية والعلوم السياسية، تتباين انواع القوة وفقا للمدارس والافكار التي تنادي بها كل مجموعة، ومن الضروري ان نتطرق إلى انواعها ثم نتحدث عن مفهوم القوة الإلهية.

أولا: القوة الصلبة (العسكرية)

هي كل اشكال القوة المحسوسة التي تعتمد عليها الدولة للدفاع عن حدودها وذاتها.

ثانيا: القوة الناعمة

يعرف مصطلح القوة الناعمة بأنها القوة الفارضة على الدولة بالإذعان والانقياد للدولة أ، من غير أن تمارس الدولة أ عليها أي ضغوطات عسكرية أو قوة صلبة، وهو المصطلح الذي أتي به "جوزيف ناي" عام 1990 في مقال يحمل اسم (القوة الناعمة).

بشكل عام يمكن تسكين التعريفات المختلفة السائدة للقوة الناعمة بين طرفي متصل ، يراوح بين جاذبية مظاهر الثقافة الشعبية وصولا إلي جميع أشكال القوة عدا الاستخدام الفعلي للقوة العسكرية، فأضيق تعريفات القوة الناعمة تقصرها علي قوة الدولة الناجمة عن جاذبية مسلسلاتها وأفلامها وموسيقاها، وروايا تها وأدبها ورياضاتها ومطبخها واكلاتها وسلاسل مطاعمها، وأزيائها وصيحات ملابسها وغيرها من الأعمال الفنية، وعناصر ثقافتها الشعبية او الجماهيرية التي تذيع وتنتشر عبر الحدود بين الجماهير العادية أو النخب على السواء. (10)

وضع "جوزيف ناي"_ مبتكر مصطلح القوة الناعمة _ثلاثة موارد تعتبر أصولا للقوة الناعمة وهي:

1_ثقافة الدولة بما تنطوي عليه من عوامل جذب للآخر.

2_قيم الدولة السياسية.

3_سياسة الدولة الخارجية التي يفترض ان تكون متناغمة متجانسة، بمعني ان لا تحمل الشيء ونقيضه في وقت واحد.

لكن ان تجمع موارد القوة الناعمة مع القوة الصلبة في استراتيجية ذكية ليس

دائما عملا سهلا، فعلي سبيل المثال قد يساعد تأسيس معهد كونفوشيوس في مانيلا لتعليم الثقافة الصينية على انتاج القوة الناعمة، لكن من غير المرجح ان ينجح في بيئة تمارس فيها الصين التعدي على الفلبين من جراء امتلاكها لجزيرة متنازع عليها في بحر الصين الجنوبي، وما دامت الصين أكثر حزما في مطالبها الإقليمية مع جيرانها، فهذا يصعب عليها امكانية تحقيق اهدافها في القوة الناعمة. (11)

ثالثا : القوة الذكية (التحويلية)

تعرف القوة التحويلية بأنها : القوة الناتجة عن دمج القوتين الصلبة والناعمة، ومن ثم مقدرة الدولة علي التعامل بهذه القوة المزدوجة مع كل الفواعل الدولية.

ما من شك أن الولايات المتحدة كمثال تمتلك وسائل القوة الصلبة والقوة الناعمة، بل والقوة التحويلية، وأنها تستخدم كل تلك الأنواع مجتمعة أو متفرقة في علاقاتها مع المجتمع الدولي، فقد استخدمت القوة الصلبة بل والمفرطة في اجتياح الدول كما في المثال العراقي واليمني، وتستخدم القوة الذكية مع بعض الدول بالتهديد والابتزاز ومطالبتها بان تدفع الدول أموالا طائلة نظير حمايتها

ورد العدوان عنها ، والأمثلة واضحة في عالمنا المعاصر .

أما الوسائل التي استخدمتها الولايات المتحدة لبسط نفوذها وسلطانها فقد كانت تتراوح ما بين الوعود السياسية ، والتهديد باستخدام القوة العسكرية أو الحصار الاقتصادي، وأساليب العمل المخابراتية ، أما أكثر أساليب العمل المتبعة في فرض الهيمنة والنفوذ وتكريس حالة التبعية ، فقد كانت متمثلة بالأساليب والأدوات الاقتصادية . (12)

وقت الحرب في أفغانستان كانت المشاركة الاوروبية في تدمير القاعدة وحرمان طالبان من استعادة قوتها ، كانت موضع الخلاف الأكثر اثارة كما يقول "مارتن غريفيثس" في كتاب (المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية)وأن الفكر الاوروبي كان منقسما حول ضرورة تلك الحرب، وفي تعليق شهير كان احد الخبراء قد المح في 2003 إلى الخلفية السيكولوجية لتوجه أوروبا نحو استخدام القوة العسكرية بقوله : (الأوربيون مصرون على تناول المشكلات بكثير من التدقيق وقدر أعظم من الحنكة ، يحاولون التأثير في الاخرين بالمكر والمخادعة ، انهم اكثر قدرة على تحمل الفشل واكثر صبرا عندما لا تأتي الحلول

سريعا، انهم بشكل عام يفضلون الردود السلمية على المشكلات، يفضلون المفاوضات والدبلوماسية والإقناع على القسر والاكراه، وهم اسرع في اللجوء إلى القانون الدولي والاتفاقيات الدولية والرأي الدولي والتقاضي في النزاعات ..انهم غالبا ما يهتمون بالاجراءت اكثر من اهتمامهم بالنتيجة، معتقدين ان الاجراءات في نهاية المطاف ستصبح هي الموضوع.

وبالنظر إلى استخدام الاتحاد الأوروبي للقوة التحويلية فانه يمكن ملاحظة الاتي:

1_ان الاتحاد الأوروبي لا يميل الي تغير الدول بالتهديد بغزوها، وهي صفة اتصفت بها كثيرا الولايات المتحدة، مثال لذلك عندما قررت اجتياح وغزو بنما وخلع الجنرال "نوريغا" عنوة، إلا ان الاتحاد الأوروبي يميل إلى قطع الاتصال بالدول التي بينه وبينها عداء ويلجأ إلى مثل هذه القوة والتي يتبعها بأصناف اخري من القوة الناعمة.

2_ان قوة التمدد والاتساع التي يتبعها الاتحاد الأوروبي لضم دولا جديدة في مظلته، تفرض عليه ان يضع لها معايير وشروط تؤهلها لعضوية الاتحاد الأوروبي تتمثل في:

1_وجود مؤسسات مستقرة ضامنة للديمقراطية وسيادة القانون وحقوق الإنسان.

2_وجود اقتصاد سوق فعال قادر علي مواجهة التنافسية، ومعايير سوق الاتحاد الأوروبي.

3_القدرة الادارية على تنفيذ قوانين وقواعد الاتحاد الأوروبي الادارية المعمول بها.

المفاهيم المتداخلة مع مفهوم القوة الناعمة

مفهوم "هابرماس"عن القوة الاتصالية

يعطي "هابرماس" نموذجا مختلفا في ممارسة القوة بين الفاعلين، فهو يعتمد على قوة الحوار والاتصال بين الفواعل المتنازعة، مما يعني اولا تنازلا من جميع الاطراف عن استخدام القوة الصلبة وانخراطهم في الاتصال والحوار بما يمكن معه توجيه النزاع الي الاستفادة من المصالح المشتركة التي تجمعهم، وترفع كل الأطراف عن المصالح الضيقة المتنازع عليها.

مفهوم "كينيث بولدنج"عن القوة التدميرية والقوة الانتاجية والقوة التكاملية

وهي الفرضيات التي قدمها "بولدنج" في نهاية الثمانينات من القرن العشرين عن القوة التدميرية التي من الممكن ان

تنتهجها الفواعل، والقوة التكاملية التي تعني باتحاد الفاعلين والانصراف إلى تحصيل المصالح والفوائد والاهداف المشتركة لديهم، والقوة الانتاجية التي تهتم بالإنتاج والقدرة على الدفع وتقديم المقابل.

مفهوم "فوكو "عن القوة التنظيمية

يهتم مفهوم "فوكو "بتطويع الافراد من خلال خلق الإحساس الذاتي الدائم بالمراقبة والمتابعة بما يؤدي في النهاية إلى التزام الافراد وخضوعهم الذاتي للدولة وقد ضمن "فوكو" هذا المفهوم في كتابه (النظام والعقاب) عام 1975.

مفهوم " مايكل مان" عن القوة الاجتماعية (القوة الممتدة والمكثفة والسلطوية والمنتشرة والتوزيعية والقوة الجمعية)

وضع "مايكل مان" ثلاثة فروض اساسية للتميز بين القوة، الفرض الاول هو التمييز بين القوة الممتدة التي يستطيع فيها الفاعل السيطرة علي مجموع كبير من الفاعلين في أماكن مختلفة، والقوة المكثفة التي تهتم بتكوين درجة كبيرة من الالتزام لدي الفاعلين الخاضعين لها، والفرض الثاني التمييز بين القوة السلطوية التي تقوم علي توجيهات معبرة

من ارادة فاعل معين ووعي الاخرين بهذه التوجيهات والتزامهم بها، وبين القوة المنتشرة التي تنتشر لا مركزيا بين الفاعلين دون توجيه مباشر من فاعلين اخرين، والفرض الاخير هو التمييز بين القوة التوزيعية التي يؤدي زيادة أي طرف من القوة إلى نقصان نصيب الاطراف الأخرى منها، وبين القوة الجمعية وهي القوة المشتركة التي يتعاون فيها فاعلان او اكثر .

مفهوم "جرامشي "عن قوة الهيمنة

ينطلق فكر قوة الهيمنة والسيطرة عند "جرامشي" من الفرضية التي تري ان الدولة مهما كانت من القوة والتنظيم، فإنها لا يمكن ان تدوم معتمدة على العنف والدماء، وانه في سبيل البحث عن طريقة ومنهج أفضل ودائم، فانه ينبغي للنخبة توظيف آلياتها الإعلامية والقانونية والثقافية وغيرها للتلاعب بالوعي الشعبي للأفراد، واستمالتهم بذلك للانقياد واتباع القيادة النخبة .

مفهوم "بورديو "عن القوة الرمزية

القوة الرمزية في مفهوم "بيير بورديو" هي سيطرة العادات والتقاليد على اختلاف صورها على الفاعلين دون وعي منهم عادة.

رغم تلاقي المفهوم في العديد من أبعاده مع مفهوم "الوعي الزائف "في الفكر الماركسي، فإن "بورديو "لم يجعل القوة الرمزية او الثقافية تابعة بالضرورة للقوة والهياكل الاقتصادية، وإن لم ينكر إمكانية توظيفها لصالح الأخيرة، كما أن مفهوم "بورديو "يناقش أشكالا مقصودة وغير مقصودة للسيطرة عبر ممارسات تمتد لتصل الي اللغة والمعاملات اليومية الحياتية العادية ذاتها، وليس بالضرورة السيطرة من خلال معتقدات او أيدولوجيات او خطابات معينة. (13)

مفهوم القوة المعيارية

وهو المفهوم الذي قدمه "إيان مانرز"، ويعتبر القوة المعيارية هي القدرة على تحديد وتشكيل ما يتم اعتباره عاديا، ويقترب المفهوم في مقصد "مانرز" من مقاصد "كار" في قوة الرأي التي تحدث عنها، ومقاصد "جالتونج"في قوة الأيدلوجيا، وهي كلها تهتم بالقدرة على التأثير في افكار وتوجهات الاخرين من خلال التأثير في افكارهم.

مفهوم قوة تحديد جدول الأعمال

وهي قدرة الفواعل على تقديم وطرح قضايا بصورة رئيسية وآنية، في مقابل تهميش قضايا وموضوعات أخري.

يعد "بيتر باشراش "و"مورتون باراتز "من أبرز الأسماء الرائدة في لفت الانتباه إلى هذه القوة في المجال السياسي، في دراستهما المعنونة "وجهان للقوة "حيث أكدا على ضرورة عدم الاقتصار على تحليل القوة في مواقف الصراع السياسي، إذ أن ثمة وجها خفيا سابقا للقوة يرتبط بإخراج واستبعاد بعض الموضوعات من دائرة التفاوض أو الصراع، والسماح بتصعيد قضايا اخري. (14)

القوة الإلهية: المجال الخامس

في كتابه رقعة الشطرنج يقول" بريجنسكي ": (أميركا تحتل مرتبة عليا في المجالات الحاسمة الأربعة للقوة العالمية: وهي المجال العسكري، الذي تملك فيه قدرة وصول عالمية لا مثيل لها، والمجال الاقتصادي الذي تبقى فيه ذات قدرة تحرك رئيسية في النمو العالمي، حتى ولو واجهت تحديات في بعض المظاهر من قبل المانيا واليابان (لا تملك أي دولة منهما المزايا الأخرى للقوة العالمية)، والمجال

التكنولوجي حيث تحافظ فيه على المجالات الحادة والحساسة في الابتكار، والمجال الثقافي الذي تتمتع فيه بالرغم من بعض السلبيات بإغراء لا يمكن منافسته، وخاصة بين شبان العالم الذين يرون في الولايات المتحدة دولة تملك نفوذا سياسيا، لا تقترب أي دولة أخرى من مجال القدرة علي منافسته، وهكذا فان الجمع بين هذه المجالات الأربعة هو الذي يجعل من أميركا تلك القوة العظمى العالمية الوحيدة حصرا). (15)

والحق أن لا المجال العسكري الذي تزعمت الولايات المتحدة فيه العالم، وبلغت فيه مكانا متميزا لا تزاحمها فيه دولة، ولا أن المجال الاقتصادي والتكنولوجي والثقافي الذين لا تضائها أو تقربها فيهم دولة في المجتمع الدولي، كافية لجعلها القوة العظمى في العالم لأنها تفتقد المجال الخامس الذي أغفله "بريجنسكي "وهو القوة الإلهية ومعرفة الدولة ربها، والاتكال عليه !

وإذا كان البعض يصف الإسلام بالضعف وانعدام القوة، مثل "فرانسيس فوكوياما " في كتابه (نهاية التاريخ والإنسان الأخير) الذي ذكر فيه: انه يمكن للإسلام استعادة بلدان فلتت منه لفترة، ولكنه لا يقدم

الإغراءات أبدا لشبيبة برلين وطوكيو وباريس أو موسكو ((16

فهو كلام منكر، فأي إغراء أكبر من جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لأصحابه في غزوة بدر: "قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض". فقال عمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه: يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: "نعم". قال: بخ بخ (كلمة تعجب). فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "ما يحملك على قول بخ بخ؟". قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال: "فإنك من أهلها"، فاخرج تمرات من قرنه (جعبة النشاب) فجعل يأكل منه ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل.

إن معنى القوة الإلهية لا يخضع لأي توزيع وأنصبة في مفهوم توازن القوى، سواء كانت ضمن التوزيع المتساوي للقوة بين أعضاء المجتمع الدولي، أو توزيعا متساويا بين مجموعة معينة من الدول، أو ضمن توزيع متساوي بين تحالفات دولية، أو ضمن التوزيع غير المتساوي لصالح دولة معينة، وهي من ثم خاصية تنفرد بها الدولة

المسلمة، لا يضرها أو ينقص منها في ذلك شيء.

إن القوة الإلهية لدى المسلمين هي أضعاف أضعاف ما لدي الدولة من القوة المحسوسة، مع انه لا يصح المقارنة بينها وبينها، والله هو ذو القوة المتين ولا شيء يغلبه ويعجزه.

والقوة الإلهية هي إعانة الله القوي لعباده المسلمين في كل شيء، الإعانة التي يطلبها الفرد المسلم في صلواته الخمس كل يوم، وهو سبحانه وتعالى مجيب الدعوات، فان المسلم إذا رفع يديه يدعو الله فانه سبحانه وتعالي يستجيب، والله يقول في كتابه الكريم: (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) [غافر: 60]

إن معني القوة الإلهية يظهر ويتحقق لدى الفرد المسلم الصالح في حياته كلها، في حله وتر حاله في حربه وسلمه، إذا توكل عليه وأناب إليه وتاب إليه، واستعان به وحده، ودعاه وحده، ووحده ولم يشرك به شيئا، والله تعالى يقول (إن الله يدافع عن الذين امنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور) [الحج: 38].

سأتناول فيما تبقى مثالا يوضح معنى القوة الإلهية، وهو مشاركة الملائكة في القتال في اول مواجهة مع المشركين في بدر.

الحباب بن المنذر: قوة الرأي

يمثل التشاور قيمة أساسية من جملة القيم التي على أساسها يتم التحكم في الصراع بدرجة عالية، وتوجيه القوة توجيها سليما والله تعالى يقول: (وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) [آل عمران:159] ومن أمثلة الشورى والأخذ بالرأي الآخر الظاهرة في التاريخ الإسلامي، مشورة ورأي الصحابي الحباب بن المنذر رضي الله عنه.

قال ابن كثير في كتاب (البداية والنهاية): قال ابن اسحاق:

فحدثت عن رجال من بني سلمة انهم ذكروا أن الحباب بن منذر بن الجموح قال يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: " بل هو الرأي والحرب والمكيدة ". فقال: يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل، فأمض بالناس حتى نأتي ادني ماء من القوم فننزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضا

فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون.

فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "لقد أشرت بالرأي". (17)

فان الرأي الذي أشار به الحباب بن المنذر، يوضح أهمية الشورى وان النبي صلي الله عليه وسلم قبل رأي الحباب وأتى عليه، وكان هذا عاملا مهما في انتصار المسلمين، وهي قوة سخرها الله للصحابي الحباب بن المنذر.

القوة الإلهية: مدد السماء

صحيح أن الدولة تحتاج إلى رجال وقوة، ولكن رجال أتقياء يعرفون الله، والى قوة ولكنها في حاجة أمس إلى القوة الإلهية، ان مشاركة الملائكة القتال مع المسلمين في الميدان في بدر سواء كانت مشاركة في القتال أو مشاركة بالحضور وليس القتال على اختلاف الروايات، يؤكد معني القوة الإلهية التي ينعم بها الله على عباده المؤمنين.قال تعالي:

(ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون، إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين، بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة

آلاف من الملائكة مسومين، وما جعله الله إلا بشري لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) [آل عمران: 123_126]

وقال تعالى:

(إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين. وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم. إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط علي قلوبكم ويثبت به الأقدام)

[الأنفال: 9_12]

قال ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره:

حدثني سليمان بن عبد الجبار قال: ثنا محمد بن الصلت قال: ثنا ابو كدينة عن قابوس عن ابيه عن ابن عباس: (ممدكم بألف من الملائكة مردفين) قال: وراء كل ملك ملك.

حدثني ابن وكيع قال: ثنا أبو أسامة عن ابي كدينة يحي بن المهلب عن قابوس عن ابيه عن ابن عباس: (مردفين) قال متتابعين.

قال: ثنا هانئ بن سعيد عن حجاج بن أرطاة عن قابوس قال سمعت ابا ظبيان يقول: (مردفين) قال: الملائكة بعضهم على إثر بعض.

قال: ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك قال (مردفين) قال: بعضهم على إثر بعض. (18)

والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأ: (بألف من الملائكة مردفين) بكسر الدال، لإجماع أهل التأويل على ما ذكرت من تأويلهم ان معناه: يتبع بعضهم بعضا ومتتابعين، ففي إجماعهم على ذلك من التأويل الدليل الواضح على ان الصحيح من القراءة ما اخترنا في ذلك من كسر الدال بمعني: أردف بعض الملائكة بعضا ومسموع من العرب: جئت مردفا لفلان: اي جئت بعده. (91)

وأما قوله :(إذ يوحي ربك الي الملائكة أنى معكم): انصركم (فثبتوا الذين امنوا) يقول: قووا عزمهم وصححوا نياتهم في قتال عدوهم من المشركين.

وقد قيل: إن تثبيت الملائكة المؤمنين كان حضورهم حربهم معهم وقيل: كان ذلك معونتهم إياهم بقتال أعدائهم وقيل: كان ذلك بان الملك يأتي الرجل من أصحاب

النبي صلي الله عليه وسلم ويقول: سمعت هؤلاء القوم _يعني المشركين يقولون: والله لئن حملوا علينا لننكشفن، فيحدث المسلمون بعضهم بعضا بذلك فتقوي أنفسهم قالوا: وذلك كان وحي الله الي ملائكته. (20)

وقال ابو محمد الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره:

(إذ يوحي ربك الي الملائكة) الذين امد بهم المؤمنين (أنى معكم) بالعون والنصر (فثبتوا الذين امنوا) أي: قووا قلوبهم قيل: ذلك التثبيت حضورهم معهم القتال ومعونتهم اي: ثبتوهم بقتالكم معهم المشركين. وقال مقاتل: أي بشروهم بالنصر، وكان الملك يمشي أمام الصف في صورة الرجل ويقول: ابشروا فان الله ناصركم. (سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) قال عطاء: يريد الخوف من أوليائي (فاضربوا فوق الأعناق) قيل: هذا خطاب مع المؤمنين وقيل: هذا خطاب مع الملائكة، وهو متصل بقوله (فثبتوا الذين امنوا) وقوله :(فوق الأعناق) قال عكرمة: يعني الرؤوس لأنه فوق الأعناق وقال الضحاك: معناه فاضربوا الأعناق وفوق صلة كما قال تعالي: (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب

الرقاب) [محمد :4] وقيل : معناه فاضربوا على الأعناق فوق بمعنى: على.

(واضربوا منهم كل بنان) قال عطية : يعني كل مفصل، وقال ابن عباس وابن جريج والضحاك: يعني الاطراف والبنان جمع بنانة وهي أطراف أصابع اليدين والرجلين، قال ابن الانباري: ما كانت الملائكة تعلم كيف يقتل الادميون فعلمهم الله عز وجل. (21)

الأحاديث التي تذكر مشاركة الملائكة في القتال يوم بدر

قال الإمام مسلم في أثناء حديث عن غزوة بدر من حديث ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم ، فنظر الي المشرك أمامه فخر مستلقيا ، فنظر إليه فإذا هو قد خطم انفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك اجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة " .

وروى الإمام مسلم :

حدثنا زهير بن حرب _والللفظ له_حدثنا عمر بن يونس الحنفي، حدثنا عكرمة بن عمار حدثني ابو زميل هو سماك بن الحنفي،

حدثني عبد الله ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلي الله عليه وسلم الي المشركين وهم ألوف ،واصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا ،فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه اللهم أنجز لي ما وعدتني ،اللهم آت ما وعدتني ،اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام لا تعبد في الارض ،فما زال يهتف بربه مادا يديه مستقبل القبلة حتي سقط رداؤه عن منكبيه .فاتاه ابو بكر فاخذ رداءه فألقاه علي منكبيه ثم التزمه من ورائه ،وقال :يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك ،فانزل الله عز وجل :(إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين)، فأمده الله بالملائكة. (22)

وقال الهيثمي في الزوائد:

وعن ابن عباس قال: لم تقاتل الملائكة مع النبي صلي الله عليه وسلم إلا يوم بدر وكانت فيما سوى ذلك إمدادا. وقال الهيثمي وعن ابي داود المازني، وكان شهد بدرا قال: إني لأتبع رجلا من المشركين لأضربه إذ وقع قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه قد قتله غيري. (23)

قال ابن اسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر انه حدث عن ابن عباس قال: حدثني رجل من بني غفار قال: اقبلت انا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا علي بدر ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة (الدائرة) فننتهب مع من ينتهب قال: فبينا نحن في الجبل اذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول: أقدم حيزوم، فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت.

قال ابن اسحاق: وحدثني عبد الله بن ابي بكر عن بعض بني ساعدة عن ابي اسيد مالك بن ربيعة وكان شهد بدرا قال بعد أن ذهب بصره: لو كنت اليوم ببدر ومعي بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا اشك فيه ولا أتمارى.

قال ابن اسحاق: وحدثني أبي اسحاق بن يسار عن رجال من بني مازن بن النجار عن ابي داود المازني وكان شهد بدرا قال: إني لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه اذ وقع رأسه قبل ان يصل اليه سيفي فعرفت انه قد قتله غيري.

قال ابن اسحاق: وحدثني من لا اتهم عن مقسم مولى عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن عباس قال: كانت سيما الملائكة يوم بدر

عمائم بيضا قد ارسلوها على ظهورهم ويوم حنين عمائم صفراء.

قال ابن اسحاق: وحدثني من لا اتهم عن مقسم عن ابن عباس قال: ولم تقاتل الملائكة في يوم سوي بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه من الايام عددا ومددا لا يضربون. (24)

الأحاديث التي ذكرت المشاركة ولم تصرح بالقتال

قال البخاري رحمه الله:

"باب شهود الملائكة بدرا" حدثني ابراهيم بن موسي أخبرنا عبد الوهاب حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما "أن النبي صلي الله عليه وسلم قال يوم بدر: هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب.

وقال أيضا:

حدثني اسحاق بن ابراهيم أخبرنا جرير عن يحي بن سعيد عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه _وكان ابوه من اهل بدر قال:

جاء جبريل إلي النبي صلي الله عليه وسلم فقال: ما تعدون اهل بدر فيكم؟ قال: "من

أفضل المسلمين "_أو كلمة نحوها _قال وكذلك من شهد بدرا من الملائكة ". (25)

المصادر:

1_. جيمس دورتي وروبرت بالتسغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية_ترجمة د. وليد عبد الحي (الكويت: كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع،ط.1985،1)، ص.15

2_ كارل دويتش، تحليل العلاقات الدولية_ترجمة شعبان محمد محمود شعبان (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. 1983،1)، ص.83

3_ جوزيف س.ناي، هل انتهي القرن الامريكي (الرياض: العبيكان للنشر، ط.6102،1)، ص.9

4_ علي جلال معوض، مفهوم القوة الناعمة وتحليل السياسة الخارجية (الاسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ط.9102،1)،ص.27

5_المصدر السابق ص.34

6_ ناصيف يوسف حتى، النظرية في العلاقات الدولية (بيروت: دار الكتاب العربي، ط.5891،1)، ص.121

7_ علي جلال معوض، مفهوم القوة الناعمة وتحليل السياسة الخارجية (الاسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ط.9102،1)،ص.30

8-جمال زهران، منهج قياس قوة الدول واحتمالات تطور الصراع العربي _الإسرائيلي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط.6102، 1) ،ص.23

9_ مارتن غريفيثس وتيري أوكالاهان، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية (دبي: مركز الخليج للأبحاث، ط.2008، 1)، ص.154

10_ علي جلال معوض، مفهوم القوة الناعمة وتحليل السياسة الخارجية (الاسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ط.9102، 1) ،ص.18

11_ جوزيف س.ناي، هل انتهي القرن الامريكي (الرياض: العبيكان للنشر، ط.6102، 1)، ص.95

12_ عبد القادر محمد فهمي، الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الامريكية (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ط.1، 2009)، ص.93-92

13_ علي جلال معوض، مفهوم القوة الناعمة وتحليل السياسة الخارجية (الاسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ط.9102، 1) ،ص.45

14_المصدر السابق ص.46

15_زبغنيو بريجنسكي، رقعة الشطرنج الكبرى (بيروت: مركز الدراسات العسكرية، ط.9991،2) ، ص.25

16_فرانسيس فوكوياما ،نهاية التاريخ والانسان الاخير (بيروت: مركز الإنماء القومي،ط.3991،1) ،ص.17

17_ ابو الفداء اسماعيل بن كثير_البداية والنهاية _الجزء الثالث (بيروت: مكتبة المعارف.1990،1) ،ص267

18_ ابو جعفر محمد بن جرير الطبري _ تفسير الطبري_الجزء الحادي عشر (القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط.2001،1) ،ص54

19_المصدر السابق ص.57

20_المصدر السابق ص.69

21_ ابو محمد الحسين بن مسعود البغوي _تفسير البغوي_المجلد الثالث (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط.1989،1) ،ص334

22_ احمد محمد العليمي باوزير_مرويات غزوة بدر (المدينة المنورة: مكتبة طيبة، ط.1980،1) ،ص192

23_المصدر السابق ص 237

24_ عمر عبد السلام تدمري _ السيرة النبوية لابن هشام_الجزء الثاني (بيروت: دار الكتاب العربي،ط.1990، 3) ،ص274-275

25_ احمد محمد العليمي باوزير_مرويات غزوة بدر (المدينة المنورة: مكتبة طيبة، ط.1980، 1) ،ص241

منبج و "مايك بومبيو"

في الأيام الماضية أنهت تركيا تنفيذ عملية عسكرية كبري في عفرين، ضد وحدات حماية الشعب الكردية (DPY) التي كانت تمثل مصدر إزعاج وتهديد كبيرين للأمن القومي التركي، أيامها التهبت مشاعر الأتراك وهم يقفون إلي جانب زعيمهم "رجب اردوغان"، الذي أعلن سقوط عفرين وانتهاء العمليات العسكرية بعد شهرين من بدايتها، وفرض معادلة جديدة في المستنقع السوري الذي امتلأ بمختلف الجنسيات المتحاربة والمتصارعة.

الحقيقة أن عملية غصن الزيتون تم التخطيط لها جيدا، فمن الناحية العسكرية شاركت القوات الخاصة، وهي قوات لها دراية كبيرة في حرب العصابات، شاركت هذه القوات في تنفيذ المهام العسكرية باحتراف كبير دون أن تلحق أضرارا بالمدنيين أو البني التحتية للمدينة، وأجبرت آلاف المقاتلين الأكراد في عفرين علي الفرار، بعد أن تم تحييد ثلاثة ألف وستمائة، في حين كانت خسائر تركيا نحو ستة وأربعين جنديا. ومن الناحية القانونية فان عملية غصن الزيتون، استند فيها " اردوغان" إلي استخدامه الحق

المشروع للدفاع عن النفس، مثلما يقرره منطوق المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة وقرارات مجلس الأمن رقم 1624 لعام 2005و القرار رقم 2170و 2178لعام 2014،وعندما كانت تركيا تعلن سقوط عفرين وبسط كامل سيطرتها عليها وهزيمة وحدات حماية الشعب الكردية الانفصالية، كان البيت الأبيض يعلن رغبة "ترامب"_(المتقلب المزاج) في تنصيب" مايك بومبيو" وزيرا جديد للخارجية بدلا من "تيلرسون"، وحتى يكون الحديث في سياقه الكامل، أرى من الضروري هنا أن أشير إلى أن" تيلرسون" الذي يصفه "ترامب" بأنه شخص محبط، وهو وصف يحمل معاني عدم التوافق السياسي وربما يصفه بأوصاف أخرى اقسي وأفظع، لكن على الأقل هذا الوصف يوضح عدم الانسجام والتفاهم بينهما، من الضروري أن أشير إلى أن "تيلرسون" يحسب من العقلاء في إدارة ترامب الذي من سماته الجنوح إلى المواجهة والعنف، ومما يجمع "بومبيو" و "ترامب" هو نظرتهما المتطرفة لدور الولايات المتحدة في العالم وجنوحهما للعنف، مجرد تعيين "بومبيو" في الخارجية يعني أن تركيا المنتصرة ربما تواجه متاعب قادمة في الطريق إليها، لأن "تيلرسون" المنتهية ولايته أو بالا حرى الذي تمت إقالته، كان قد ابدى تفهما

كبيرا تجاه تركيا وحقها المشروع في حماية أمنها القومي، وفي الوقت الذي تمت فيه تفاهمات بين "تيلرسون" وتركيا حول المليشيات الكردية في منبج وشرق الفرات، وضرورة خروج هذه الميليشيات منها وأن تكون المنطقة بها تواجد تركي وأمريكي لتأمين الجهات الحدودية، والتي تعتبر تركيا أنها مسالة حياة أو موت، فإن هذه التفاهمات العقلانية، ربما يعيد فيها "بومبيو" النظر لخلفياته المتهورة، والمعادية للإسلام والمسلمين، وباعتبار أن قوات وحدات حماية الشعب الكردية هي حليف محوري للولايات المتحدة، وهي من ثم ذريعة تتخذها الولايات المتحدة لإيجاد موطئ قدم لها في منطقة مزدحمة بالطامعين.

يتشابه الرجلين "ترامب" و"بومبيو" في نظرتهما العسكرية والقمعية التي يجب أن تسحق بها كل قضية، ومن مواقف "بومبيو" التي يختار فيها العنف ويجانب الحلول الدبلوماسية هي أنه عندما كان في الكونغرس عارض بشدة الاتفاق النووي مع إيران، وفي الذكري الأولى للاتفاق دعا "بومبيو" إلي إنهاء الحكم الثيوقراطي في إيران !والمح "مايك بومبيو" في خطاب له في منتدى اسبين للأمن، إلى ضرورة تغيير نظام الحكم في كوريا الشمالي من الواضح أن "ترامب" قد جمع إليه كل الصقور

والجنرالات من اليمين المتطرف فتعيين "بومبيو" بدلا من "تيلرسون"، و"بلوتون" بدلا من"مكماستر"، ربما يقود هذا إلي سياسات أكثر تهورا وتشددا وتعقيدا في الشرق الأوسط وليس من المستبعد أن تتصاعد حدة التوتر بين الولايات المتحدة وتركيا إلى حد المواجهة.

سعدى بنت الشمردل

من أكثر أبواب الشعر تأثيرا في النفس الإنسانية باب الرثاء، لما ينطوي عليه من وصف صادق وحقيقي لخطرات النفس الملتاعة والمكلومة.. من الشعراء من يقولون فيه أبياتا جيدة وصادقه أكثر من ضروب الشعر الأخرى، ومن النساء أيضا شواعر قلن أبياتا جيدة وصادقة. فيما أتصور أن الخلود والشهرة والبقاء لأشعارهن في هذا الضرب أكبر بكثير من الرجال !

"سعدى بنت الشمردل" واحدة من هؤلاء، وهي شاعرة جاهلية من بني جهينة، ومرثيتها التي سأتكلم عنها هي واحدة من القصائد أو البكائيات الموجعة، التي تفيض بالألم والحسرة والحزن، بعد أن قتل أخيها قتلة شنيعة وتطرقت فيها الشاعرة "سعدى" إلى الحقائق الثابتة، مثل أن كل مؤخر يوما سيتبع سبيل الأولين،فلا خلود لأحد، وأن كل حي ذاهب ومودع، وأن الموت هو المصير الواحد الذي ينتهي إليه كل العالمين، مهما امتدت آجالهم وزادت سنينهم وأعمارهم.

كان ل "سعدى" أخ هو "اسعد بن مجدعة"، وهو أخوها لأمها كما يقول رواة الشعر والمؤرخون، قتلته بهز من بني سليم بن منصور . المعلومات التي بين أيدي رواة الشعر عن" سعدى" قليلة الا أنها اشتهرت برثاء اخيها وبكائها عليه في أبيات جزلة، ووصفته بالصفات الفاضلة فقد كان سميدعا كريما وأميثا سهلا، وذكرت شجاعته واهتمامه برفاقه وأصحابه، الأبيات قالت فيها "سعدى بنت الشمردل" :

أمن الحوادث والمنون أروع

وأبيت ليلي كله لا أهجع

وأبيت مخلية أبكي أسعدا

ولمثله تبكي العيون وتهمع

وتبين العين الطليحة أنها

تبكي من الجزع الدخيل وتدمع

ولقد بدا لي قبل فيما قد مضى

وعلمت ذاك لو أن علما ينفع

أن الحوادث والمنون كليهما

لا يعتبان ولو بكى من يجزع

ولقد علمت بأن كل مؤخر

يوما سبيل الأولين سيتبع

ولقد علمت لو أن علما نافع

أن كل حي ذاهب فمودع

أفليس فيمن قد مضى ألي عبرة

هلكوا وقد أيقنت أن لن يرجعوا

ويل ام قتلى بالرصاف لو انهم

بلغوا الرجاء لقومهم أو متعوا

كم من جميع الشمل ملتئم الهوى

كانوا كذلك قبلهم فتصدعوا

فلتبك أسعد فتية بسباسب

اقووا وأصبح زادهم يتمزع

جاد ابن مجدعة الكمي بنفسه

ولقد يرى أن المكر لأشنع

ويلمه رجلا يليذ بظهره

إبلا ونسال الفيافي أروع

يرد المياه حضيرة ونفيضة

ورد القطاة إذا اسمأل التبع

وبه إلى أخرى الصحاب تلفت

وبـه إلــى الـمكروب جري زعزع

ويـكبـر الـقـدح الـعنـود ويـعتلـي

بـألـى الـصحاب إذا أصات الـوعوع

سبـاق عاديـة وهادي سريـة

ومقـاتـل بـطل وداع مسقـع

ذهبـت بـه بــهز فـأصبـح جدها

يـعلـو وأصبـح جد قـومـي يـخشع

أجعلـت أسعد لـلـرمـاح دريـئـة

هبـلـتـك أمـك أي جرد تـرقـع

يـا مطعم الـركب الـجيـاع إذا هم

حثـوا الـمطي إلــى الـعلـى وتـسرعوا

وتـجا هدوا سيـرا فـبـعض مطيـهم

حسرى مـخلـفـة وبــعض ظلـع

جوا ب أوديـة بـغيـر صحا بـة

كشاف داوي الـظلام مشيـع

هذا علــى إثـر الـذي هو قـبـلـه

وهي الـمنـايـا والـسبـيـل الـمهيـع

هذا الـيـقـيـن فـكيـف أنـسى فـقـده

إن راب دهر أو نبا بي مضجع

إن تأته بعد الهدو لحاجة

تدعو يجبك لها نجيب أروع

متحلب الكفين أميث بارع

أنف طوال الساعدين سميدع

سمح إذا ما الشول حارد رسلها

واستروح المرق النساء الجوع

من بعد أسعد إذ فجعت بيومه

والموت مما قد يريب ويفجع

فوددت لو قبلت بأسعد فدية

مما يضن به المصاب الموجع

غادرته يوم الرصاف مجدلا

خبر لعمرك يوم ذاك أشنع

الحالة المحتملة

إذا كانت تصفية الأفراد أو أي مجموعات من البشر من منظور الطرف الفاعل، تمثل الحل والمخرج الوحيد المتاح والممكن للخطر الذي يمكن أن يمثله الأفراد أو المجموعات الجسيمة عليه، التي ربما تصل إلى تهديد وجوده فعليا، لذلك ينبغي القضاء عليهم وتبديد وجودهم مهما كانت قساوة وفظاعة التصفية، فانه ربما تكون هذه الحلول في حد ذاتها جريمة لا تغتفر، وتعتبر عملا إرهابيا بالرغم من المعطيات والاقتناعات التي توصل إليها الطرف الفاعل.

مع ذلك فان المعطيات التي وصل معها الطرف الفاعل إلي درجة اليقين والتسليم والتصديق، الذي يتوجب معه تنفيذ التصفية العاجلة والقاسية في الأفراد أو المجموعات، هذا اليقين والتسليم والتصديق الذي إما أن يكون ذاتيا داخليا محضا بأدوات الطرف الرئيس نفسه، أو يكون اقتناعا ويقينا تكون نتيجة أطراف خارجية يستند إليها النظام، وفي هذا الثاني في تقديري، مكمن ومنبع الخطر، لأنه ربما لا تسلم النتائج التي تقدمها الأطراف

الخارجية من المكر أو أي فعل ناقص بما من شأنه أن يؤدي إلي حتمية إزاحة وإزالة الطرف الأخر، وهو التقدير الخاطئ الذي إذا تم، فان مردوده وعاقبته المؤكدة هي إزهاق الأرواح البريئة من ناحية، وربما حدوث رد فعل مختلف على الدولة وسيادتها من ناحية أخري.

مع ذلك فان قضية تصفية " جمال خاشقجي" رحمه الله التي وجدت تفاعلا دوليا وإقليميا كبيرا، ورغم كل ما أثير حول ملابساتها فإنها في تقديري بل وفي تقدير أي مراقب، تمت على الأرجح لأغراض بعيدة ولأهداف أخري، ربما تظهر بعد وقت طويل، وكان ما حصل هو من تقدير الأطراف الخارجية التي ورطت الطرف الفاعل بها لا من تقدير الطرف الفاعل وأدواته الداخلية.

ومع هذا فان اندفاع الطرف الرئيس بما يمتلك من قوة مادية وعسكرية، وأرض ثابتة يقف عليها في سحق وتصفية الأفراد أو المجموعات، التي تعتبر في تقديره وتقدير أجهزته، مصدر قلق وصداع يؤرق النظام، ربما يكون في بعض الأحيان نتيجة مكر طويل واستدراج خارجي منظم يعقبه ويتلوه نسف وجود النظام الرئيس، وذلك لتحقيق أهداف ومصالح ومطامع اقتصادية وسياسية

وأيدلوجية، يصعب تنفيذها وتحقيقها في حال وجود النظام القوي على أرض صلبة، إلا أنها تكون سهلة التحقيق والتنفيذ في الحالة الأخرى، وهي نسف النظام بأيدي وأدوات النظام نفسه، ومن غير أن يكلف المستهدف الخارجي نفسه شيئا ومن دون خسائر مادية أو بشرية.

إن تصفية الأفراد وإسكات الرأي الأخر (البعض يصف التعبير عن الرأي بأنه صفة سيئة لا ينبغي أن يتصف العقلاء بها !ولا أجد في ذلك تعقيبا، إذا كان مثله يستحق التعقيب والتفنيد، سوي أنها محاولات مبتكرة وجديدة لم يسبق بها أحد في المسلمات والحقائق) وتصفية قادة الرأي واعتقال العلماء والشخصيات العامة والدعاة، هي من صفات وعلامات الاستبداد، وهي صفة لا ينبغي أن تتصف بها دولة عادلة، وكان ما ينبغي فعله هو المحاورات والمفاوضات مع الطرف أو الأطراف الأخرى، والوصول إلي تفاهمات واتفاقات لتجنيب الدولة مخاطر الانشقاق والفتنة والاختلاف، غير أن الاستبداد يمكنه أن يزيد من احتقان الوضع المحتقن أصلا، مما يمكن أن يؤدي بدوره إلى حدوث واحد من احتمالين:

الأول هو انفجار الوضع، بعد ارتفاع عدد الاعتقالات التي تمت بحق العلماء والأئمة،

وتصفية المعارضين السلميين أصحاب الرأي، وحدوث حالة فلتان غير متوقع أو محسوب تصعب السيطرة عليه، الاحتمال الثاني هو توقيع عقوبات اقتصادية على الدولة باعتبارها مارقة، واستنزاف أموالها، ثم إحداث تغيير جبري لنظام الحكم، وليس من المستبعد فرض نظام جديد تحدده الدول الكبرى ذاتها في مماثلة لإعادة نموذج الدولة العراقية أو الأفغانية.

بدر العظمى: الدروس المستفادة

في السابع عشر من رمضان كل عام، تمر في الأذهان ذكرى أول مواجهة حقيقية بين قوى الكفر والشرك وقوى النور والتوحيد، فقد كانت تلك المواجهة الهامة في تاريخ الإسلام التي شهدها شهر رمضان، هي بداية النهاية للوثنية والظلام الذي تعيشه اقوى القبائل العربية في ذلك الوقت، بل بداية النهاية لكل القوى الظلامية، ممن امتزجت لديهم الأباطيل بالأساطير، وتعانق الواقع عندهم بالوهم والضلالات!

كانت نفسية الجيش المكي قبل المواجهة في بدر في وضعية غير مستقرة وغير مطمئنة، يغلب عليها الاضطراب والتشويش والرعب والفزع : رؤيا "عاتكة بنت عبد المطلب" التي فشت في أندية مكة وتناقلها الناس واحتسبوا أيامها الثلاث، أدخلت الشك والريبة وفتحت الباب للعديد من الاحتمالات والتخرصات، وجعلت "أبو جهل بن هشام" يقول في لهجة محتدة :يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم قد زعمت "عاتكة" في رؤياها أنه قال: انفروا في ثلاث، فسنتربص بكم هذه

الثلاث فإن يك حقا ما تقول فسيكون، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء، نكتب عليكم كتابا أنكم اكذب أهل بيت في العرب.

رسالة "ضمضم بن عمرو" وهو يصرخ: الغوث الغوث اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها . وهو واقف على بعيره وقد جدع أنفه، وحول رحله وشق قميصه، كانت بمثابة إنذار وجرس يدقه للموقف المعقد والمجهول الذي يمضون إليه بالتزامن مع اليوم الثالث للرؤيا .

حديث" عمير بن وهب الجمحي" الذي لا يبعث على الاطمئنان من الوضع والمصير الذي يقبل عليه الجيش، ويدعو على استحياء إلى الرجوع ونبذ فكرة الاشتباك والالتحام: ما وجدت شيئا ولكن قد رأيت يا معشر قريش، البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم ؟

مع هذا فقد اجتمعت قوى الشر والكفر كلها وقتذاك على قلب رجل واحد، لسحق الدعوة الإسلامية، وجعلوا في قلوبهم إعلاء دين

الأباء والأجداد، ونصر الوثنية والعزى وهبل واللات، ومن أجل تلك الأباطيل والضلالات، خرجت قريش وأشرافها وجمعوا القبائل العربية المتاخمة، ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بني عدي فإنهم أبوا.

وفي السابع عشر من رمضان وعلى حدود بدر التقت القوتان قوة المسلمين وقوة قريش. كانت نعرات الجاهلية تمكنت في قريش تمكنا كبيرا، شأنها في ذلك شأن كل القبائل العربية في ذلك الوقت، حتى لا تسمع القبائل بضعف أو نقص في قوة قريش المهابة بين القبائل، غير انه شتان وفرق كبير بين من يخرج من أجل سمعته وهيبته وسيادته، وإتباع عادات ونعرات، وبين من يخرج ابتغاء مرضاة الله ورضوانه وإعلاء كلمته، بين من يبتغي سيادة الدولة، ومن يقصد سيادة الدين، بين من يبتغي عرض الدنيا، ومن يبتغي الآخرة.

إن رفض الإسلام والتوحيد، وتحكيم الأهواء والآراء والأصنام، والحمية والعصبية، هي محركات ودوافع جيش الكفر الذي كان يعتزم اقتلاع دعوة الإسلام، وهي محركات ودوافع منقطعة، لا تحقق نصرا أو تحرز تقدما، أمام محركات ودوافع متصلة بقوة الله والإيمان به. إضافة فإن قوة الإسلام كان

محركها هو إظهار دعوة التوحيد وعبادة رب العباد، ومحرك قوة الكفر كان هو حمية الجاهلية؛ إن العصبية والحمية هي التي دفعت مجتمع قريش للخروج ومواجهة هذه القوة، التي مثلت لها قلقا مستديما فكانوا بين رجلين، أما خارج وأما باعث مكانه رجلا، وأوعبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد.

إن طلب المدد والمعونة في بداية الحرب أو أثناها، هو إقرار واعتراف بحقيقة مضمونها هو عدم مقدرة هذه القوة المحاربة للوصول إلى الهدف المناط بها، وإقرار بحقيقة الضعف الذي يجعل من القوة في كفة العدو هي القوة الراجحة، وينبغي الاستعانة بقوة أخرى، بما يمكن معه أحداث الخلل في ميزان القوى غير المتعادل، وترجيح ذلك لهم للوصول للأهداف المطلوبة.

إن الفرد المسلم يدعو الله النصر، لأن النصر من عنده، وهذا الطلب في حد ذاته إقرار وتوحيد لرب العالمين بالربوبية، فهو عز وجل المعطي والمانع، والوهاب والقوي. إن النصر وغلبة الأعداء لا يظهر بكثرة العدد أو أسباب القوة، إنما يظهر بإرادة الله ومشيئته، بالتوكل عليه، والإنابة له ودعائه.

أن جيش الإسلام في بدر، لم يطلب هذه المعونة والمساندة من جيوش أخرى، ولكنه توجه بطلبه إلى من يملك القوة الكاملة والمطلقة، التي لا يشوبها نقص، أو يعتريها ضعف وعطب. وهذا هو الدرس المستفاد مضافا إلى دروس غيره عديدة؛ طلبها من الله جل وعز: "اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض" والحديث رواه مسلم في صحيحه:

حدثنا زهير بن حرب _واللفظ له قال: حدثنا عمر بن يونس الحنفي قال :حدثنا عكرمة بن عمار قال: حدثني أبو زميل: هو سماك الحنفي قال: حدثني عبد الله ابن عباس قال :حدثني عمر بن الخطاب، قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه :"اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم انك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض"، فما زال يهتف بربه ، مادا يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداؤه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما

وعدك، فانزل الله عز وجل :(إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) [الأنفال:9]فأمده الله بالملائكة .

إن الإيمان بالله الواحد وتقواه، هو أكبر محرك للبشر لتحقيق النصر وإحراز التقدم أمام أي قوة ظلامية منقطعة، تحقيق النصر أو النصر، أو تحقيق النصر والنصر. النصر أو الحسنيين، النصر الأول أو الحسنة الأولى هي الغلبة في الميدان، النصر الثاني أو الحسنة الثانية هي الفوز بجنة الله. فإما هذا أو هذا، وإما هذا وهذا.

الدولة الفاشلة

يعتبر البعض أن حالة التدهور أو القصور أو الإخفاق أو التدني، في المجالات الأمنية أو السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية للدولة، هي مؤشر للتصنيف والتسليم بأنها دولة فاشلة، أيا ما كان المسبب في ذلك القصور أو التدني أو الإخفاق الذي وصلت إليه الدولة، سواء كان نتيجة سياسات خاطئة ومتخبطة من النخبة الحاكمة، أو نتيجة عرض خارجي قوي تقع الدولة تحت وطأته، مثل الحصار والعقوبات الاقتصادية، أو كان نتيجة الإكراه عن طريق حروب الجيل الرابع من الحروب غير المتماثلة، التي تستغني فيها الدول الكبرى عن استعمال ترسانتها العسكرية ونيرانها، ويستخدم فيها الأطفال والنساء من ذات الدولة المستهدفة، في وجود تعاون من الطابور الخامس لإحداث القلاقل وعدم الاستقرار والفوضى، وصولا إلى إعلان العصيان المدني في كافة المرافق، أو سواء كان نتيجة أي مسبب آخر.

وكان نتيجة هذا المفهوم (إعلان الفشل) الذي تلجأ إليه الدول الكبرى متعمدة، والتي تخصص لهذا الغرض مؤسسات وهيئات، مثل صندوق السلام Fund for peace ومجلة السياسة الخارجية فورين بوليسي، وجامعة

جورج ماسون وغيرهم، كان نتيجة ذلك المفهوم الذي يعرف الفشل بأنه: فقدان الدولة حقها السيادي في احتكار قوتها بشكل شرعي مما يعرضها للاضطرابات وحركات العصيان المدني، أو تكون سيادتها مقيدة بسبب تعرضها لعقوبات اقتصادية وسياسية وعسكرية، أو وجود قوات أجنبية على أراضيها، أو هي الدول التي لا تستطيع أن تلعب دورا فاعلا ككيان مستقل على أراضيها، كان نتيجة ذلك هو إصدار قوائم للدول الفاشلة في شهر يوليو (تموز) من كل عام، وهذه الدول الفاشلة يجري استهدافها أو بالأحرى استنزافها كما هو مشاهد، باعتبار المصالح السياسية والاقتصادية، والثروات الطبيعية الضخمة التي تحتويها.

وإذا أمعنا النظر في العوامل والمؤشرات مثل المؤشر الأمني والسياسي والاقتصادي والمجتمعي، التي وضعتها تلك المؤسسات، نجد أنه كان من السهل لديها تحييد تلك العوامل وتوجيهها إلى أغراض سياسية تتفق تماما مع مصالح واستراتيجيات الدول الكبرى، بمعني أنها محاولة لإضفاء الشرعية والقانونية لما سوف تقوم به الدول الفاعلة لاحقا بحق هذه الدول، وعليه فإنها تصنف كوريا الشمالية مثلا دولة فاشلة مثلما تصنف الصومال دولة

فاشلة، مع ما بلغته كوريا الشمالية من التطور العلمي والتقني، وليس من الصعب في ذلك أن نقف على تسييس العوامل والمؤشرات التي يتم الاستناد عليها، والتي تفتقد النزاهة المهنية العلمية، ووفقا لذلك تصنف كوريا الشمالية دولة فاشلة، بل مارقة؛ لأنها تشكل تهديدا أمنيا حقيقيا للولايات المتحدة.

ومع ذلك فإن هذه المؤسسات مختلفة عن بعضها في تناولها لمؤشرات وقياس الفشل، فمؤسسة برتلسمان مثلا تعتمد على المؤشر السياسي والأمني في قياس الفشل، بينما تعتمد مؤسسة الاقتصاد والسلام المؤشر الأمني فقط، وتعتمد مجوعة عالم الاقتصاد المؤشر الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، في حين تعتمد جامعة جورج ماسون وصندوق السلام المؤشرات السياسية والاقتصادية والأمنية والاجتماعية، وهذا الاختلاف في تناول المؤشرات ينتج عنه تباين في قياس الفشل؛ مما يعني أن تقييم الفشل غير موحد وغير مطلق لأنه يختلف من جهة لأخرى، ومن الطبيعي أن لا يثق في هذا التصنيف إلا الجهات التي أصدرتها، أو بالأحرى الجهات التي من مصلحتها هذا القياس.

ومع ذلك فان إضافة وصف الفشل للدولة وتسميتها بالفاشلة Failed State يظل

أمرا يفتقد للمهنية العلمية وغير متقبل، لما ينطوي عليه الوصف من الظلم والإجحاف المتعمد والمقصود؛ لأن الفشل أو الانهيار صفات متغيرة، وليست ثابتة، بل إن من طبيعة الأفراد والدول التعرض للنكبات والإخفاق، بل إن الدولة أو الأفراد ينجحون دائما بعد تعرضهم لتجارب الفشل والانهيار والتدمير كما في تجربة اليابان على سبيل المثال، أما أن تلصق صفات النقص والمهانة بما يعطي انطباعا بأنها مكون أساسي للدولة مهما كان حجم الإصلاحات الاقتصادية والسياسية والأمنية بها، فهذا مما يتنافى مع حقائق الأشياء ويخالف المعقول، ومع هذا فإن إضافة الصفات الناقصة للدول وتسميتها بها لا يخرج من مسمي الظلم، ولا يخرج أيضا من مسمى الحرب النفسية والتشهير ومحاولة زعزعة الثقة لديها، وتشكيكها في ثوابتها واستراتيجياتها وعقيدتها، مجرد إطلاق هذه التسمية يعطي شعورا وإحساسا بأن هذه الدول القوية لديها من الحق في أن تسمي من تشاء بما تشاء.

ومع هذا فإن مسمى الدولة الفاشلة، والذي كان دخول المتغيرات السياسية والنظرة النفعية فيه، ليتم اجتياح الدول ونهب ثرواتها، وإخضاعها تحت مسميات مسؤولية الحماية وحفظ الأمن والسلم الدوليين،

باعتبار أنها غير مؤهلة لتكون جزءا من المنظومة الدولية، (نحو 20 دولة عربية تسمي دولا فاشلة) فإنه يمثل سقطة فكرية وأخلاقية وتكشف عن نفوس مريضة بالتسلط والكبر والهيمنة.

أنا و"سارة"

رأيت أننا في موضع حرب، نمتشق أسلحتنا وفي جاهزية كاملة. قبل أن أقص رؤياي فإنه يجب أن أوضح أننا الطرفين المتحاربين في الأصل أخوة، يجمعنا مكان واحد ووطن واحد، ولغة واحدة ودين واحد، ما يجمعنا أكثر بكثير مما يفرقنا، وأننا بسبب متغيرات كثيرة متراكمة بعضها فوق بعض حتى أنه ضاعت علينا بعض تفاصيلها وأحداثها، قد انقسمنا إلى قسمين.

كنا في موضع الحرب، وامسك كلينا بمدفعه يصوبه على الآخر ليوجه الضربات الاستباقية الأولى، التي من شأنها أن تغير كثيرا في مجريات الحرب وتفاصيلها.. خير اللهم اجعله خير.. كانت ساحة الحرب وميدان المعركة على البحر لا على البر. وتبادلنا الضربات الأولى الاستباقية. اقتربت الصفوف من بعضها كادت الدماء أن تسيل كادت الأرواح أن تزهق، كانت قاب قوسين أو أدنى، إلا انه حصل شيء غريب، فقد طلب الطرف الذي نقاتله طلبا رأيناه غريبا ومربكا وغير مفهوم في وقتها، واعتبره غريبا ومربكا أيضا في عالم الواقع والحقيقة، لكن في عالم الأحلام والرؤيا تختفي حدود المعقول والمنطق والممكن.

كان هذا الطلب هو أن ننزل إليهم حتى نتناول معهم شئيا نأكله في مائدة واحدة نسد به الرمق، والأعجب من ذلك أن طلبهم هذا كان فيه شيء من الرجاء والتوسل لمحناه في أعينهم، فنزلنا على رغبتهم تأخذنا الدهشة. كما تأخذني الآن في عالم اليقظة.

جلسنا على مائدة واحدة.. خير اللهم اجعله خيرا.. ووضعت أطباق الأكل وما لذ وطاب، وأحضرت الأكواب والشراب، فأكلنا وشربنا، ثم إنني سألت سؤالا. كانت هيئتي وجلستي وانا ألقى السؤال كالهيئة التي اتخذها والجلسة المميزة التي أجلسها في اجتماعاتنا في صندوق الدواء الدائري، مع انه لا شيء يجمع بينها وبين مقاتل في ساحات الوغى، لكنها على كل حال أحداث رؤيا لا يد لي فيها. جاءت كما أقص. قلت:

ما الذي يمنع أن نكون كسابق عهدنا نأكل أخوانا ونشرب أخوانا ونعيش أخوة مؤمنين متحابين.

قالت "سارة" والدموع تترقرق في عينيها وتكاد أن تنهمر:

لقد سفكتم دماءنا .. قتلتم أولادنا، كيف لنا أن ننسى.. كيف لنا أن ننسى أهلنا الذين قتلتموهم، كيف لنا أن نضع أيدينا

في أيديكم الملوثة بالدماء، أننا إذن مذنبين.. لا.. لن نفرط في حقوقهم سنقتص منكم وستذوقون جزاء أفعالكم.. أنكم لا تودون أن تفهموا ما نقوله.. أنكم تضعون حاجزا بيننا وبينكم.. ما الذي غير أفكاركم.. لماذا تعتقدون أنكم الأعلون ونحن الأدنى.. انتم السماء ونحن الأرض.. أنتم السادة ونحن العبيد، ماذا تريدون أن تكونوا.. جبارين مستبدين؟! تملكون الدنيا وما فيها!. أما تخافون الله. أما تخشون الحساب!.

كانت كل هذه المعاني وما يشبهها أو يقاربها والتي أحاول أن اجمعها من الذاكرة أو بالأحرى من الحلم، تقولها "سارة" والدموع تملا عينيها. وان كنت أنسي فلن أنسي أنها كانت ترفع صوتها عاليا في كلمات أولادنا. دماءنا. الأعلون. ولا ادري في حقيقة الأمر هل كنت أمام مقاتلة حسمت أمرها، أم أمام ممثلة مسرحية بارعة تجيد الدراما والتمثيل؟.. خير اللهم اجعله خيرا. قلت وانا في جلستي وهيئتي التي أخبرتك:

يا أختاه هوني عليك نحن لسنا كما تدعين وتقولين.. أننا نطلب منكم أن تتحلوا بروح جديدة، أن نتحاور وان نتحاسب وان يكون كل ذلك تحت أهداف المصلحة العامة

لا نختلف عليها نحن ولا أنتم. تعالوا نخدم كل أمالنا.. تعالوا بروح جديدة طيبة.. لا اطلب أن تنسوا قتلاكم ولا تتنازلوا عن مبادئكم، لكن تعالوا إلى ما فيه خيرنا وخيركم تعالوا نبدأ بداية جديدة.

كنت أتحدث بروح قوية وبنبرة عالية، ولحسن الحظ أن نبرتي أيضا لم تكن نبرة محارب ومقاتل فتاك. كانت نبرات وأصوات مسرح عالية، تماما مثل "سارة" إلا إنني لسوء الحظ لم اسمع ردها، فقد أيقظني الهاتف برنينه العالي المزعج، وكان على الطرف الآخر "سوزان" تخبرني أنها رغم هطول الأمطار والشوارع المملوءة بالماء والطين، سوف تداوم هذا اليوم معي في الصيدلية !

بعد هذا فاني أود أن أضيف إلى "سارة" بقية كلامي الذي ربما لم يتم كاملا في الرؤيا التي قصصتها، إن تعاليم ديننا أولا يا "سارة" وأخلاقنا السمحة وأدبنا الجم ثانيا، وروحنا الطيبة التي أودعها الله فينا والتي ورثناها عن آبائنا وأجدادنا ثالثا، كلها تعتبر ركنا شديدا ومرجعية ثابتة نحمتي به ونهتدي، فلا نتقاتل اذا تقاتل الناس مهما اختلفنا، ولا نتحارب مهما تباينت وجهات نظرنا، وفي تاريخنا البعيد والقريب دلالات كثيرة تؤكد

ما ادعي وأقول فلماذا لا نأتي بقلوب مفتوحة، وسرائر بيضاء ونوايا صادقة، ونتحاور ونتشاور ونتفق. لماذا لا يكون الاتفاق والوئام هو مطلبنا.

صحيح أن النزاع أو الصراع هو حالة عارضة أو طارئة للأفراد أو الدول، يحاول فيها كلا الطرفين المتصارعين اكتساب النصر والفوز على الآخر، إلا انه ينشأ من الاختلاف القائم بينهما في الدوافع والتصورات، أو التطلعات أو الأهداف وفي بعض الأحيان يكون مصدره التضارب أو التناقض في المبادئ أو المفاهيم، أو العواطف أو الأهداف، أو المطالبة بالكيانات أو الهوية، لماذا لا نجعل هذه الثلاثة أركان التي ذكرتها: تعاليم الدين الإسلامي وأخلاقنا الفاضلة التي هي قطعا مستمدة من الدين وروحنا الطيبة لماذا لا نجعلها مرجعيتنا فلا نختلف ونتنازع هذا ما وددت أن أضيفه واني لأرجو أن يترك فيها أثرا حسنا وان يكون ردها إيجابيا كما أتوقع وأتمنى.

عن الأزمة الكورية

تعتبر كوريا الشمالية واحدة من الدول المارقة ،(من المفيد هنا أن أوضح أن الدول المارقة أو محور الشر هو مصطلح وتعريف قامت بوضعه الولايات المتحدة ،لتحديد وتصنيف الدول التي لا تلتزم بمعاهدة حظر انتشار السلاح النووي ،والتي هي من ثم تشكل خطرا علي الأمن والسلم الدوليين الذين لا تقبل التفريط فيهما الولايات المتحدة والأمم المتحدة! ،ومع ذلك فان الولايات المتحدة ذاتها تغض الطرف عن الأسلحة النووية التي تنتجها المفاعلات النووية في إسرائيل علي سبيل المثال !،وهذه هي السياسة المزدوجة التي تتبناها والتي تأخذ بها بعض الدول بالشدة والقهر وربما بالتدمير الكامل ،بينما تؤخذ دولا أخري بالرأفة والرحمة ،ومع هذا فان الدول المارقة وفق تصنيف الولايات المتحدة هي العراق وليبيا وإيران وكوريا الشمالية) تعتبر كوريا الشمالية من الدول المارقة التي تشكل تهديدا كبيرا ،وتمثل صداعا مزمنا وتوترا مستديما للإدارة الأمريكية علي مدي عقود طويلة .

من علامات هذا التوتر هو التصعيد الأخير بين بيونغ يانغ وواشنطن الذي وصل إلي حد التهديدات الكلامية المتبادلة ،بعد ان نفذت كوريا الشمالية تجربة إطلاق صاروخ باليستي عابر للقارات يمكنه أن يصل إلي أجزاء من الولايات الأمريكية، ففي الوقت الذي يري فيه باحثون ومؤرخون من كوريا الشمالية ان زعيمهم ابعد ما يكون عن الجنون بل ان "دونالد ترامب" هو الشخص الذي لا يمكن التنبؤ بتصرفاته ،فان السيناتور "جون ماكين" يصف الزعيم الكوري "كيم جونغ اون" بالفتي السمين الأخرق ،وعندما كان "ماكين" يطلق وصفه ذاك علي زعيم الكوريين فان كوريا كانت قد فرغت من وضع خطة الهجوم علي جزيرة غوام التي توجد بها قواعد عسكرية!.

الحقيقة انه رغم كل التهديدات والتراشقات الكلامية والتأهب للدرجات القصوى التي أعلنها كلا البلدين ،بما يصور علي الأرجح أن حربا نووية وشيكة ستندلع بينهما ،وستقضي علي الأخضر واليابس بل تهدد بفناء البشر والعالم بأجمعه ،فان الفتى "اون" كما يسميه "ماكين" ،إنما كان يخطط في واقع الأمر فيما أرى، لاستنزاف الإدارة الأمريكية اقتصاديا ومعنويا ،ويضفي من ثم علي امتلاكه وتطويره للأسلحة النووية صبغة

شرعية ،تارة بالتهديد كما في الأزمة الأخيرة ،وتارة بإظهار الإذعان التام والالتزام الكامل بمعاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية وهذا ما بينته بالفعل آخر المستجدات إذ أعلن الرئيس "كيم" تجميد الخطة الهجومية المزعومة علي جزيرة غوام .

ومن أدلة هذه الحقيقة أن كوريا الشمالية هددت بالانسحاب من المعاهدة الدولية في عام 1985 في وسيلة منها لمواجهة ضغوط الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية واليابان عليها ،وفي عام 1993 نفذت التهديد بالفعل ،وقد نجحت وقتها الإدارة الأمريكية في التوصل إلي حل سلمي للازمة تلتزم فيه كوريا الشمالية بتجميد برنامجها النووي مقابل أموال توفرها الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية لسد حاجتها للطاقة ،إلا أنها أعلنت في عام 2003 انسحابها من التزامها بالمعاهدة إلي أن تمكنت الولايات المتحدة في عام 2005 بعد محاولات مستميتة في مباحثاتها مع كوريا الشمالية ،التي علقت المفاوضات إلي اجل غير مسمي ،تمكنت الولايات المتحدة من إصدار إعلان بكين لتسوية الأزمة الذي تضمن عددا من المبادئ منها التزام كوريا الشمالية بتجميد برنامجها النووي مقابل ضمانات أمنية

واقتصادية ،وبعد يومين أعلنت كوريا تخليها عن الالتزام والاتفاق ،وتتابعت هذه المتوالية بين كوريا الشمالية والولايات المتحدة .

من ناحية أخري فان الصين الشيوعية ،هذه الحليف الأساسي للنظام الكوري ،والتي تربطها معه اتفاقيات سياسية وعسكرية واقتصادية ،لن يكون من مصلحتها في شيء اندلاع الحرب وتدمير كوريا الشمالية ،بل ستكون هي أول المتضررين ،وربما تكشف الولايات المتحدة جيوشها علي الحدود وتنشر شبكة صواريخ ثاد المضادة للصواريخ التي نصبتها في كوريا الجنوبية ،ناهيك عن ملايين اللاجئين الذين سيتدفقون إلي داخل الأراضي الصينية ،لذلك فان من مصلحتها لضمان التوازن في المنطقة ،وإبعاد القوات الأمريكية الموجودة في كوريا الجنوبية عن حدودها هو انهاء التهور الكوري الشمالي ،ومقاومة التوسع الأمريكي في المنطقة بالحلول السلمية .

بقي أن أضيف ،أن الدول المارقة مثل العراق وليبيا كما في العقيدة الأمريكية والتصنيف الأمريكي ،تم التعامل معهما بسياسة السحق بعكس سياسة المفاوضات مع كوريا الشمالية ،وهما من ينبغي أن تجيش لهما الولايات المتحدة الجيوش وتستأصل

شأفتيهما لأنهما يمثلان تهديدا مباشرا لإسرائيل وهذا ما حدث بالفعل! .

فساد التصور الحقيقي للقوة المفرطة

تستخدم القوة المفرطة وفق تقدير واستراتيجيات أحد طرفي الصراع ،لأغراض وأهداف ومصالح لا يمكن تحصيلها في الحالة العادية وهي حالة إستخدام القوة في حدها المعقول ،ورغم أنه لا يمكن التنبؤ بنتيجة الصراع والنزاع ؛ إلا أنه في الحالة العادية لا يبدو ظاهريا ما يدعو لاستخدام القوة المفرطة، خاصة إذا كانت قراءات طرفي الصراع تعتقد إمكانية تحصيل المصالح والأهداف من دون الحاجة إلى الإفراط في القوة.

وفي حالات أكثر استقرارا وثباتا ،فإن الفواعل ربما تستخدم اذرعا أخرى للمحاربة والتدافع والاشتباك بدلا عنها ،من غير أن تشعر تلك القوى التي تشترك في القتال بشيء من ذلك.

الصراع والنزاعات في الوطن العربي بعد أحداث الربيع العربي ؛هي واحد من الأمثلة على ذلك.طرفي النزاع هنا هما إسرائيل والعالم العربي ، واستمرار النزاع والصراع داخل الدول العربية هو صراع تغذيه إسرائيل والولايات المتحدة في

ليبيا واليمن وسوريا ،وذلك لتمديد بقاء الدولة العبرية والحفاظ على قوة الولايات المتحدة وإسرائيل على حد سواء.

في الحالة غير العادية ؛فإن أحد طرفي الصراع يلجأ إلى إستخدام القوة المفرطة من أجل تحصيل الأهداف والأغراض والمصالح التي ربما لا تكون إلا بها ،مع هذا فإن إستخدام القوة المفرطة ويعنى به استهلاك القوة بصورة أكبر من الصورة العادية ،ربما يتضح بصورة أكبر في حروب الإبادة وقمع الفتن الداخلية ،وحروب التوسع الإمبراطوري والإمبريالي ،وربما في حالة الحرب ضد دولة أخرى نتيجة خطأ في جمع المعلومات، التي صورت تلك الدولة بصورة وحش ضار مع إنها في الحقيقة ليست كذلك.

ففي حروب الإبادة والتطهير العرقي مثلما في ميانمار في الوقت المعاصر مع أقلية الروهينغا المسلمة ،فإن الدولة استخدمت القوة المفرطة بهدف إقصاء وإخفاء تلك الفئة من البشر إخفاء تاما وأبديا ،وهو ما لا يتحقق (وفقا لتقديراتها واستراتيجياتها) إلا بالقوة المفرطة واستخدام كافة أنواع القوة ؛بل إن النظام لجأ إلى استخدم القوة العقائدية للبوذيين (المؤمنين الخلص!) باعتبار إبادة الروهينغا المسلمين واجب مقدس!

واستخدمت الولايات المتحدة ذات القوة المفرطة لابادة الهنود الحمر ، ومارست تطهيرا عرقيا مفزعا ضد تلك الفئة من الناس، حتى يتسنى لها إقامة الدولة الجديدة فى تلك الأراضي المكتشفة وقتها .

حالة الغرور التي تنتاب الدولة (باعتبارها كائن وشخصية) أو الشعور بالعلو ودونية الآخرين ،هي داء قاتل (إذا صح هذا التعبير) يصيبها من حيث لا تدري ،فيوردها المهالك وربما الفناء ،وهذا الداء في أصله هو محصلة الأوهام والمفاهيم المغلوطة التي تتجمع وتتركز في ذاكرة الدولة ،ومن هذه المفاهيم المغلوطة والتي ربما تأخذ أبعادا أكبر من حجمها الحقيقي والفعلي هو مفهوم القوة ؛فإذا كانت الدولة ذات قوة وبسطة كبيرتين وتتعامل بالقوة بافراط وغشم فهي أكثر عرضة للإصابة من غيرها ،غير أنه دائما ما يترافق مع القوة المفرطة ويكون سببا رئيسا : فساد المعتقد والديانة .

وفساد المعتقد هو من أكبر الأسباب المؤدية إلى الخذلان والهزيمة بل والانهيار ،فمن جعل إلهه هواه واتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان ،تكالبت عليه الدنيا ونافسوها كما تنافسوها الأمم السابقة وحقت عليهم كلمة العذاب قال الله

تعالى : (أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) [الجاثية :23]

ومن أشرك بالله وغرته الأماني فإن الله يستدرجه مهما أوتي من قوة وقدرة وبطش ،ويخسف به ويأخذه أخذ عزيز مقتدر قال الله تعالى : (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون. وأملي لهم إن كيدي متين) [القلم :54_44]

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عمرو بن عوف: "فو الله ما الفقر أخشى عليكم ،ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت علي من قبلكم ،فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم"

ومن يشرك بالله فإن الله يقصمه ولا تنفعه قوته ولا دعتاده ولا دعته شيئا ، والشرك هو أعظم الظلم ،وقد شق علي صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتناب الظلم ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق ذلك علي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس كما تظنون إنما هو كما قال لقمان

لإبنه (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم)

إن الإحساس المتزايد بامتلاك القوة على اختلاف اضرابها أحيانا يكون سببا رئيس في تكون أحاسيس أخرى من نوع الكبر والإحساس بالفوقية ،وإذا زاد هذا المزيج من الأحاسيس وفشا فإنه وحده كفيل بأن يفقد النخبة رشدها ،وأن تضل سواء السبيل وتفقد الكثير من قوتها .

في ضرورة إنهاء الحرب

يتم اتخاذ القرار وصنع القرار في وقت الضرورة وفي وقت وقوع الأزمات المتوقعة، غير أن وقت الضرورة يكون فيه اتخاذ القرار في موضوع أو مواضيع حديثة، تثير الاضطراب في النظام، أما الثاني فهو عبارة عن قرارات أو بالا حرى سيناريوهات موجودة مسبقا، لأزمات متوقع حدوثها يوما ما وفي مكان ما.

ما يفترض في عملية صنع القرار واتخاذ القرار، أيا ما كان الظرف أو الحدث الذي يتطلب اتخاذ قرار فيه، سواء كان متوقع أو غير متوقع، هي متابعته وتقييمه، وأن يمعن النظر في أي رأي مهما كان صغيرا في الحجم أو الدلالة.

في تقديري أن ما تقدم هي فرضيات واجبة ومهمة في عملية صنع القرار أمام الحدث المتوقع أو غير المتوقع، لكن الاوجب والأهم هو القرار الذي تكون الدولة أو الأمة في حاجة له لأسباب عقائدية وأيدلوجية، وليس في تقديري بل وفي تقدير أي فرد مسلم، قرار يجب اتخاذه وحاجته ضرورة ومطلب مثل اقتلاع إسرائيل.

مما يزيد الأمر سواء وفظاعة، إن إسرائيل التي تجثم على أنفاس الأمة، وتحتل فلسطين العربية منذ ما يزيد علي ستين عاما، لا تعتبر أمرا حديثا في الواقع العربي، ولكن الأمر يبدو علي نحو مختلف عندما تتخذ قرارات في الوقت الراهن من بعض الدول العربية بالتطبيع والعمل المشترك مع دولة العدو، وكون إسرائيل ليست أمرا حديثا فهذا مما يزيد في أهمية القرار.

إن قرار المحاربة يبدأ من هنا :محاربة التطبيع والعمل المشترك سواء كان هذا العمل ظاهرا للعيان أو مخفيا، غير أنه حتى نصل إلي هذا القرار الذي هو من الأولويات الهامة التي يتمناها أي فرد صغيرا أو كبيرا، ذكرا أم أنثي، ينبغي أن يتم اتخاذ قرارات من شأنها أن تؤدي إليه، وأولها هي القرارات المتعلقة بإنهاء الحروب في المنطقة ، مثل حروب الحزم علي اليمن، وحروب بشار الاسد علي السوريين، وإنهاء الحصار المفروض علي قطر، لأن هذه تؤدي إلي تلك .

إيقاف نزيف الدم وإنهاء هذه الحروب بأي صورة مشروعة، هي ضرورة ومطلب يترتب عليه ومنه محاربة إسرائيل، ولا شيء يزيد في عمر إسرائيل سوي هذه الحروب المسببة، التي يتقارع فيها العرب بضراوة، وهو

مطلب وضرورة ربما أضحى للأسف الشديد، مما يتهمك فيه البعض بالخبل !

استفاقة الضمير وبعث الحياة فيه، هو أكبر سبب في تقديري (إذا حدث) لإنهاء الحروب ومسبباتها في اليمن وسوريا وليبيا، وإيقاف حالات الاحتقان في مصر والعراق، أما حالة الغفلة والتبعية السياسية للغرب فهذا مما يزيد في أمد الحروب المشتعلة، ومما تزداد به الضحايا الأبرياء في اليمن وسوريا.

ومع ذلك، فان حالة الحرب والاحتقان التي توجد في المنطقة، هي من العوامل الهامة والمرغوبة لأعدائنا وللصهيونية وأذنابها، لتمرير ما يسمونه صفقة القرن التي يقصد بها إقامة إسرائيل دولة كاملة السيادة في فلسطين العربية، وطرد الفلسطينيين منها.

إن من مصلحة العدو المحتل أن تبقي الدول المجاورة له التي تؤرق أمنه، في حالة ضعف دائم وممتد، وان يكون هو المتفوق في كل المجالات العسكرية والعلمية، وإن من مصلحته أن تكون الدول المجاورة لحدوده في حالات حروب دائمة لا تنتهي.

ومع هذا فان التبعية السياسية العمياء للغرب تعني التخلي عن الإرادة الحقيقية

للأمة، والتخلي عن قرارها الذي يمثل الدولة والأمة وسيادتها، ويقابل ذلك رفض التبعية السياسية للغرب وامتلاك الدولة لقرارها وإرادتها، وذلك هو ما يعني يقظة وعودة الضمير الإنساني، وتقدير الأخطار الحقيقية المحدقة بالأمة، وتقدير محاولة اجتثاثها، وهو ما يعني إيقاف الحرب والاقتتال بين أبناء الأمة الواحدة، وعقد المصالحات الوطنية بين كافة المتناحرين فيها .وقتها سيفرغ الكل لإسرائيل.

كل تلك الأسباب

لا جدال أن معني التبعية السياسية هو من المعاني الواسعة، الذي يمكن أن يضم كل أنواع التبعيات الأخرى مثل التبعية العسكرية والتبعية الاقتصادية والتبعية الثقافية وغيرها، ولا جدال أيضا أن ذلك من شأنه أن يجعل التبعية السياسية خطرا كبيرا علي الدولة، لما يحمله هذا المعني من مفهوم الانقياد والإلحاق والضم، والخضوع والذيلية، والاستسلام الجزئي وربما الكامل.

ومع ذلك فان المنطقة العربية تمتلئ بالعقول المفكرة الفذة، وتمتلك ثروات طبيعية ضخمة بما يؤهلها أن تكون دولا قوية وعظمي ومهيمنة، إلا أن اغلبها في واقع الأمر تابعة سياسيا للدول الكبرى، وهي مع ذلك متناحرة ومتحاربة، بل أنها تعقد التحالفات والاتفاقات والمواثيق فيما بينها، لتحقيق أهداف مشتركة تتمثل في العدوان علي غيرها من نفس الجسد العربي، وأوضح مثال علي ذلك التحالف العربي في الحرب علي اليمن والتحالف العربي في الحصار الجائر علي قطر. (للأسف هناك من يرفض أو يستهجن مصطلح الجسد الواحد وهو رفض يدل على الجهل العميق،

لأن الجسد الواحد يعني الاتحاد والقوة الكاملة، وهذا المعنى ارشد إليه رسول الهدى صلى الله عليه وسلم الذى ما ترك شيء ينفع المسلمين في دينهم ودنيا هم إلا واخبر به ولا شيء يضر المسلمين في دينهم ودنيا هم إلا وحذر منه) .

مع ذلك فان الأسباب التي تقود إلي التبعية السياسية، التي تمحو معاني سيادة الدولة، والتي تمحو معاني الانتماء للأفراد والتي تنزع من الدولة الإرادة الحرة والقرار السياسي المتحرر الذي يمثل توجهاتها، إلي الحد الذي تتخلي فيه عن استقلالها وتنفيذ استراتيجياتها، وتكون فيه إرادتها وأمرها من إرادة وأمر الدولة الخارجية القوية المتبوعة، هذه الأسباب وإن اختلفت من دولة لأخرى، إلا أنها في النهاية فيما أري، تقود إلى تناقص سيادة الدولة، وفقدان السيطرة عليها ثم تشظيها واندثارها يوما بعد يوم، وليلة بعد ليلة. من تلك الأسباب:

1_ضعف المؤسسات العسكرية التي يناط بها حماية البلاد والدفاع عنها، فإذا كانت الدولة غير قادرة اقتصاديا علي تجهيز جيشها تجهيزا عسكريا كاملا، وإمداده بأحدث أنواع الأسلحة بما يمكنه من حماية حدودها وأراضيها، وبما يمكنه من القدرة

علي سحق العدو، فان الأنظمة الحاكمة ربما ترهن قرارها وسيادة الدولة للدول الخارجية الأقوى، التي تدافع عنها وتحميها من أي هجمات محتملة، غير أن الدولة القوية المتبوعة لا تقدم دفاعا وحماية مجانية، وفي الوقت نفسه لا تقدم كل شيء، لأنها تخشي مباغتتها من الدولة الضعيفة ذاتها إذا قويت شوكتها.

2_إذا كانت الأنظمة الحاكمة انقلابية، واستلمت السلطة عن طريق الانقلابات العسكرية، التي يقوم بها جنرالات مغامرون في الجيش علي السلطة الشرعية القائمة، فان تبعيتها السياسية للدول الكبرى، ربما تكون على الأرجح شئيا مفيدا يثبت أركان حكمها، ويخدم ويحقق رغبات ونوازع الجنرالات الشخصية في البقاء علي العرش والسلطة، وهذه الآفة مع الأسف الشديد توجد بكثرة في المنطقة العربية!

3_ ضعف القيادة السياسية، وخوفها الدائم من الدول المجاورة القوية المجاهرة بالعداء والتهديد، هو ما يحمل تلك القيادة الضعيفة لرهن الدولة وتسليم قيادتها وأمرها للدول الكبرى القوية، التي توفر لها الحماية والأمن من العدو القريب.

4_ تعامل أو بالأحرى تواطؤ الدول الكبرى مع الدكتاتوريات الحاكمة في المنطقة، عن طريق تبادل المصالح والمنافع والصفقات المرفوضة، مثل صفقة القرن الرامية لتصفية القضية الفلسطينية.

5_ الفساد الديني والفكري والأخلاقي للأنظمة الحاكمة، وأكثرية النخب السياسية التي يعول عليها بناء الأمة وتقدمها، وانصراف تلك الأنظمة والنخب انصرافا كاملا في تامين مصالحها الشخصية.

6_ الرغبة في محاربة الإسلام بأسماء مصطنعة ومختلقة، مثل مسمي محاربة والقضاء علي الإسلام السياسي، أو الإرهاب أو التطرف وغيرها من المسميات الملفقة.

7_وجود أنظمة حاكمة كان السبب في إعدادها وإخراجها، وتسليمها مقاليد السلطة هو الدول الكبرى، بعد أن قامت الأخيرة بتهيئتها وإعدادها إعدادا جيدا، بغرض الحفاظ علي مصالحها الاقتصادية والإستراتيجية، وتوسيع مظلتها الأمنية.

8_خلق الدول الفاشلة بإغراق المنطقة بالسلاح، وإثارة الفتن المذهبية الدينية بها، وتأجيج الحروب الأهلية والتصفية العرقية، وحروب الإبادة الجماعية فيها،

مما يتيح للدول الكبرى الانقضاض عليها ، بحجج حفظ الأمن و السلم .

لماذا يتمنى أن يكون بعيرا

عندما توصد الابواب وتستحكم حلقات الضيق، فإن البعض ربما يهرب من عالم الواقع إلى عالم الخيال والأحلام، حيث لا قيود لرغباته ولا موانع لمتطلباته، بل أنه يجد فيه كل صعب أمامه مذللا، وكل أمر معقد أمامه محلولا .

القصيدة التي ساكتب عنها هي واحدة من قصائد الحسرة الموجعة، التي اصطدمت فيها الرغبات الصادقة بالواقع المستحيل، والعواطف الجياشة بالرفض والمنع، والتي يهرب فيها شاعرنا من عالم الواقع الى عالم الخيال والافتراض !

تمنى كثير عزة (اسمه الحقيقي كثير بن عبد الرحمن بن الأسود، إلا أنه اشتهر بالاسم الأول لتعلقه ومودته الكبيرة بعزة الضمرية وقد وصفتها امرأة رأتها فقالت: امرأة حلوة حميراء نظيفة) تمنى أن يكون هو وعزة بعيرين أجربين! وهي أمان مستغربة ومنفرة، لا يمكن تصورها أن تصدر من أشخاص طبيعيين فيما بينهم، ناهيك عن أن تكون بين محبين مثل كثير وعزة، لكن عندما يبلغ اليأس مداه وتكمل حلقات

الشدة وتنعدم الحلول كما يظهر لهم (مع أن أي فرد اذا انعدمت أمامه الحلول وانسدت أمامه السبل ليس في وسعه إلا الرضا والتسليم بالقدر واللجوء إلى الله ذو القوة المتين) عندما يبلغ مداه فان البعض يطلق لخياله العنان فيصنع واقعا في عالم الخيال(الذي يهرب إليه) يجد فيه كل ما كان منه محروما، ويتحقق فيه كل ما كان مستحيلا.

وقبل أن نذكر الأبيات التي يتمنى فيها "كثير" ذلك التمني المذموم، ينبغي أن نشير إلى أنه وجد ظلما من مجتمعه وهي قبيلة خزاعة، وجد ظلما بدءا من اسمه إذ غلب عليه اسم التصغير، وربما يكون التحقير أيضا، خاصة وأنه كان قصيرا ودميما، وهو نفسه يشير إلى اسمه بمعنى الكثرة في الأبيات التي يقول فيها:

فوا حزنا لما تفرق واسط

وأهل التي أهذي بها وأحوم

وقال لي البلاغ ويحك إنها

بغيرك حقا يا كثير تهيم

ومع الخطأ في تحريف اسمه بصيغة التصغير والذي لازمه إلى مماته، ورغم أنه لم يهتم به كثيرا لاعتزازه وثقته الكبيرة بنفسه

فقد واجه مصيبة اعظم من ذلك، فإنه ما أن أحب عزة الضمرية أو أم عمرو كما يكنيها أبوها، فإن أسرتها بادرت بتطبيق أعراف القبيلة المتمثلة في تزويج عزة لأول خاطب بعد أن ملأ كثير الدنيا بأشعاره التي يناجي فيها عزة، ومن ثم تجب الهجرة عليهم ومفارقة الديار طبقا لتلك التقاليد والأعراف، وهذا ما حدث بالفعل فقد فارقوا ديارهم إلى مصر، وهذا من جملة الأسباب التي عظمت من شقاء "كثير" ودفعته إلى أن ينفس عن شوقه الحبيس لعزة التي لم يقدر أن تكون زوجه وملكه بتلك الأبيات، والتي على طرافتها وصدقها توضح حجم المأساة التي وقع فيها والتي كان هو وعزة أول ضحاياها والمكتوين بها، وهي الأبيات التي يقول فيها:

لعزة إذ حبل المودة دائم

وإذ أنت متبول بعزة معجب

واذا لا ترى في الناس شيئا يفوقها

وفيهن حسن لو تأملت مجنب

هي الحرة الدل الحصان ورهطها

إذا ذكر الحي الصريح المهذب

هضيم الحشا رود المطا بخترية

جميل عليها الأتحمي المنشب

رأيت وأصحابي بأيلة موهنا

وقد لاح نجم الفرقد المتصوب

لعزة نارا ما تبوخ كأنها

إذا ما رمقناها من البعد كوكب

تعجب أصحابي لها حين أوقدت

وللمصطلوها آخر الليل أعجب

إذا ما خبت من آخر الليل خبوة

أعيد لها بالمندلي فتثقب

وقفنا فشبت شبة فبدا لنا

بأهضام واديها أراك وتنضب

ومن دون حيث استوقدت من مجالخ

مراح ومغدى للمطي وسبسب

أتتنا برياها وللعيس تحتنا

وجيف بصحراء الرسيس مهذب

جنوب تسامي أوجه الركب مسها

لذيذ ومسراها من الأرض طيب

فيا طول ما شوقي إذا حال دونها

بصاق ومن أعلام صندد منكب

كأن لم يوافق حج عزة حجنا

ولم يلق ركبا بالمحصب أركب

حلفت لها بالراقصات إلى منى

تغذ السرى كلب بهن وتغلب

ورب الجياد السابحات عشية

مع العصر إذ مرت على الحبل تلحب

لعزة هم النفس منهن لو ترى

إليها سبيلا أو تلم فتصقب

ألام على أم الوليد وحبها

جوى داخل تحت الشراسيف ملهب

ولو بذلت أم الوليد حديثها

لعصم برضوى أصبحت تتقرب

تهبطن من أكناف ضأس وأيلة

إليها ولو أغرى بهن المكلب

تلعب بالعزهاة لم يدر ما الصبا

وييأس من أم الوليد المجرب

ألا ليتنا يا عز كنا لذي غنى

بعيرين نرعى في الخلاء ونعزب

كلانا به عر فمن يرنا يقل

على حسنها جرباء تعدي وأجرب

إذا ما وردنا منهلا صاح أهله

علينا فما ننفك نرمى ونضرب

نكون بعيري ذي غنى فيضيعنا

فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

يطردنا الرعيان عن كل تلعة

ويمنع منا أن نرى فيه نشرب

وددت وبيت الله أنك بكرة

هجان وأني مصعب ثم نهرب

ورغم أن الأبيات صورت أمنيات تتسم بالغرابة والقبح والفظاعة، إلا أن الشاعر "كثير" لم يجد فيها شيئا من ذلك بل وجد فيها قسطا كبيرا من السعادة والاطمئنان النفسي الذي افتقده في الواقع المستحيل ، وعلاجا مؤقتا للأزمة النفسية التي كان يمر بها .ولا يمكن معاقبته فيما افترضه في عالم الخيال والأحلام بعد أن تمت معاقبته فعلا في عالم الواقع.

موسم الهجرة إلى السقوط : المستنقع السوري

فى الوقت الذى تتوقع فيه القيادة الروسية فرض سيطرتها ونفوذها ، كقوة عظمى وشريك أساسي فى القرار الدولى، بعد تدخلها فى سوريا بذريعة سحق تنظيم الدولة الإسلامية ، وتعويض الانهزام النفسي الذى منيت به فى أوكرانيا _خاصة بعد توقيع الولايات المتحدة والدول الغربية عقوبات اقتصاديه عليها _، جاء إعلان العميد الركن "أحمد عسيرى" فى توجه المملكة السعودية لغزو برى وشيك، وبمشاركة دول التحالف الإسلامي للتصدى لتنظيم الدولة الإسلامية ، بمثابة تهديد ومصدر قلق من المحتمل أن يؤدى بروسيا الى الغرق فى المستنقع السوري .

الفرقاء الثلاثة المعتدون، تطايرت تهديداتهم وتحذيراتهم ؛ "وليد المعلم" وزير خارجية النظام الفاشي قال: إن أى تدخل برى فى الأراضي السورية دون موافقة الحكومة السورية ، هو بمثابة عدوان يستوجب مقاومته ، ويحذر من أن أي معتد سيعود فى صناديق خشبية إلى بلاده ، بينما قال "محمد على جعفرى" القائد العام

للحرس الثوري الإيراني: أن إرسال السعودية قوات إلى أرض سوريا ، هو بمثابة إطلاق رصاصة الرحمة على نظام الرياض، ولم يبتعد كثيرا عن المعنى مندوب روسيا الدائم لدى الأمم المتحدة "فيتالى تشور كين" الذى قال: إن إرسال قوات سعودية أو تركية إلى سوريا سيعتبر بمثابة عدوان. !! .

ولأن الولايات المتحدة الأمريكية فرضت على نفسها سياسة المراقبة، وعدم زج جنودها فى أتون معارك الشرق الأوسط بعيد حرب الخليج، فقد كانت فى واقع الأمر ترتب لوقوع الروس فى الفخ السوري، منذ أن رصدت أقمارها الصناعية حركة نقل الجنود، والآلة العسكرية الروسية فى مينائي طرطوس واللاذقية، وهو ما يتوافق مع موقف وزير الخارجية الأمريكي "جون كيرى"، الذى لم يوف بشيء من وعوده وضماناته الكاذبة، والتى كان يضغط بها على المعارضة السورية للمشاركة فى مفاوضات جنيف 3،والتى تتمثل فى طلبها بوقف فورى للقصف، والأعمال الحربية،مما أدى إلى انسحاب المعارضة من المفاوضات، ولم يستهدف الوزير "كيرى" من ذلك إلا إفشال مفاوضات جنيف 3 ، والدفع بالجميع إلى استئناف القتال المستعر بعد فشل أو بالأحرى إفشال الحل السياسي .

وليس أسهل من تنظيم " أبو بكر البغدادى" (داعش) ليكون الحجه التى تجيش لها الجيوش، وتنصب لها الصواريخ، ويكون غطاء قانونيا لا غبار عليه، فى دخول الروس إلى سوريا، ويكون عين التنظيم حجة وغطاء قانونيا للغزو البرى الذى يعلن عنه العميد الركن" العسيرى"، ويلاقى إعلانه ترحيبا كبيرا من وزير الدفاع الأمريكى " أشتون كارتر".

ترحيب الولايات المتحدة بالاجتياح البرى لقوات التحالف الإسلامي، يعنى ضمنيا وقف طلعات روسيا الجوية على تنظيم الدولة، ولن يبقى هناك مبرر لاستمرار الضربات الجوية الروسية، وهو ما يعنى تحجيم الدور الروسى . أما إذا نفذت القيادة الروسية التهديدات التى أطلقها مندوب روسيا الدائم " فيتالى" ورئيس الوزراء "ديمترى ميدفيدف" فهو فيما أتصور، ما يمثل وقوع الروس فى حروب استنزاف طويلة، والتى ستضيف لروسيا أعباء اقتصادية وانهزاما نفسيا عميقا، وبذلك تكون الولايات المتحدة بذلت الوسع فى إغراق الروس فى المستنقع السوري، وإنهاك روسيا فى دوامة الحروب الإستنزافية، ولا يبقى للمملكة السعودية وقوات التحالف الإسلامي إلا أن يقولوا مثلما قال "طارق بن زياد ".

ما يمكن أن يقوله "بولتون"

ما الذي يمكن أن يقوله "جون بولتون" مستشار الأمن القومي الأمريكي، الذي يصعب عليه تصديق أن "بوتين" لم يكن على علم بما جرى في واقعة الاختراق الروسي للعملية الانتخابية الرئاسية؟ ما الذي يمكن أن يقوله بعد تراجع "ترامب" عن نفيه وإنكاره واقعة الاختراق السيبراني الروسي، في تصريحاته الأخيرة، التي قال فيها إنه أخطا التعبير في قمة هلسنكي، وأن الجملة التي كان يريد أن يقولها يوم ذاك: إنه لا يرى سببا يجعل روسيا لا تتدخل في الانتخابات، بدلا عن أنه لا يرى سببا يجعل روسيا تتدخل في الانتخابات الأمريكية؟ وأن روسيا قد تدخلت بالفعل في العملية الانتخابية التي أتت به حاكما على الأمريكيين!

ومع هذا فإنه على الرغم من التصريحات التي يدلي بها الرئيس الأمريكي، والتي من الممكن أن تتغير إلى العكس تماما في مواضع وأماكن أخرى، مع هذا فإن هذه الأقوال ونقائضها ربما توضح إلى جانب المواقف التي يجنح فيها الرئيس الأمريكي

إلى مخالفة قواعد القانون الدولي والعلاقات الدولية، بل إنه يجنح فيها إلى محاولة تحطيم المؤسسات الدولية وجرفها من قواعدها، ربما توضح نفسية متقلبة وغير متزنة.

من هذه المواقف التي ينكر فيها "ترامب" كل الثوابت الدولية والقواعد والأخلاق، والتي يمكن أن يلاحظها أي باحث عن الحقيقة المجردة:

1_ انسحابه من خطة العمل المشتركة الشاملة (الاتفاق النووي) مع إيران، وفرض عقوبات اقتصادية قاسية جديدة عليها، بعد رفض إيران التعديل في الاتفاق الذي تم بين إيران والولايات المتحدة وروسيا وفرنسا وبريطانيا والصين، بالإضافة إلى ألمانيا؛ لأنه يرى إيران دولة مارقة لا تتقيد بأي موانع في برنامج الصواريخ الباليستية، والتي من المحتمل أن تهدد بها إيران وعناصر حزب الله، إسرائيل بما يكون مصدر قلق وتهديد لها.

2_ أنه هدد بالانسحاب من حلف الناتو في القمة الأوربية في بروكسل، لأنه يرى أن الدول الأوربية لا تحقق الغاية المرجوة منها، وكان الذي ينبغي أن يحدث أن تنفق هذه الدول من ميزانياتها المالية، مقابل الحماية التي توفرها لهم الولايات

المتحدة من 2% إلى 4%، وأن على أوروبا أن تتحمل جزءا من مسؤولية الدفاع عن بلدانها، وإلا فإنه سوف يبادر إلى اتخاذ الإجراء الذي يراه مناسبا، وهو ما لاقي رفضا واستنكارا من قادة أوروبا باعتباره تهديدا وتدخلا في شؤونهم.

3_ وصف الاتحاد الأوروبي بالمؤسسة السيئة وأنها معادية للولايات المتحدة، بل إن محاولته هزهزة الاتحاد تبدو واضحة، بعد أن عرض على فرنسا اتفاقا تجاريا يستثنيها من العقوبات التجارية، في محاولة مكشوفة لإقناع ماكرون الانسحاب من الاتحاد الأوربي؛ لتصبح فرنسا - إذا تم ذلك - ثاني دولة تعلن انسحابها من الاتحاد الأوروبي بعد بريطانيا.

4_ أنه يتعامل مع الدول في علاقاته الخارجية بمفهوم الربح وجلب الأموال الطائلة، وأنه لا شيء يمنعه من مقابلة مانحيه المال باحتقار كبير، والمثال على ذلك أنه قال لماكرون متحدثا عن المملكة السعودية (ما كانوا ليبقوا موجودين لولا الولايات المتحدة ما كانوا ليستمرون أسبوعا واحدا، نحن نحميهم وعليهم أن يتقدموا ويدفعوا تكاليف ما يجري).

5_ شعار أمريكا أولا الذي رفعه "ترامب" هو عنوان عريض يحتمل كل المعاني لنقض أي

التزامات، أو مواثيق أو معاهدات دولية، مثل انسحابه من اتفاق باريس للمناخ وانسحابه من اتفاقية شراكة دول الباسيفيك، ووصفه الأمم المتحدة بالنادي الكبير.

ومع ذلك، فإنني أتصور أن الإجابة على السؤال المطروح في مقدمة المقال، أن الذي يمكن أن يقوله ويفعله "بولتون" هو أن يطالب بعزل الرئيس، وإذا فعل ذلك فإنه يكون أدى للأمريكيين خدمة نافعة.

ميكافيللية الدولة :عن الحروب الدعائية أتحدث

إذا كانت الحرب هي المكر والدهاء والخديعة، فإن الأطراف المتحاربة تستخدم هذه المفردات وربما وسائل أخرى عديدة لتحقيق النصر وإحرازه، وإلحاق الهزائم الماحقة بالخصوم .كثيرون من تحدثوا عن الحروب ووسائلها مثل "صن تسو " الذي ألف كتاب (فن الحرب)، و"نيقولا مكيافيللي" الإيطالي الذي كتب كتاب (الحرب)و (الأمير)والأخير يعتبر أسوأ كتاب عرفه البشر، لما يحتويه من مفاهيم ومناهج تبيح التحلل من الالتزام بالأخلاق والإنسانية، وان للحاكم الحق في اتخاذ أي طريق مشروع أو غير مشروع لاكتساب مصالحه وبسط هيمنته وسيطرته !

غير أن الحروب سواء كانت ضد أعداء ومنافسين ظاهرين أو ضد أفكار ومناهج ربما تتخذ مناحي أخرى فلا تستلزم حشد الآليات وإعداد الجيوش، والدخول في مواجهات ومنازلات مباشرة مع الطرف الآخر، بمعنى انه ربما يستخدم الطرف الأول وسائل وسبل أخرى غير اللجوء للقوة الفجة، أو بالترافق معها، وهذه الوسائل من شأنها

أن تحجم أو تقلص، أو تجمد حدود دائرة الطرف الثاني وتمنعه بذلك التحجيم أو الاحتواء، من التمدد والاتساع أو الزيادة.

واحدة من هذه الوسائل هي الحروب الإعلامية أو النفسية أو الدعائية، التي تنطوي على توجيه مجهود دعائي وادعائي كبير يصب في وضع الطرف الآخر في موضع جديد، وهو موضع الشك والاهتزاز، أو موضع المعتدي أو الباغي أو الظالم، بما يكون محصلته لدى المتلقين (إن هم صدقوا ذلك) أن الآخر هو بالفعل معتد أثيم وظالم باغ. وليس بالضرورة أن يكون هؤلاء المتلقين المصدقين فئة كثيرة، لأنه حتى وإن كانوا قلة قليلة فإن ذلك يزيد من رصيد الطرف الأول بقدر ما هو نقصان من المؤيدين أو الموقنين والمقتنعين بأهمية وأحقية الثاني.

أكثر الوسائل شيوعا واستخداما هي إلصاق التهم التي يتم تركيبها باحتراف كبير، ثم تكرار هذه التهم ليس على مدى شهر أو اثنين ولكن على مدى سنوات عديدة، وهذا هو الأهم (في تقديرهم) لأنه من ناحية مفاهيمية، تكرار الاتهامات الكاذبة أو الباطلة يساعد في تكوين وترسيخ صورة شائهة ومزيفة لدى الأفراد المتلقين، بعضهم إن لم يكن كلهم. على الأقل هذا

البعض أو هذه القلة التي ترسخت وتكونت لديها الصورة الخاطئة أو الشائهة، تعتبر في حد ذاتها مكسبا وإنجازا كبيرا للطرف الأول، ما كان ليجده أو يكتسبه ما لم يستخدم أو يتحرى الكذب، وهذه ربما تكون وسيلة ميكافيللية وان كان في ظاهر الأمر أن الطرف الأول ابعد ما يكون عن الكذب، وعن استخدام قاعدة الغاية تبرر الوسيلة. وإذا زادت دائرة التصديق بالتهم أو الأخبار أو الأفعال أو الأقوال الملصقة والمركبة، فإن هذا من شأنه أن يساعد في اكتمال دائرة العزل أو الاحتواء أو التحجيم المرسومة من الطرف الأول.

إضافة يمكن القول أن هذه الوسائل تعتبر التضليل والنفاق ودس السم في العسل والتلبيس، هي مفردات أساسية لديها، وبهذا الاعتبار فإن الطرف الأول يحتاج إلى مقدرات كبيرة ومتميزة (مادية وبشرية) في خلط الحق بالباطل، والحقيقة بالوهم، ومزج الصحيح بالغث الكثير، حتى يتم تصديق ذلك كله بدرجات ونسب كبيرة. ذلك كله يمكن أن يحدث بين دولتين أو أكثر، وليس ما يمنع حدوثه حتى في حدود الدولة الواحدة.

والواقع أن هذه الوسائل وربما غيرها، هي مثال يبرهن على مقدرة الدولة أو الأفراد

ليس في توصيل صورة مختلفة تماما عن الطرف الآخر، بل في المحاولة التي تتسم بالجدية والاستماتة في إقناع المتلقين بفظاعة الطرف الآخر، ونزع هالة الأخلاق والفضيلة عنه، بغرض إحاطته بعازل معنوي ونفسي عن محيطه.

الوسائل التي يستخدمها المحاربون للمد الديني المجدد مثلا، ربما تكون متشابهه في كثير من النواحي،عندما تعجز الحيلة، ويفتقد المنطق، وتغيب الحجة، ويضيع الدليل، قال احدهم: أن منطقة نجد مكان في غاية الغرابة، فهي منطقة لم تنتج خلال تاريخها أي فيلسوف أو موسيقي أو مصور أو نحات، أو مفكر أو مصمم هندسي أو طبيب أو عالم في أي منحى من مناحي العلوم التطبيقية أو الاجتماعية، الشكل الفني الوحيد الذي أفرزته هذه المنطقة العاقر هو الشعر!

مع هذا، فإن هذا المد الديني يدعو إلى التوحيد الخالص لله رب العالمين، وعدم تقديس وتعظيم الصالحين الذين انتقلوا للدار الآخرة، صحيح أنه لا أحد ينكر وجود الصالحين أو الأولياء أو الأتقياء، بل أن درجات الصلاح والتقوى والإخلاص هي مطلب أي فرد، إلا أن تعظيم الصالحين والغلو فيهم والتبرك بهم يؤدي إلى الشرك، والله جل وعز

يقول: (تبارك الذي بيده الملك وهو علي كل شيء قدير) [الملك: 1]. ومن الشرك الاستغاثة بغير الله سبحانه وتعالى، فإن الاستغاثة التي هي حقيقة اللجوء لله سبحانه وتعالى وطلب العون منه وحده، هي من ركائز التوحيد التي لا ينبغي صرفها وتوجيهها لأي فرد، لا لولي صالح أو رسول مرسل أو ملك مقرب، وهي من ثم عبادة لا توجه إلا إلى الله سبحانه وتعالى القوي العظيم.

والأمر على ما قد عرفت، فإنه يصدق ما قد بينا على الأفكار الوهابية التي تدعو إلى التوحيد الخالص لله رب العالمين، كما يصدق على أكثر الجماعات الإسلامية تضررا وتأذيا من هذه الحروب وهم الإخوان المسلمين.

الدولة القانعة وغير القانعة

تحديد مصالح أو أهداف الدولة يتم عبر مؤسسات عديدة ومتباينة، سواء كانت مصالح اقتصادية أو سياسية أو حضارية أو غيرها، وهي تختلف بطبيعة الحال من دولة لأخرى ومن زمان لآخر.

ثمة مفاهيم عديدة تؤثر على تحديد مصالح الدولة، منها مفهوم القوة وعلى أساس هذا المفهوم تقسم الوحدات السياسية في النظام الدولي، إلى دول قوية قادرة على حماية ذاتها وأمنها، ودول ضعيفة ودول فاشلة ومارقة، ومن حيث إمكانياتها من القوة تصنف الوحدات السياسية إلى دول قوية وقانعة بالأوضاع القائمة، أو دول قوية وغير قانعة، أو دول ضعيفة غير قانعة بالوضع أو دول ضعيفة وقانعة.1

كون الدولة قوية أم ضعيفة فإن ذلك يرجع إلى عدة عوامل وأسباب، مثل قوة الإرادة المتوفرة لديها في المقام الأول، وعدد السكان في الدولة والمستوى الاقتصادي والموارد الطبيعية التي تتحكم فعليا بها، أما كونها قانعة أم غير قانعة بالأوضاع القائمة، فهذا يعتمد بصورة

أساسية على التناسب المفترض بين حجم القوة لدى الدولة، بما ينطوي عليه من إمكانيات عسكرية متقدمة ومتطورة وجيش نظامي قادر على استخدام هذه الإمكانيات، مقارنة بالأهداف أو المصالح التي تتوخاها في مدى معين، وبهذا الاعتبار فإن معدل التناسب يكون متزايدا لدى الدولة القوية، ومتناقصا ومختلا لدى الدول الضعيفة.

في نظريته (توازن المصالح) قسم "راندل شويللر" الوحدات السياسية في النظام إلى صنفين أساسين: صنف قانع بالوضع الراهن وصنف غير مقتنع به، والثاني إما أن يكون عدوانيا جامحا وإما أن يكون ضعيفا، عليه فإن الدول العدوانية غير القانعة بالوضع الراهن هي من تنزع إلى القوة وإحداث التوازن المفترض، أما الأخرى فإنها تتجه إلى مسايرة الركب والوقوف بجانب الأقوياء.

وبالرغم أن تحديد معايير تتسم بالدقة والصدق لقياس قوة الدولة يعتبر أمرا شاقا وصعبا وذلك لكثرة العوامل والمتغيرات المتداخلة في ذلك خاصة العوامل المعنوية، بالرغم من ذلك فإن قياس قوة الدولة بهذه المقاييس والمعايير ربما يعطي نتيجة تقترب من

الصحة، غير أنه من الصعوبة بمكان الحكم على قناعة الدولة القوية بالوضع الراهن، لأن ما تعتقد الدولة أنها وصلت فيه إلى تحقيق الهدف أو المصلحة في وجود حجم متعاظم من القوة، يتم الحكم عليه من جهات أخرى داخل الدولة ذاتها أو خارجها بأنها حادت عن الصواب، بل أنها فشلت فيه فشلا ذريعا، بحسب المنظور الذي تنظر به تلك الجهات في تحديد المصلحة. إضافة إلى أن التوق الدائم للأمن يجعل الدولة في حالة قلق وتوجس مستديمين، فأعداء الأمس من الممكن أن يكونوا هم أصدقاء اليوم وأصدقاء اليوم من المحتمل أن يكونوا هم أعداء الغد. وفي ظل المتغيرات السياسية والمصالح المتعاقبة والمتلاحقة فإنه لا يمكن التكهن بما يضمره الطرف الأخر مهما كانت متانة العلاقات بين الطرفين، ومهما كان تطور الطرف الأول المعلوماتي والتقني ومهما بلغت درجته الاستخباراتية.

إذا أسقطنا حالة الاقتناع بمقاربة تحديد المصالح وحجم القوة المتوفر بالدولة، فإن التجربة التاريخية برهنت أن الدولة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ومن اهتدى بهديهم، هي دولة قوية وقانعة،لأن حجم القوة الموجود هو أكبر مما لدى الأطراف الأخرى بل أكبر بكثير من أي قوة أخرى على وجه الأرض، ولأن

الإسلام دين عملي وواقعي ويقود إلى سعادة الدنيا والدين، وليس نظرية خيالية لا وجود لها في الواقع.2

مع هذا فإن ما تتميز به هذه القوة هو ثباتها وديمومتها، فهي ليست مؤقتة أو منقطعة، بل دائمة ومستمرة في كل الأمكنة والأزمنة، أما الدول الضعيفة والقانعة، فإنها إضافة لضعفها، تسلم قيادها للركب وللأهواء والشيطان، وعلى الأرجح هي دول وحكومات مستبدة أو حكومات أوباش.

مع هذا فإن ثمة أسباب عديدة تقود إلى حالة عدم الاقتناع والرضا في الدولة سواء من داخل أطرافها أو من خارجها ومع الأسف هي أسباب موجودة في كثير من الوحدات السياسية في الواقع المنظور في المجتمع الدولي منها :

1__أن تخالف الدولة المواثيق والمعاهدات الدولية، وأن تبدل فيها وفق مقتضى الحال أو بالأحرى وفق المصالح الآنية لديها، وان تنكص عن الاتفاقيات وتمرق منها كيفما تشاء.

2_أن تحتل الدول الضعيفة، وأن تدمر دولا أخرى عن طريق أباطيل وأكاذيب وتلفيقات، هم يعلمون يقينا ببطلانها.

3_أن تهتدي بهدي اليهود والشيطان.

4_أن تسمي الأشياء بغير مسمياتها ، كأن تسمي غزو واجتياح الدول (تحريرا) وأن تسمي التقسيم (فيدرالية) والعملاء (أصدقاء) والدعوة للانفصال هو (حق تقرير المصير).

5_أن تتدخل الدولة في الشؤون الداخلية للدول الأخرى وتنتهك سيادتها واستقلالها ، وأن تدعم الحركات المتمردة وتدعم الانفصاليين.

6_أن تدعو الدولة إلى الدياثة والإباحية والانحلال والفجور وأن تآخي الشيطان.

7_أن تدعي العمل لنشر الديمقراطية في العالم ، وتعمل في الوقت نفسه على وأد الحرية وتصفية المخالفين والمعارضين.

8_أن تقبل الدولة الظلم والاستبداد والطغيان.

9__ أن تدعو إلى تحكيم العقل والتجريب والتخلص من النقل والنصوص.

المصادر :

1_ اسماعيل صبري مقلد ، العلاقات السياسية الدولية دراسة في الأصول والنظريات

2_د . سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، المسلمون والحضارة الغربية

عن الفلوجية التي لا أعرفها

رغم أني لم أفهم كثيرا كلامها بلهجتها العراقية، إلا أن ما عرفته مما كانت تحكيه وهي تبكي أمر البكاء وتذرف الدمع السخين، ما عرفته كان وحده كافيا لأن يجعلني اشعر بالتعاسة مثلها وان ابكي لبكائها، وان أتألم في الوقت ذاته لما يعانيه أهلنا في الفلوجة ذات المساجد الخمسمائة والخمسين التي ترفع النداء في ميقاته المكتوب.. أن أتألم لما يعانوه من المعيشة الضنك بسبب الحصار الذي فرض عليهم ثمانية أشهر، إلى الحد الذي بات فيه يأكل الناس الخبز المصنوع من نوى التمر، وان تكون حياتهم كلها ضربا من الفقر والعوز، وانعدام الأمن والموت اليومي نتيجة قصف طائرات التحالف والطيران العراقي نفسه !! .

وفي الوقت الذي أعلن فيه رئيس الوزراء العراقي" حيدر العبادي "يوم الاثنين الماضي، موعدا لبدء عملية (كسر الإرهاب)وتحرير الفلوجة من سيطرة تنظيم الدولة، الذي بات يهيمن علي كل مفاصلها لمدة عامين، فان لا احد يعلم إن كانت تلك

المرأة الفلوجية وكل الأبرياء مثلها من السنة، الذين ستزحف عليهم فرقا تتشارك فيها القوات العراقية مع قوات التحالف، وملشيات الحشد العشائري وملشيات الحشد الشعبي، وانضمام ما يقارب السبعة عشر فصيلا من الفصائل الشيعية، إضافة إلي قوات إيرانية مجهزة بأحدث الأسلحة، لا احد يعلم إن كان سيطولهم القصف والموت(لا قدر الله) أم يكونوا من الناجين والشاهدين علي عبث إيران الشيعية .

ربما تكون بوادر الاقتتال بين المليشيات الشيعية التي حصلت بالفعل بين مليشيات سرايا السلام ومليشيات الخراساني، قرب المنطقة الخضراء ببغداد الشهر الماضي، هي التي دفعت إيران بتوحيد الصف الشيعي العراقي، ونقل الاقتتال إلي عدو واحد يتفق عليه كل الشيعة بكافة فصائلهم وهو تنظيم الدولة، مما يوحي بان معركة كسر الإرهاب في الفلوجة هي أم المعارك التي ينبغي أن تتوحد فيها كل الفصائل، وان يصبح أعداء الأمس إخوانا، في محاولة سحق تنظيم الدولة، ومما يضمن لإيران وقتها، توحد الجميع تحت راية" العبادي"، والذي سيكون توحدهم تحت رايته اكبر دعم معنوي لنظامه .

ومن ناحية أخري فان إيران بقيادة قائد فيلق القدس قاسم سليماني، وبمعونة الشيطان الأكبر أمريكا وإسرائيل (لاحظ أني استخدم الأوصاف التي تصف بها إيران نفسها أمريكا وإسرائيل، ومع هذا فهي تتعاون معهم بما يحقق كل أغراضها الخبيثة) وكافة الفصائل والمليشيات الشيعية العراقية، يعتبرون انتصارهم في الفلوجة (إن هم فعلوا) يعتبرون انتصارهم إنما هو انتصار للسياسة الإيرانية ، وهي من ثم تحقق رغباتهم أو أوهامهم التي يحلمون، في التمدد في المنطقة العربية، وان القضاء علي المكون العربي السني في الفلوجة، والذي يمثل حاجز صد سيكون بمثابة جسر لتحقيق تلك الأحلام أو الأوهام، وان سقوط حكومة العبادي أمام أي مكون سني سيبدد كل تلك الأحلام أو الأوهام لديهم.

ومما يجعل مهمة "حيدر العبادي" عصية في محاولة سحق التنظيم الذي تداعت إليه كل الفصائل الشيعية، هو وجود ما يقارب العشرة ألف عائلة، والتي لا نفهم في الوقت ذاته كيف يتخذ تنظيم الدولة الإسلامية (هذا التنظيم الذي يتغلف بالضبابية والكتمان) بمجلس الشورى لديه وأهل الحل والعقد لديهم، لا نفهم كيف يتخذ هولاء الأبرياء دروعا بشرية يذوقون

الموت بدلا منهم، وان تحصدهم الطائرات المقاتلة حصدا.

ومما يزيد مهمة "العبادي" عصيا هو معرفة مقاتلي التنظيم لكافة نواحي ومخارج المدينة معرفة تامة، وهم بالتالي اقدر من غيرهم على خوض حرب عصابات، إضافة لوجود عائلاتهم بمعيتهم في المدينة، الشيء الذي يقودهم للقتال إلى أخر رمق ونفس، ذودا عن أعراضهم .

الأمريكان من جانبهم لن ينسوا فيما أظن، صورة طياريهم وجنودهم الذين قتلوا في الفلوجة إبان الاحتلال شر مقتلة، والى الحد الذي تم تعليق هولاء الجنود على أسوار الجسور، ليكونوا عبرة لغيرهم وليتعظ من تحدثه نفسه تدنيس الفلوجة، مدينة المساجد ومدينة المقاومة أو أن يقربها بسوء، لن ينسى المحتل الأمريكي كل ذلك وبالتالي سيقصفها (لا قدر الله) قصفا انتقاميا لا هوادة فيه، يموت فيه أهل هذا البلد الذي كان يقض مضاجع إسرائيل.

في ختام مقالتي ورغم أني لم أفهم كثيرا كلامها بلهجتها العراقية إلا أنني اسأل الله أن يهلك قاسم سليماني وجنده، وان يهلك الظالمين بالظالمين، وان ينصر السنة وأهلها ويخرجهم من بينهم سالمين غانمين امنين.

ميانمار: أي إرهاب أكبر من هذا ؟

من أسوءا الحروب التي تقع بين البشر، تلك التي تندلع لتصفية أمة من الناس علي أسس عقائدية، وهي سيئة مثل كل الحروب إلا أنها بالغة في السوء لان نهايتها لا تكون بهزيمة احد الطرفين أو استسلامه، ولكن فصول النهاية فيها دائما ما تكون بفناء احد الطرفين فناء تاما، لماذا؟، لأنهما لا يتقاتلان من اجل استرجاع حق، أي حق مادي أو معنوي، يتمسك كل طرف منهما بأحقيته وملكيته له، ولكنهما يتقاتلان في هذه الحالة من اجل إخفاء معتقد باطل وضار من الممكن أن يهدد بقاؤه الوجود والبشرية على حد سواء في رؤية كل طرف منها للآخر، ومن ثم فانه ينبغي القضاء على هذا الآخر وإخفاؤه إخفاء تاما وأبديا، وهذا هو ما لجأ إليه النظام في ميانمار في حروب التطهير العرقية التي قاربت نصف قرن كامل، ضد أقلية الروهينغا المسلمة السنية، التي تمثل سبعة بالمائة في ميانمار ذات الغالبية البوذية !.

الواقع أن هذه الرغبة المؤكدة في إبادة المسلمين الروهينغا، والتي تغذيها وتدفعها العقائد الباطلة الخربة مثل البوذية وغيرها (لأنه ممكنا عندهم أن

يكون الفرد معتنقا لمجموعة من المعتقدات والديانات، جنبا إلي جنب مع البوذية في آن واحد !) هذه الرغبة في إبادة المسلمين الروهينغا، ربما كانت خيارا استراتيجيا وسلاحا ماضيا استخدمه النظام الميانماري بالتواطؤ مع المتطرفين البوذيين، لاستئصال المسلمين في إقليم راخين (اراكان سابقا)وربما كان حرمان النظام العسكري البوذي للمسلمين الروهينغا من حق المواطنة، بموجب القانون الجائر الذي أقرته ميانمار عام 1982 واعتبارهم لاجئين غير شرعيين، (مع أن الحقيقة أنهم سكان أصليون يمتد تاريخهم إلي القرن الثامن الميلادي) وما ترتب عليه حرمانهم من تملك العقارات وممارسة أعمال التجارة، وتقلد الوظائف في الجيش والهيئات الحكومية، وحرمانهم من حق التصويت بالانتخابات البرلمانية وتأسيس المنظمات، ربما كان ذلك هو بداية حقيقية ومقدمة لذلك الخيار وتلك الإستراتيجية، التي تعمد للإبادة علي أسس أيدلوجية عقائدية، لأنه يرونهم لاجئين دخلاء غير معترف بهم ! ، وثانيا وهذا هو الأهم لأنهم مسلمون ويعبدون إلها واحدا لا يشركون معه إلها آخر، وأنهم بذلك مصدر الإرهاب والشقاء للبشر! ، وهذا ما يتوافق مع دعوات الكهنة البوذيين، مثل

الكاهن المتطرف اشين ويراثو الذي يؤكد في دعواته أن المسلمين الروهينغا ليسوا أصلا من ميانمار، ولا يحق لهم البقاء فيها وان اغلبهم إرهابيون ويرفضون الأديان الأخرى لإيمانهم بالله واحد، وأنهم يخططون للشر دائما وينتشرون كما الطاعون في كل بلاد العالم، لذا يجب قتلهم !

وبالرغم من وعود "اونج سان سو تشي "مستشارة الدولة بتهدئة الأوضاع في ميانمار، وإحلال السلام ووقف عمليات القتل والطرد والاضطهاد للروهينغا، إلا أنها لم تف بشي من ذلك، بل دافعت" اونج" عن عمليات التطهير ذاتها ! ، وهاجمت الموقف الدولي ووصفته بالتدخل في شؤون بلادها، ومع هذا فان الحقيقة الظاهرة التي لن تبوح بها " اونج سان سو تشي"، انه من مصلحة النظام استمرار هذا الانفلات بين البوذيين والروهينغا، لان في ذلك ما يشغل ويصرف الأنظار عن فساد الحكومة ووضعها المتردي من ناحية، ومن ناحية ثانية فان توظيف الإرادة العقائدية البوذية علي النحو الذي تصبح فيه هذه الإرادة هي القائد الفعلي الذي يأمر ببدء العمليات العسكرية لسحق الروهينغا وتصفيتهم، هذا التوظيف إذا تمكنت منه (وقد تحقق بالفعل) فإنها تضمن حصول الإبادة التامة، والتصفية الكاملة

للمسلمين الروهينغا علي أيدي الأتباع البوذيين المؤمنين الخلص!، ودون رجوعهم إلي قيادة سياسية أو دينية ظاهرة لتلقي الأمر بالهجوم أو الانسحاب أو حتي وضع الخطط المحكمة

أي إرهاب اكبر من هذا الذي تقوم به ميانمار علي الأقلية الروهينغية المسلمة !.

مصير "ماري انطوانيت"

تلجأ الدولة إلى استخدام مفردات العنف دائما ضد الخصوم المفترضين والمتوقعين بما تكون محصلته كسر شوكتهم وتفريق جماعتهم، وفي الوقت ذاته بسط النفوذ ورجحان السيطرة.

أما أنظمة الاستبداد، فإنها تنازل وتقمع خصومها المفترضين والمتوقعين (مع ملاحظة أن دائرة التوقعات عندها دائما تكون أكبر من غيرها) بكل أنواع القتال بما يعرفه البشر وبما تعرفه الحيوانات بل إنها لسحق خصومها يمكنها التحالف المؤقت، وربما الدائم مع قوى خارجية وفواعل كبرى.

هذه السياسة العنيفة التي ترتكبها أنظمة القهر شأنها في ذلك شأن كل الأنظمة الاستبدادية ضد الخصوم التقليدين، وربما ضد سائر الناس، وما يصاحبها من تقييد للحريات، وحجب الرأي الآخر، ربما تقود إلى خلق حالة عامة من الاحتقان! والتي على الأرجح ستزداد يوما بعد يوم، وعاما بعد عام.

بعض الأنظمة لا تهمها مصالح الآخرين، إنما تهمها السلطة المطلقة فقط، الاحتقان المتزايد في كلا الحالتين الذي يكون نتيجة طبيعية للحكم الاستبدادي أو الأوتوقراطي، إذا أضيف إليه حالة الفقر المدقع الذي يمكن أن يلحق بهذه الشعوب المضطهدة، وتزايد الديون الخارجية إلى أرقام قياسية بطبيعة الحال، وتدني مستويات الإنتاج أيضا بطبيعة الحال، هذا الوضع يقود في نهاية الأمر إلى عدة فرضيات وتأويلات متوقعة. من هذه الفرضيات التي تقفز إلى ذهني هو المصير الذي لاقته "ماري انطوانيت". تلك التي لم يعد يذكرها أحد.

كانت "ماري انطوانيت" في القرن الثامن عشر ملكة لفرنسا وكانت ذات شخصية كاريزمية قوية، وشديدة الفخر بأسرتها النمساوية الملكية وعائلة آل هابسبورج، إلا أنها كانت تهدر الأموال الطائلة إرضاء لميولها ونزواتها الشخصية، وهذه علة لازمتها منذ نشأتها في فيينا، إضافة لعلة أخرى وهي الجهل، فلم تكن تجيد اللغة الفرنسية أو الألمانية، وإنشاؤها ملئ بألفاظ السوقة والأخطاء الإملائية، كما أنها كانت تسرف في إغداق الأموال على صديقاتها في حفلات الرقص في البلاط، في

الوقت الذي كانت تعصف بفرنسا أزمة مالية طاحنة في ذلك الوقت.

كانت "انطوانيت" لا تجيد إلا اللعب والتسلية في كل مكان، وبأي شيء وتكره بذل أي مجهود، ولا تكمل أي شيء سواء فكرة أو محادثة أو قراءة، لذا فهي لا تحب الكتب ولا أمور الدولة. الأدهى أنها ظلت طوال سني حكمها تروح وتجئ فقط بين ستة قصور فرساي، التريانون، مارلي، فونتنبلو سان كلو، ورامبوواية. هذه القصور الستة التي لا يبعد إحداها عن الآخر ما لا يزيد على مسير بضع ساعات كانت هي كل ما تعرفه عن فرنسا !

أما زوجها الملك" لويس السادس عشر" فقد كان ضعيف الإرادة كثير التذمر، بطيء التفكير، خاملا ويغلب عليه التردد والارتباك في اتخاذ القرارات. وفقد حكمه للبلاد تدريجيا إلا أن "ماري "واجهت الأمر بشجاعة وحاولت مرارا أن تقوي من إرادة الملك، غير أن معارضتها القوية للتغييرات الثورية زادت من غضب الشعب عليها. ورأت العناصر التي تطالب في فرنسا بالإصلاحات والعدالة والتقدم، أن "انطوانيت" ما هي إلا مخلوقة مبذرة، خالية البال، هذه الصبيانية أبدا، ساكنة التريانون إنما تضحي بجنون وسخف بحب

ورفاهية عشرين مليونا من المواطنين بعد مضي عشر سنوات عليها في الحكم الأوتوقراطي.

كانت الضرائب تزداد ومستودعات المئونة خالية في بيوت فرنسا الغنية، وفلاحوها يعيشون الفقر المدقع، والعجز المالي يزداد إلى أرقام قياسية (لاحقا سمت الجماهير "انطوانيت" بسيدة العجز المالي).

وخلافا للمعتاد لم يتبع "لويس السادس عشر" و"ماري انطوانيت "نصائح رجال الدولة المعتدلين والمخلصين الذين محضوهم النصح وهو شيء مفترض ومتوقع منهم، لكن "انطوانيت "تآمرت فيما ترويه الروايات للحصول على المساعدة العسكرية من حكام أوروبا خاصة من أخيها "ليوبولد الثاني" ملك النمسا في ذلك الوقت، ورفضت أن تعطي أية امتيازات مطلقا للثوار.

وفي شهري يونيو ويوليو من عام 1791بدأ الوضع يتغير بطريقة درامية وعنيفة من قبل الثوار عندما طالبت الجمعية الوطنية بحقوق أكثر من "لويس السادس عشر "الذي كان على العكس يحاول أن يقمع سلطة الطبقة الثالثة. طلبت الملكة وأشقاء الملك اعتقال نشطاء الطبقة الثالثة، لم تكن "ماري انطوانيت "متفهمة لتطلعات

الشعب ورغباته وكانت مقتنعة أن الثورات إنما كانت من أطراف ثالثة، وهي التي تحرض على الكفاح لمحاربة التاج. العائلة الملكية بما فيها الملك و"ماري انطوانيت" خرجت متنكرة في عربة متجهة للحدود الشرقية، بعد أن أقنعت" ماري انطوانيت" "لويس السادس عشر "بالفرار من باريس، لكن أحد الوطنيين المتيقظين الخلص تعرف على الملك، ليتم إيقافهما وإعادتهما إلى باريس.

وحينما بدأت الحرب مع النمسا وبروسيا في 1792 اتهمت" ماري انطوانيت "بإفشاء أسرار عسكرية إلى الأعداء وأيقن الشعب بأنها مذنبة بسبب تلك الخيانة. لاقت "انطوانيت" مصيرها وهو الإعدام بعد كل السنوات التي أنفقتها لا لخدمة فرنسا ولكن خدمة لرغباتها، وتحقيق مصالحها الخاصة على مصالح الأمة، وتبديد المال وإهداره، ولم تقم بواجباتها على رعاياها الذين أهلكهم الفقر والعوز، والذين أخرجهم الفقر والفاقة للمطالبة برأس (سيدة العجز المالي). أعدمت" انطوانيت "بعد أن اقتيدت في عربة خشبية إلى ساحة المقصلة. كانت "انطوانيت" تصعد إلى المقصلة بنفس الخطوات الرشيقة التي كانت تصعد بها في الماضي درجات سلالم قصر

فرساي المرمرية، ثم وضعوا رأسها الصغير تحت المقصلة .

عن الخان الأحمر

انتهت محكمة العدل الإسرائيلية العليا في 5سبتمبر/أيلول الماضي، إلي رفض طلب الالتماس المقدم لها بشأن إيقاف هدم وإخلاء الخان الأحمر..(الخان الأحمر قرية صغيرة يسكنها بدو الجهالين، وتقع في الشرق الجغرافي من مدينة القدس المحتلة بالقرب من مستوطنتي معاليه ادوميم وكفار ادوميم، وتعتبر مستوطنة معاليه ادوميم ثاني اكبر مستوطنة في الضفة الغربية، وتربط الخان الأحمر الحدود الفاصلة بين شمال وجنوب الضفة الغربية)وكانت حيثيات الحكم في وقت سابق، هو الإزالة وترحيل سكان الخان الأحمر الأصليين إلي مناطق قريبة من أبو ديس!

بالنسبة لي وللكثيرين غيري فان قرار محكمة العدل الإسرائيلية العليا، والأحرى أن تسمي محكمة الاستيطان العليا، لأنه إذا وضعت الأشياء في نصابها ومقياسها، فان دولة الاحتلال ومؤسساتها لا يتوقع منها بأي حال عدلا أو حقيقة، ومن الظلم هنا أن نعقد مقارنة ومماثلة بين ذلك، وما تفعله المحاكم والمؤسسات القضائية في الدول الطبيعية، التي من واجباتها أن تنصر المظلومين، وتدين المعتدين، بل إن الذي

يتوقع في كل وقت من دولة الاحتلال (غير الطبيعية) هو المزيد من الظلم والاضطهاد، والانحياز إلي المجرمين.. بالنسبة لي وللكثيرين فان ما جرى لا يعدو كونه جزءا وحلقة من حلقات الاستيطان والاستعمار، الذي ما فتئت تمارسه دولة الاحتلال وأدواته، ومؤسساته مثل محكمة العدل الإسرائيلية العليا.

ومع ذلك فان هذا السلوك غير الطبيعي الذي يحكم ويأمر بالظلم والقتل والسلب، واغتصاب حقوق الآخرين والتهجير القسري، مثل تهجير السكان الأصليين في الخان الأحمر الذي يصنفه القانون الدولي جريمة حرب، هذا السلوك في تقديري وربما في تقدير الكثيرين غيري أيضا، هو المكون الأساسي لدولة الاحتلال الاستعمارية، وتعتبر بذلك ووفقا لذلك من أكثر الدول التي خاضت الحروب وسفكت الدماء علي مدي سبعين عاما، ومن ثم فان قتل الفلسطينيين واستباحة أعراضهم وأرضهم ودمائهم، بات بالنسبة لهم شيئا طبيعيا ومقبولا، كما لو كانوا يقتلون وحوشا في غاب أو كلابا ضالة.

ومع هذا فان هذه الشخصية الإسرائيلية التي تتعايش مع مكونات ممقوتة ومنفرة للبشر الأسوياء، مثل مكونات الظلم والقتل

والسرقة والسلب، واغتصاب حقوق الآخرين وهتك الأعراض والاضطهاد، والتمييز العنصري والطغيان وكل الصفات المرذولة، وهي مكونات وصفات ترجع بالأساس إلي طبيعة وجود هذه الشخصيات غير السوية علي فلسطين، وهي طبيعة اللص الذي يسرق الأرض ثم يزعم ملكيتها، ولا يتوقع في هذه الحالة شيئا فيها غير وجود مركب الخوف والرعب والبطش وكل النقائص.. هذه الشخصية التي نشأت وطبعت بهذا وعلي كل هذا، وبخلفيات أيدلوجية باطلة وحقائق زائفة، وفي وجود قوي عظمي تقدم لها دعما سياسيا ومعنويا وعسكريا متقدما، لا يمكن بأي حال أن يتوقع منها إلا زيادة في الاستعمار والاستكبار والشر بكافة صوره وأشكاله.

مع هذا وبعد هذا فان قرار إزالة الخان الأحمر في هذا التوقيت، الذي يتزامن مع إعلان القوي العظمي ذاتها ("ترامب" وإدارته) صفقة القرن الرامية لتصفية القضية الفلسطينية، ما هو إلا صورة من صور الاستعمار والاستكبار والشر الذي ربما تستطيع من خلاله دولة الشر استكمال التغيير الديمغرافي وإنهاء الوجود الفلسطيني.

من ناحية ثانية فان تفريغ المنطقة التي تمتد من الخان إلي البحر الميت من

الوجود الفلسطيني، من شأنه أن يخلق جيب استيطاني جديد حول القدس المحتلة ويمكن دولة الاحتلال في زيادة تمدد مستوطنة معاليه ادوميم، والمحصلة في كل ذلك وبعد ذلك هو تفكيك الضفة، بما يؤدي إلي خلق كيانين منفصلين تماما شمال الضفة الغربية وجنوبها، ومنع التواصل بينهما.

ربما تنجح دولة الاحتلال (غير الطبيعية) في خلق وتكوين الجيوب الاستيطانية، والتغيير الديمغرافي والتطهير العرقي للفلسطينيين، واستكمال ادوار الشر، ربما تنجح في ذلك كله ولكن وهذا هو الأهم أن النجاح لن يكون بجانبها كل الوقت.

إنهم يغتالون تاريخنا !

لا يشعر المرء بالألم والحسرة فقط، (للأسف هو الشعور السائد والغالب في أمتنا العربية التي أينما تقلب بصرك في أرجائها ينقلب إليك خاسئا حسيرا، فيما هو مشاهد من دسائس وفتن، وحروب ضروس بأيدي المسلمين أنفسهم فيما بينهم!)..لا يشعر المرء بالألم والحسرة فقط عندما يضيع أثر تاريخي من آثارنا التي نعتز بها في لحظات، خاصة إذا كان ذلك الأثر من مساجدنا وأثارنا الخوالد، مثل الجامع النوري ومنارة الحدباء في الموصل، ولكن يشعر المرء بالقهر والمذلة أيضا لضياع ذلك الأثر، الذي تم قصفه وتحطيمه وتسويته بالأرض بالأمس القريب من تنظيم الدولة الإسلامية، الذي بادر إلى نفي الاتهام، وربما من التحالف الذي يمطر أهل الموصل بحممه وذخائره شهورا عددا، والذي بادر أيضا بنفي الاتهام.

الجامع النوري امتد شموخه تسعة قرون!، ويذكرنا بقائد من قواد الأمة الإسلامية الأشاوس، وهو "نور الدين زنكي"، واسمه أبو القاسم محمود بن الأتابك قسيم الدولة أبي سعيد -عماد الدين- زنكي بن الأمير الكبير آق سنقر التركي، ولد في سنة 511

هـ وهم ينتسبون إلي قبيلة ساب يو التركية. تزوج عام 541 هـ من عصمت الدين خاتون، ابنة الأتابك معين الدين حاكم دمشق، وخلف منها ابنة واحدة وولدين هما الصالح إسماعيل، الذي تولي الحكم بعده وتوفي شابا في العشرين من عمره، وأحمد الذي ولد بحمص ثم توفي في دمشق طفلا، وكانت زوجته عصمت الدين خاتون من فضليات النساء وأعفهن، كما يصفها المؤرخون.

عندما قتل عماد الدين زنكي سنة 541 هـ، كان ابنه الأكبر سيف الدين غازي مقيما بشهرزور، بينما كان ابنه الثاني نور الدين محمود مع أبيه عند قلعة جعبر، وبعد أن شهد وفاة أبيه سار ببعض جنوده إلى حلب، فملكها هي وتوابعها، وكان عمره ثلاثين سنة،بعد مقتل عماد الدين الزنكي أصبحت الدولة الزنكية في يد أولاده، سيف الدين غازي حاكما على الموصل والجزيرة، ونور الدين محمود حاكما على حلب ومدن الشام، وكان الإخوان مثالا في التحالف والتعاضد، ففي عام 543 هـ صدت القوات المشتركة بين الأخوين، سيف الدين غازي في الموصل وأخيه نور الدين محمود في حلب، هجوما قام به الصليبيون، ونجحت قواتهم المشتركة في دحر الصليبين وحملهم على الرحيل عن دمشق، ولكن لم تمهل المنية سيف الدين غازي حيث توفي بالموصل سنة

544 هـ بعد أن حكمها ثلاثة سنوات، وخلفه في الحكم على الموصل أخوه قطب الدين مودود زنكي.

كان نور الدين محمود يقابل الخرافة والشائعة بالفعل والإنجاز، مثلما ذكره ابن خلكان في سفره القيم وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، وهي ما أشيع أن في الموصل خربة واسعة - في ما حكاه العماد الأصبهاني في البرق الشامي - وسط البلد، أنه ما شرع في عمارتها إلا من ذهب عمره، ولم يتم على أمر مراده، فأشار الشيخ عمر الملاء أحد صالحي المدينة وشيوخها الورعين، بابتياعها وبناء جامع كبير فيها تقام فيه الصلوات، وتخطب فيه الجمع وتدرس العلوم، ففعل نور الدين وأنفق فيه أموالا كثيرة، وظل المسجد الكبير الذي بناه علي أنقاضها، يستقبل مئات المتعبدين والدارسين، وقد بلغ هذا الجامع درجة عالية في جودة تخطيطه وروعة بنائه، إلى الحد الذي قال عنه ابن الأثير (فجامعه في الموصل إليه النهاية في الحسن والإتقان).

يبقى أن أقول ما بدأت به أولا، لا يشعر المرء باعتصار الحزن والألم والحسرة فقط، ولكن بالقهر والمذلة أيضا لضياع ذلك الأثر الإسلامي، الذي كان باقيا تسعة

قرون!، والذي تم قصفه وتحطيمه من تنظيم الدولة الإسلامية، الذي بادر إلى نفي الاتهام، وربما من التحالف الذي يمطر الموصل بحممه وذخائره، والذي أيضا نفى الاتهام، والمحصلة في ذلك هي ضياع آثارنا الإسلامية والتي هي من حقنا جميعا!

هل حقا ستنقل "ليز تراس" السفارة؟

تناقلت وسائل الإعلام مؤخرا ما صرحت به "ليز تراس" رئيسة الوزراء البريطانية على هامش انعقاد الجمعية العمومية للأمم المتحدة، قولها أن المملكة المتحدة تدرس نقل سفارتها إلى القدس، في سابقة جديدة لها أو صفقة قرن أخرى تعيد للأذهان صفقة القرن التي أعلن عنها ونفذها بالفعل الرئيس الأمريكي السابق " ترامب" في العام 2018.

"ليز تراس" التي انتخبت زعيمة جديدة لحزب المحافظين البريطاني ورئيسة للوزراء بعد سلفها "بوريس جونسون"، الذي اضطر إلى إعلان استقالته (استقالة "جونسون" كانت بعد عدة فضائح جنسية، شهدتها بريطانيا والبرلمان البريطاني وحزب المحافظين نفسه على مدى عدة أشهر، ولم يكن ل "بوريس" أن يصمد في منصبه بعد كل هذا الكم من الفضائح والسوءات الجنسية، فقد أوقف أولا نائب يشتبه في أنه ارتكب عملية اغتصاب بشعة منتصف حزيران/يونيو الماضي، واستقال نائب آخر

في نيسان/أبريل لأنه كان يشاهد فيلما إباحيا داخل البرلمان على هاتفه الجوال، وحكم أيضا في هذه السوءات على نائب سابق في أيار/مايو الماضي بالسجن لأنه كان لوطيا فاحشا) "ليز" توصف بأنها حادة الطباع، ومتقلبة المزاج! وهو وصف ربما يساعد في فهم كل ما يمكن أن يصدر عنها وكل ما يمكن أن تصرح به، ويمكن ملاحظة ذلك (وربما أكثر منه) في حدثين سابقين في سيرتها الذاتية:

أولا تحولها من الحزب الديمقراطي إلى حزب المحافظين، فقد كانت "تراس" وقت دراستها الجامعية في جامعة أكسفورد من الناشطين في صفوف الديمقراطيين الأحرار، وطالبت مثلها مثل أي فرد متحمس في الحزب بإلغاء الملكية، وقالت للمندوبين في برايتون أثناء انعقاد مؤتمر حزب الديمقراطيين الأحرار عام 1994: "نحن الديمقراطيون الأحرار نؤمن بتساوي الفرص للجميع، لا نؤمن بأن هناك أشخاصا ولدوا ليحكموا" إلا أنها رغم حماسها المتدفق تراجعت وتحولت آخر الأمر إلى صفوف حزب المحافظين!

و في حدث آخر، كانت "تراس" من الرافضات لخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، تلك القضية التي انقسمت فيها بريطانيا إلى قسمين: مؤيد للخروج من الاتحاد، وآخر

معارض يعتقد ويرجح أن يحد الخروج من الهجرة من دول المنطقة الاقتصادية الأوروبية إلى المملكة المتحدة، ويطرح تحديات عديدة أمام التعليم العالي في المملكة المتحدة والأبحاث الأكاديمية، وكانت "تراس" من قسم المعارضين إلى الحد الذي دعاها لكتابة مقال ذكرت فيه أن خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي سيكون مأساة عظيمة، يترتب عليها المزيد من القواعد، والمزيد من الإجراءات الورقية، والمزيد من التأخير عند الاتجار مع الاتحاد الأوروبي.

إلا أنها بعد انتصار دعاة خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، تراجعت عن رأيها وبدلته وقالت تؤيد الداعين للخروج: إن هذه الخطوة توفر فرصة لتغيير طريقة عملنا في المملكة المتحدة !

من الواضح تماما أن صفقة القرن الأولى التي توصل لها "ترامب"، أو ربما التخطيط الصهيوني الذي هو في واقع الأمر ممتلئ بالأفكار والاستراتيجيات التي من شأنها أن تؤدي إلى أمن وبقاء إسرائيل، من الواضح أن هذه الصفقة أو صفقة القرن الثانية التي تعلن عنها الآن" تراس"، هذه الصفقات التي حارت العقول حينا في استيعابها وفهم مراميها وأبعادها والأطراف التي تتم

بينهم، ما هي إلا نقل مكان السفارات من "تل ابيب" إلى مدينة "القدس" بما ينطوي على ذلك من مكاسب آنية لأطراف الصفقة جميعهم وأولهم بطبيعة الحال إسرائيل، وخسائر في الوقت ذاته للقضية الإسلامية.

وفي الوقت الذي انتقدت فيه "تيريزا ماي" رئيسة الوزراء البريطانية السابقة تنفيذ الرئيس الأمريكي السابق "ترمب" لوعد حملته الانتخابية بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، ملتزمة في ذلك بالسياسة البريطانية، شأنها في ذلك شأن كل رؤساء الوزراء السابقين، فإن "تراس" الزعيمة الجديدة لحزب المحافظين كانت تؤكد في حفل أقامته مجموعة "أصدقاء إسرائيل المحافظون" أنها ستنقل العلاقة بين المملكة المتحدة وإسرائيل من قوة إلى قوة، وأن إسرائيل وبريطانيا تواجهان تهديدات من أنظمة استبدادية لا تؤمن بالحرية أو الديمقراطية، وأضافت أيضا لمجموعة أصدقاء إسرائيل أنها تعتبر نفسها "صهيونية كبيرة".

وعلى ذكر ما قلناه فإنه ربما تعيد "تراس" بتصريحها، أو تقلب أراءها وثوابتها، أو عطفها، أو غاية جهدها هذا، وعد سلفها بلفور المشؤوم: " تنظر حكومة صاحب الجلالة بعين العطف إلى إقامة وطن

قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلد آخر."

ورغم أن نقل السفارة البريطانية إلى القدس يعتبر خروجا عن السياسة البريطانية تجاه القضية الفلسطينية المتبعة منذ أمد، فانه يعتبر أولا انتهاكا لقرارات الشرعية الدولية، وانتهاكا واضحا للقانون الدولي القاضي بعدم فتح سفارات في القدس إلى أن يتم التوصل إلى حل الدولتين، كما انه يعتبر أيضا موافقة كاملة على انتهاكات الاحتلال ودمويته على مدى السبعين عاما التي جثمت فيها إسرائيل على مقدسات المسلمين.

إضافة لكل هذه الاعتبارات، فإن نقل السفارة يمثل أيضا اعترافا صريحا _ لا ضمنيا _ بالسيادة الإسرائيلية على القدس، وهو نفس الغرض أو الواقع الجديد الذي كان "ترامب" يحاول أن يروجه ويفرضه أمام المجتمع الدولي في صفقة القرن الأولى،

فهل تتراجع "تراس" عن رأيها مرة ثانية أم تكمل دور "بلفور" سيء الذكر.

عن الأخلاق وجمهوريات الموز والحرب الزبون

في كتابه (أزمة الأعوام العشرين) انتقد "كار" المثاليين، وقال المثالية: هي تعبير عن الفلسفة السياسية الخاصة بالقوى العظمى الراضية، وكانت ببساطة نتاج مجموعة معينة من الظروف الاجتماعية والسياسية والتاريخية، وليست مجموعة قواعد أخلاقية خارجة عن الزمن ومكرسة من أجل أهداف كونية.

وعندما كتب "كار" كتابه ذاك في أواخر العقد الرابع من القرن العشرين، فانه كان يحذر مواطنيه من مثاليتهم المفرطة في أمور السياسة الخارجية، ويذكرهم بأن التنافس على القوة بين الدول هو جوهر السياسة الدولية.

ولم يذهب "رينولد نيبور" بعيدا عن افهام وأفكار "كار" و"مكيافيللي" و"هوبس"، فهو يعتقد أن مأساة الطبيعة البشرية تتجذر في غريزة الأنانية في الإنسان ورغبته في القوة، حيث أن انقياد العقل للتعصب والعاطفة والأنانية غير العقلانية لا سيما

في سلوك الجماعات، كلها أمور تجعل من الصراع الاجتماعي حتميا في التاريخ الإنساني، ربما إلى نهايته البعيدة.

وفي ذات النظرة التشاؤمية بخصوص الطبيعة البشرية، كان "جورج كينان" يعتبر أن الإنسان لا يزال حيوانا ! يعتمد بحكم طبيعته الفطرية على القتال.

الرؤية الواقعية السياسية ذات نظرة أحادية في فهم العلاقات الدولية من منطق القوة، وفي فهم مختلف ومتضاد مع المعني المثالي الأخلاقي، وتعتبر المدرسة الواقعية السياسية أن السببية الثابتة التي تصل أحيانا إلي درجات الجزم والحتمية، هي المرتكز الأساسي الذي ينبغي أن تصنع القرارات وتوضع الخطط والمناهج والاستراتيجيات من خلاله، وان الصراع في المجتمع الدولي إنما حقيقته القوة وزيادتها، لا الأخلاق والمثاليات، وعليه فان النزاعات والاقتتال والخلافات بين الدول هي سمة دائمة وتوصف بالمعقولية.

لكن أي أخلاق هي التي ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار أهي أخلاق البشر الذئبية عند "هوبس " ،أم أخلاق الشيوعية أم الرأسمالية ،ربما تكون عبارة "لويس فيشر" المملؤة بالإحباط واليأس من تلك الأنظمة هي إجابة على هذا التسأول: بعض

الناس يقض مضاجعهم ما يقترفه العالم الرأسمالي من جرائم وآثام ،فيظلون عميا لا يرون جرائم البلشفية وإفلاسها ، وكثير منهم يستغلون نقائض العالم الغربي ليصرفوا الانتباه عن فظائع موسكو البشعة .أما أنا فأقول: لعن الله كليهما "

إذا كانت الأخلاق تؤخذ من البشر وأعرافهم وتقاليدهم وأفكارهم وأنظمتهم ، فهي أخلاق لا ترفع الأمم أو تزيد في قوتها ، أما إن كانت مستمدة من دين الله لا البشر فهي ترفع الأمم وتزيد في قوتها .

الخلق الإسلامي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القرآن، وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت:كان خلقه القرآن. عن سعد بن هشام قال: أتيت عائشة فقلت: يا أم المؤمنين أخبريني بخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت:كان خلقه القرآن، أما تقرأ قول الله عز وجل: (وانك لعلي خلق عظيم) [القلم :4]

وقد حدد الله جل شأنه هذه الموجهات والأخلاق الكريمة قال الله تعالى : (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل علي الله إنه هو السميع العليم) [الأنفال:61] ،وقال تعالى : (إلا الذين يصلون إلا قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم

فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) [النساء :90] (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) [البقرة:190].

الحقيقة إن ما نشاهده من الحروب والدمار ليس إلا انتهاكا للقوانين والأعراف والمواثيق ،أو التفافا عليها وتسمية للأشياء بغير أسمائها ، وتضييع لقيم الأخلاق ،والأمثلة على ذلك كثيرة وعديدة، إذا تتبعنا كل حادثة وأرجعناها إلى أصولها فإنها لا تخرج عن ذلك ، إسرائيل مثلا تزعم أنها في حالة دفاع شرعي عن النفس في الحرب الزبون مع غزة الأبية ،مع أن الحقيقة غير ذلك فهي تسمي كيفما رأت ، وكيفما شاءت،والأصل أنها باغية ومعتدية ودولة احتلال !

إن الأخلاق المرذولة كانت في تدمير العراق، تارة بالبحث عن أسلحة الدمار الشامل كذبا وبهتانا ، وتارة بالقضاء علي تنظيم الدولة الإسلامية ،وهي الذريعة والوسيلة التي اتخذوها لتدمير هذا البلد المسلم، وسرقة نفطه. البلد الذي كان يقض مضاجع إسرائيل. وهم لا يجدون في قتل الأبرياء والأطفال ما يستحق الوقوف عنده ومحاسبة النفس لهذه الجرائم

المنكرة ،وعندما سألت "ليسلي شتال" "مادلين أولبرايت" التي كانت سفيرا للولايات المتحدة في الأمم المتحدة وقتذاك ، عن إحساسها تجاه مقتل نصف مليون طفل عراقي أجابت عجوز السوء :نعتقد بأن الثمن كان يستحق.

الأخلاق المتسخة والمنتنة كانت في قتل الفلسطينيين علي مدي عمر الاحتلال الغاشم ، وتطبيق نظام الابارتايد عليهم واعتقالهم في السجون الإسرائيلية ،والاستيلاء علي أراضيهم عنوة بتطبيق محاكمهم الباطلة التي لا يعترف بها احد إلا هم أنفسهم ، وغير ذلك من الجرائم النكراء.

مع ذلك، فان غزة الأبية صمدت في الحرب صمود الأبطال، ليس صمودا وحسب لكنها كشفت عن حقيقة موجعة لإسرائيل ولغيرها ، وهي أن ميزان القوى في طريقه للاختلال. وكشفت عن حقيقة موجعة ثانية ،وهي أن عرابي الخراب والموت في جمهوريات الموز في المنطقة ،صاروا كما اليهود مثلا بمثل وسواء بسواء.

اللص والكلب وعروة بن مرثد

الأقوياء وحدهم بما يملكون من قوة وسيادة ومنعة، يمكنهم هزيمة الآخرين أو تهديدهم وإرهابهم وبث الرعب في قلوبهم، وبنفس مقدار القوة يمكنهم التأثير على الآخرين بالترغيب والتفاوض بما يكون محصلته حدوث النتائج المطلوبة والمرسومة؛ أما من لا يمتلك القوة والهيمنة ويحاول فقط مجرد المحاولة في التأثير على الآخرين بالترهيب أو التهديد أو الترغيب، فهو لا يعدو أن يكون واحدا من اثنين: إما مختل العقل والبصيرة، وإما أن يكون منافقا كذابا رعديدا!

استأذن القارئ الكريم لأنقل قصة هي ليست من واقعنا المعاصر الذي هو قطعا مملوء بهذه النماذج وأشباهها بصورة مفزعة، سواء الواقع الاجتماعي أو الواقع السياسي، لكنها من تراثنا العربي وتعتبر مثالا للنوع الذي يلبسه الخوف والجبن من أعلى رأسه حتى أخمص قدميه ومع ذلك يتحدث كما لو كان قويا منيعا.

القصة عن "عروة بن مرثد" شيخ بني نهشل التي ذكرها "ابن قتيبة "في (عيون الأخبار) وذكرها "الجاحظ" أيضا في كتاب

(الحيوان) بما انطوت عليه هذه القصة أو الطرفة من بلاغة وجزالة ورصانة، وهذا جزء مهم أيضا لأن كتاب (الحيوان) من أقيم كتب الأدب العربي المعتبرة، وتتعدد فيه وجوه الفائدة والمتعة فالكتاب حجة وإمتاع في اللغة والجزالة والفصاحة وهو أيضا بنفس القدر ممتع في طريقة استقصاء المعلومات، وسرد كل ما يتعلق بالموضوع الذي يتحدث فيه كلبا كان أم ذئبا، وسرد النوادر والحيل، وهو أسلوب تفرد به "الجاحظ" فهو يذكر النوادر وما يجوز من ذلك في باب الهزل، وما يجوز منها في باب الجد، ليجعل الهزل مستراحا والراحة جماما.

قال "الجاحظ": كان بالبصرة شيخ من بني نهشل يقال له "عروة بن مرثد " نزل ببني أخت له في سكة بني مازن وبنو أخته من قريش، فخرج رجالهم إلى ضياعهم وذلك في شهر رمضان وبقيت النساء يصلين في مسجدهن، فلم يبق في الدار إلا كلب يعس فرأى بيتا فدخل وانصفق الباب، فسمع الحركة بعض الإماء فظنوا أن لصا دخل الدار، فذهبت أحداهن إلى أبي الأعز وليس في الحي رجل غيره فأخبرته، فقال أبو الأعز: ما يبتغي اللص منا؟ ثم أخذ عصاه وجاء حتى وقف على باب البيت فقال: إيه يا ملأمان! (يعني يا لئيم) أما والله انك

بي لعارف واني بك أيضا لعارف، فهل أنت إلا من لصوص بني مازن شربت حامضا خبيثا حتى اذا دارت الأقداح في رأسك منتك نفسك الأماني وقلت: دور بني عمرو والرجال خلوف والنساء يصلين في مسجد هن فأسرقهن، سوءة والله ما يفعل هذا الأحرار، لبئس والله ما منتك نفسك، فاخرج والا دخلت عليك فصرمتك مني العقوبة، لأيم الله لتخرجن أو لاهتفن هتفة مشؤومة عليك يلتقي فيها الحيان: عمرو و حنظلة ويصير أمرك إلى تباب، ويجئ سعد بعدد الحصى ويسيل عليك الرجال من ها هنا وها هنا، ولئن فعلت لتكونن أشام مولود في بني تميم.

فلما رأى أنه لا يجيبه أخذه باللين وقال: اخرج يا بني وأنت مستور، اني والله ما أراك تعرفني ولو عرفتني لقد قنعت بقولي واطمأننت إلي أنا "عروة بن مرثد" أبو الاعز المرثدي، وانا خال القوم وجلدة ما بين أعينهم، لا يعصونني في أمر، وأنا لك بالذمة كفيل خفير، أصيرك بين شحمة أذني وعاتقي لا تضار فاخرج فأنت في ذمتي وإلا فإن عندي قوصرتين (القوصرة: وعاء من قصب يجعل فيه التمر) أحداهما إلى ابن أختي البار الوصول، فخذ أحداهما فانتبذها حلالا من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وكان الكلب اذا سمع الكلام اطرق واذا سكت وثب يريغ المخرج، فتهافت

الإعرابي أي تساقط ثم قال: يا ألام الناس وأوضعهم ألا يأني لك أنا منذ الليلة في واد وأنت في آخر، واذا قلت لك السوداء والبيضاء تسكت وتطرق فاذا سكت عنك تريغ المخرج،؟ والله لتخرجن بالعفو عنك أو لألجن عليك البيت بالعقوبة.

فلما طال وقوفه جاءت جارية من إماء الحي فقالت: إعرابي مجنون!! والله ما أرى في البيت شيئا!! ودفعت الباب فخرج الكلب شدا وحاد عنه أبو الاعز مستلقيا، وقال: الحمد لله الذي مسخك كلبا وكفاني منك حربا!! ثم قال: تالله ما رأيت كالليلة ما أراه إلا كلبا!! أما والله لو علمت بحاله لولجت عليه.

إذا تحققت هذه الفرضية

المفارقة بين الخطابين: الإيراني التهديدي؛ الذي يتوعد فيه الرئيس" حسن روحاني" بإلحاق الهزيمة النكراء بالولايات المتحدة إذا التزم الإيرانيون بواجباتهم تماما، والخطاب الأمريكي الأخير الذي قدم فيه "مايك بومبيو" أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب الأمريكي، استراتيجية جديدة تتضمن 12 مطلبا ينبغي علي إيران تنفيذها، والتي عقب بعدها قائلا أن تنفيذ ذلك ليس بالأمر الصعب! هذه المفارقة تعيد إلي الأذهان مرة أخري أجواء الأزمة النووية بين "كيم جونغ اون" (الولد السمين) و"ترامب" (المخبول)، حسب ما كان يصف به وقتها كلا منهما الأخر.

وعلي الرغم من توقيع روسيا والصين وبريطانيا وفرنسا والمانيا علي اتفاق خطة العمل المشتركة الشاملة (الاتفاقية النووية) التي جعلت لإيران حدودا لا تتخطاها في التصنيع النووي، فإن إعلان "ترامب" الانسحاب الأحادي ترتب عليه فقدان مصداقية دولة عظمي، كان الأخلق بها أن تلتزم بالمواثيق والعهود والأخلاق، ويؤكد من ثم ذلك الانسحاب الأحادي انه كان قرارا منفلتا.

وكونه قرارا منفلتا فيما أتصور، فلأنه ادخل الولايات المتحدة في مأزق كبير مع الدول الأوربية (فرنسا وبريطانيا والمانيا) وهي الدول التي تعتبر حليفا أساسيا ورئيسيا لها في مواجهة الدول المارقة ،مثل كوريا الشمالية وإيران والعراق (كما تصنفها الإدارات الأمريكية المتعاقبة)ذلك أن انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاقية النووية وإن كان في ظاهر الأمر يتحدى به "ترامب" القيادة الإيرانية ،التي تمثل محور الشر ومصدر قلق وإزعاج دائمين ،إلا أنه من جهة ثانية ادخلها في تحدي أخر مع حلفاءه الأوربيين بريطانيا وفرنسا والمانيا ،وهي الدول الموقعة علي الاتفاقية بكامل إرادتها وسيادتها .

وبالرغم من مشاركة بريطانيا وفرنسا مع الولايات المتحدة في هجوم ثلاثي علي مخازن الأسلحة الكيمائية في سوريا بالأمس القريب (ذرا للرماد في العيون ،ودفاعا عن حقوق الإنسان كما يزعمون) ومشاركة الدول الأوربية ذاتها بقيادة الولايات المتحدة ،في تحالف جمع ما يقارب ستين دولة في قوات التحالف لسحق تنظيم الدولة الإسلامية (كان المقصد الرئيسي هو سحق تنظيم الدولة الإسلامية والدولة الإسلامية ذاتها أين ما وجدت) بالرغم من ذلك فان الإدارة

الأمريكية التي افتقدت المصداقية والأخلاق والالتزام بالمواثيق والعهود ،فإنها بذلك ربما تفتح الباب علي مصراعيه لأيمن هذه الدول في عدم مشاركتها في أي مواثيق أو اتفاقيات أو عمل عسكري قادم ربما تخوض اتونه الولايات المتحدة.

فرضية تحدي الدول الأوربية لقرار الانسحاب الأحادي ،والعمل علي إنقاذ الاتفاق من الانهيار ربما تظل فرضية قابلة للتحقق لأن القرار وما سيتبعه من عقوبات اقتصادية علي إيران وعلي الشركات الأوربية التي تتعامل معها ،سيعرض تلك الشركات لانهيارات وخسائر فادحة ،ويضع الدول الأوربية في مكان خضوع للولايات المتحدة التي تتعامل مع كل الملفات بعنف وغشم ! وليس من المستبعد أن تستخدم الدول الأوربية لائحة المجلس الأوربي لعام 1996 التي تحمي الشركات الأوربية من الآثار المترتبة علي تطبيق التشريعات من طرف ثالث خارج نطاق الاتحاد الأوربي ،ويتيح لها بذلك ممارسة سيادتها الاقتصادية في المنطقة.

وإذا تحققت هذه الفرضية في هذه الأجواء المعقدة ،فإن ذلك سيؤدي إلي مزيد من عزلة الولايات المتحدة ،وسيكون بمثابة صفعة شديدة تقدمها الدول الأوربية لها

بعد الصفعة الأولي التي تلقتها في التسعينات في ذات الموضوع (هدد الاتحاد الأوربي في التسعينات بطرد الولايات المتحدة من منظمة التجارة العالمية ،عندما وقعت الولايات المتحدة عقوبات اقتصادية علي بعض الشركات الأوربية ،وكانت رؤية الاتحاد الأوربي وقتذاك انه لا ينبغي للولايات المتحدة توقيع عقوبات اقتصادية علي الدول الأوربية من خارج الحدود الإقليمية ،وهو التهديد الذي أدي في نهاية الأمر إلي إلغاء العقوبات الثانوية المفروضة علي الشركات الأوربية) . انسحاب الولايات المتحدة الأحادي من الاتفاقية النووية سيضيف تعقيدات عديدة علي المشهد ،وربما يكون ذلك من ناحية أخري هي البداية لتصدع وانهيار حلف الأطلسي برمته .

إذا صرفنا النظر والفكر

ربما يكون انسحاب الولايات المتحدة من خطة العمل المشتركة الشاملة AOPCJ (الاتفاق النووي)،التي التزمت إيران بعد التوقيع عليها بتجميد أنشطتها النووية ،وعدم حيازتها موادا انشطارية لمدة خمسة عشر عاما مقابل تخفيف العقوبات الاقتصادية المفروضة عليها ،ربما يكون هذا الانسحاب الذي أعلن عنه "ترامب" يوم 8مايو (أيار)الماضي ،اقرب إلي الشبه بالأزمة الكورية التي تبادل فيها وقتذاك الولايات المتحدة وكوريا الشمالية التراشقات الكلامية والتنابز القبيح!

ومع هذا فان تهديد " ترامب" بالانسحاب من الاتفاقية التي يصفها بأنها من أسوءا الاتفاقيات في تاريخ الولايات المتحدة ،وأنها تمنح إيران أكثر بكثير من الدول الموقعة عليها ،مع هذا فانه ركب المكر وباغت الدول الخمسة الموقعة علي الاتفاقية ،روسيا وفرنسا والصين وبريطانيا بالإضافة إلي ألمانيا ،بل انه باغت به العالم كله ،إذ أن انسحاب الولايات المتحدة من خطة العمل المشتركة الشاملة من شأنه أن يفتح الباب أمام سيناريوهات عديدة للأسف كلها سيئة

وكارثية، أولها وقوع صدام مسلح وشيك بين إيران والولايات المتحدة يكون محصلته دمار وخراب كبيرين في المنطقة.

وفي الوقت الذي كان فيه "ترامب" يرفض أي تراجع من انسحابه أو أي اتفاق تكميلي منفصل، مثل المقترح الذي تقدمت به الدول الأوربية (فرنسا علي وجه التحديد)والذي طلبت فيه تمكين المراقبين الدوليين بالتفتيش علي الإنتاج الصاروخي وعدم الاكتفاء بالتفتيش النووي، لأن ذلك سيضع حدا للصواريخ الباليستية ودورها التخريبي في اليمن وسوريا، فان إيران كانت تؤكد أن لها عدة خيارات وان جميع تلك الخيارات جاهزة، وان الانسحاب سيأتي بردود تحير الولايات المتحدة.

وإذا صرفنا النظر والفكر عن برنامج الإنتاج الصاروخي الإيراني ،إذا صرفنا النظر والفكر عن ذلك وانه ليس المسبب الرئيسي الذي يحاول "ترامب" شغل الناس به ،فان هناك مسببات أخري لا يستطيع المرء معها أن يمنع فكره أو يحول عنها نظره وهي التي دفعت ترامب علي الأرجح لتدمير الاتفاقية، منها :

1_تعتبر إيران من الدول المارقة في تصنيف الإدارات الأمريكية المتعاقبة،

ومصدر من مصادر الشر وزعزعة الأمن والاستقرار في المنطقة، وراعية للإرهاب.

2_إن الانسحاب من الاتفاقية كان من أولويات ترامب لأنه أعلن عن ذلك في برنامجه الانتخابي، عندما وصفها بأنها من أسوء الاتفاقيات في تاريخ الولايات المتحدة ،لذلك فإن انسحابه من الاتفاقية لم يكن مفاجئا بل تم الترتيب والتدبير له بليل.

3_القول بان الاتفاقية بها ثغرات تهدد الأمن والسلم في المنطقة مثل برنامج الإنتاج الصاروخي ،إنما هي تغطية للانسحاب من الاتفاقية ومن ثم مبررا لما يعقب ذلك من ترتيب وتخطيط.

4_ شعار مصلحة أميركا أولا الذي رفعه ترامب، هو عنوان عريض يحتمل كل المعاني لنقض أي التزامات أو مواثيق أو معاهدات دولية، مثل انسحابه من اتفاق باريس للمناخ وانسحابه من اتفاقية شراكة دول الباسيفيك ،وانسحابه من خطة العمل المشتركة الشاملة.

5_كراهية الإدارة الأمريكية المطلقة للمسلمين وللعرب ،عامل أساسي في التخلص من المواثيق والمعاهدات معهم.

6_رغبة ومصلحة الإدارة الأمريكية في إغراق المنطقة بالحروب، بما يضمن القضاء علي أو إضعاف أي قوي أو تنظيمات إسلامية من الممكن أن تهدد امن إسرائيل.

7_رغبة ومصلحة الإدارة الأمريكية في جمع الأموال ،تارة بإغراق بعض الدول العربية بالأسلحة الحديثة (مثلما حدث مؤخرا مع المملكة السعودية) وتارة بتوفير الحماية مقابل الأموال التي تحتاجها لتأهيل البنية التحتية للولايات المتحدة.

8_التهيئة للمواجهة المرتقبة بين إيران والمملكة السعودية .

9_تصفية القضية الفلسطينية عبر صفقة القرن ،وإفراغ فلسطين من الفلسطينيين وتهجيرهم إلي سيناء، وإقامة الدولة العبرية ذات السيادة الكاملة علي فلسطين.

التوازن الصلب والتوازن النووي وصراع الأفيال

تعتبر العلاقات بين الدول النووية من العلاقات التي يغلب عليها الخوف والحذر الدائم أكثر مما لو كانت هذه الدول تمتلك الأسلحة التقليدية وحسب، لماذا...؟ لأن الأسلحة النووية من شأنها أن تلحق دمارا وأهوالا واسعة وشاملة في فترة وجيزة، يفوق ما تحدثه الأسلحة التقليدية أضعافا مضاعفة، بل إنها تهدد بفناء كل البشر، وهو ما يجعل المتنافسين النوويين يترددون كثيرا قبل الدخول في أي مواجهات أو منازلات.

صحيح أن الدول الفاعلة مثل الولايات المتحدة وروسيا وبريطانيا وفرنسا، تمتلك الأسلحة النووية والبيولوجية وأسلحة الدمار الشامل بكميات كبيرة ومفزعة، إلا أن هذا في حد ذاته يخلق نوعا من التوازن النووي أو ما يسمى بتوازن الرعب، وهذا التوازن كفيل بمنع أي منهم من التفكير أو التخطيط لأي هجوم نووي أو خوض حرب نووية، لأن ذلك (إذا حصل) يعنى فناء كل الدول، أو بعبارة أخرى انتحارا جماعيا.

في تفسيره للآلية التي يؤثر بها السلاح النووي على توازن القوى، يذكر "ميرشايمر" طريقتين: الأولى هي أن البعض يعتبر أن الأسلحة النووية تقضي تماما على سباق التسلح التقليدي والتنافس الأمني بين القوى العظمى، لأنه ليس من العقل أن تبدأ أحداهما هجوما نوويا على الأخرى خوفا من إفناء نفسها بنفسها، وبهذا الاعتبار فإن الخوف من بداية الهجوم النووي لكليهما هو ما يمثل حاجزا لعدم الاستمرارية في زيادة وتقوية التسليح التقليدي، والآخرون يعتقدون بصحة عكس ذلك الفهم تماما، وهو أن الأسلحة النووية نظرا لقدرتها التدميرية المخيفة، فلن يلجأ قائد عقلاني لاستخدامها أبدا حتى لأغراض الدفاع عن النفس، ولذلك لا تخفف الأسلحة النووية من حدة التنافس الأمني، ويظل توازن القوة العسكرية التقليدية هو الأهم.

مع هذا فإن الدول المتنازعة أو المتصارعة لديها عدة استراتيجيات لتعظيم القوة التقليدية، أو الحفاظ على القوة بالتوازن الصلب فيما يشبه صراع الأفيال، فهي إما أن تحارب بغرض تعظيم القوة تحت أي أسباب منطقية من وجهة نظرها ووفق ما تعتقده، مثل اجتياح روسيا لأوكرانيا هذه الأيام، وفي مثل هذه الحالة فان الطرف

الآخر يكون أقل منها قوة، ولدى الطرف الأول مصالح وأغراض في الطرف الثاني، وتكون المحصلة هنا اكتساب تلك المصالح بما يزيد من ثروة الدولة وتعظيم القوة لديها.

وإذا كانت الدولة المنافسة في نفس حجم القوة، وسواء لديها موارد وثروات طبيعية أم ليس لديها، فان دخول الحرب هنا إنما يكون للحفاظ فقط على مستوى القوة لا لزيادتها، ولا تحارب في هذه الحالة إلا لتثبيت بقاءها ووجودها.

بعض الدول تلجأ للتحريض والاستنزاف كوسيلة لحفظ قوتها في الوقت الراهن؛ فتقوم بالتحريض بين دولتين يقفان أمام مصالحها وأهدافها، وتدخل الاثنين في موجة حروب طويلة بهدف إفقار كليهما وتدميرهما معا وخلو الجو (إن صح هذا التعبير) للدولة المحرضة، وتنصب نفسها قطبا أحاديا. تورط روسيا وإيران في المستنقع السوري ربما يكون مثالا ونموذجا لذلك، وليس مستبعدا أن تكون الولايات المتحدة تمثل نفس الدور في الحرب الأوكرانية من دون الاستناد لنظرية المؤامرة.

محاولات روسيا في أعقاب الثورة الفرنسية لإغراء النمسا وبروسيا لبدء الحرب مع فرنسا ربما يكون أيضا مثالا، فقد كان غرض

روسيا هو توسيع قوتها في أوروبا الوسطى، آنذاك قالت الزعيمة "كاثرين": أفكر جديا في تأليب قادة فيينا وبرلين على فرنسا. ثمة أسباب لا أستطيع التحدث عنها، أريد أن أحرضهم على ذلك لكي تصبح يداي طليقتين، فلدي أعمال كثيرة لم تكتمل ولا بد أن ينشغلوا بعيدا عن طريقي.

استراتيجية الاستنزاف تعمل على دخول الخصمين المنافسين للدولة في حروب طويلة الأمد، ووقوع خسائر بشرية ومادية لكلا الطرفين، علق "هاري ترومان" على الاجتياح النازي للاتحاد السوفيتي (عندما كان عضوا بمجلس الشيوخ): إذا رأينا ألمانيا تربح الحرب يجب أن نساعد روسيا، وإذا رأينا روسيا تربح يجب أن نساعد ألمانيا، لكي تأكل الحرب أكبر عدد منهما.

بعد هذا يمكن القول إن التوازن النووي عمل على تكوين بعض التأثيرات في العلاقات الدولية:

1_أثر على الوحدات السياسية الفاعلة في المجتمع الدولي، لأنها اتخذت من عملية التحييد المتبادل سلوكا جديدا لم يكن مألوفا من قبل، تحت تأثير الخوف من الأخطار الكارثية والمهولة التي يجلبها اللجوء للهجوم النووي.

2_التلويح باستخدام الردع النووي يظل فرضية متزايدة في حال تعقد وتدهور الموقف على الأرض.

3_أدى التوازن النووي إلي ظهور ثقافة ولغة جديدة إرشادية وتوجيهية، توضح المخاطر التي ربما تجلبها الأسلحة النووية والبيولوجية على الإنسانية جمعاء.

4_جاهزية الردع النووي وفعاليته تسببت في إيجاد نوع من الاستقرار العسكري، في بعض المناطق التي تعاني من التوترات السياسية.

5_الشعور المتبادل بأخطار الردع النووي، خلق شعورا بالتضامن بين القوى النووية، خاصة في المواقف التي تطغى فيها المخاطر المحتملة على الأهمية الفعلية للمصالح موضع التنازع أو الصراع.

6_زيادة فعالية الردع النووي المتبادل أدت إلى تناقص احتمالات اندلاع الحرب النووية، ولم يعد من المتصور وقوع الحرب النووية إلا بطريق الخطأ، أو اندلاعها عن طريق حاكم معتوه في أسواء السيناريوهات الكارثية.

7_ساعد التوازن النووي في زيادة التضامن والتعاون بصورة أكبر بين الدول غير النووية.

8_أدى التوازن النووي إلي زيادة درجة الاستقطاب، التي ربما تصل لدى بعض الدول الأوتوقراطية إلى التبعية أو الاستسلام الكامل.

الهزيمة اسمها "سامية"

هل من الممكن أن يتسبب موظف أو موظفة في مؤسسة طبية من زيادة تعاسة مريض، أو أن يكون سببا في تعطيل إتمام علاجه، وان يضيف كمية من الشقاء إلي مرافقيه وأهله الذين تشتاق نفوسهم إلي عافية المريض، والمتضرعين إلي الله أن يمن عليه بالشفاء العاجل وان يمتعه بالصحة والعافية ؟!!...من المؤسف حقا أن تكون الإجابة هي نعم، وسوف استأذنكم في رواية القصة التي جرت وقائعها بيني وبين "سامية" في ذلك المشفي .

"سامية" التي أتحدث عنها هي موظفة بالمشفي، وتقوم بكتابة وطبع التقارير الطبية للمرضي الذين يتم تحويلهم إلي العلاج خارج السودان، والتي يقوم بكتابتها أولا الطبيب المختص، ومن ثم يرسلها إليها حتى تقوم بكتابتها وطباعتها بالكمبيوتر، وبذلك تكون مهمتها اليسيرة قد انتهت، وبعدها تبدأ رحلة المريض الذي استلم تقريره إلي تجهيز حاله والسفر إلي خارج السودان حتى يتم علاجه، وهذه المهمة (علي بساطتها) من

الممكن أن تأخذ اقل من ساعة من الزمن، ولكن هل تصدق أنها استغرقت معي ثلاثة أيام كاملة !!، ففي اليوم الأول كتب الطبيب الجراح الذي يتابع حالة مريضي تقريره بكل سهولة ويسر، والحق يقال انه كان نموذجا حيا للبشاشة وسعة الصدر ودماثة الأخلاق، وامتد بنا الحديث إلي مناحي أخري بعد أن اتضح أننا جمعتنا الدراسة في جامعة الأزهر، هو في الطب وانا في الصيدلة، وراجعنا سويا زملاء الدراسة الذين فرقت بيننا وبينهم الأيام، وعن تلك الأيام الجميلة التي قضيناها في الجامعة رغم أنه كان يسبقني إذ ذاك بسنوات، وتذكرنا أيام كنا نسكن في الحي السابع والثامن ورابعة العدوية التي تمت مؤخرا فيها مذبحة كبيرة للإخوان المسلمين، وقتل فيها خلق كثير من الأبرياء، وغيرها مما أرجعتنا به الذكريات.. أعتذر عن هذا الاستطراد ..المهم بعد أن استلمت ما خطه من وصف لحالة مريضي وتوصيته بإجراء الجراحة، أعطيت الورقة وبكل أدب للموظفة "سامية" التي ستقوم بطباعتها ..وبنظرة شزراء(الله وحده يعلم أنني لم افعل شيئا يستحق مثل هذه النظرة) قالت : تعال غدا ..واتيت في اليوم الثاني وأنا امني نفسي بالحصول علي التقرير ولكن ليس كل ما يتمني المرء

يدركه، وبنفس نظرتها الشزراء قالت أن خط الطبيب ليس واضحا بما يكفي حتى تقوم بكتابته وطباعته ،والحل هو أن تأتي غدا.. لتتمكن من فك الخط ومن ثم تقوم بكتابته !!...كنت علي وشك أن انفجر وان افرغ فيها كمية الغضب الذي تجمع في دواخلي، ولم يوقف ذلك الانفجار الوشيك إلا شخص آخر كان يعاني من ذات المشكلة والتسويف والتأخير، وقال لي مواسيا وحانيا : يازول (يا رجل) أنا لي ثلاثة أيام في انتظار تقرير منها مثلك ...في اليوم الثالث، ويبدو أنها المدة التي تفترضها تلك الموظفة التي تعاني الأمرين من قراءة خطوط الأطباء، قابلت مدير المشفي بعد أن طفح كيلي وضاع صبري، وتكرم هو مشكورا بكتابة التقرير بخط واضح أبلج للموظفة التي ساقني القدر إليها..وبعد أن أمسكت الورقة بيديها وبدأت تكتب ما استطاعت أن تقرءاه، كانت بين الحين والأخر تسألني من بعض الكلمات التي لم تسمع بها قطعا، ولأني بطبيعة مهنتي وهي قراءة وصرف الوصفات الطبية، فقد كنت خبيرا في فك الخطوط وان كانت مثل نبش الدجاج، فكنت أمليها وانأ أضغط علي أعصابي، حرفا فحرف : اكتبي يا ستي meningioma ام إى إن، إلى أخر الكلمة وأنا العن مرارا في سري ذلك الذي وافق

علي إلحاقها بهذه الوظيفة، وهي التي لا تفقه في اللغة الانجليزية كثيرا، وأتألم في الوقت نفسه لأولئك المؤهلين لتلك الوظيفة ويجيدونها إجادة تامة، والذين أطاحت بهم أيدي ذوي النفوذ والقربى والمعرفة بعيدا، وشعرت وقتها أني مهزوم تماما .ولله في خلقه شؤون.

فى بيتنا سوار الذهب

قبل اكثر من ثلاثين عاما، تحديدا فى الشهور الاولى من العام 1985 كان الشارع السوداني قد وصل إلى درجه كبيرة من الاحتقان والغليان ضد حكم "النميرى" الاستبدادى، وذلك لما وصلت اليه البلاد من تردى فى الأمن _خاصة فى جنوب السودان _ وانهيار فى الاقتصاد وانتشار الفساد والغلاء الطاحن الذى لم يتحمله المواطن السوداني البسيط. كان كل شيء متوقعا مثل أن يتم تغيير الطاغوت المستبد وإسقاطه بعملية انقلاب مسلح دموى أو دخول البلاد فى حرب أهلية طاحنه... باختصار شديد كان الوضع المحتقن يشابه كثيرا حالة الاحتقان الموجودة حاليا فى بعض الدول العربية والتى تطالب باجتثاث الفساد والمفسدين والتى خرجت فيها الاغلبية الساحقة، لتطالب بحقوقها وهتفت بمطالب واقعية ومشروعة تقف أمامها النظم الاستبدادية الطاغوتية.

كانت البلاد إذ ذاك على مقربة من حدوث تغيير، بعد أن امتدت المظاهرات الشعبية العفوية من وسط الخرطوم إلى الأحياء

السكنية واستمرت نهارا وليلا حتى الساعات الأولى من الصباح وبعد ان انضمت أكثر من ثلاثين نقابة عامة لدعوة العصيان المدني والإضراب السياسي العام .. وحقنا لدماء السودانيين، ولتحقيق إرادتهم الحرة، لم يكن أمام المشير "عبد الرحمن محمد الحسن سوار الذهب" القائد الأعلى للقوات المسلحة السودانية، إلا وان يحقق تطلعات جموع الشعب التواقة للحرية والعيش الكريم وفى ذلك يقول: بوصفي قائدا عاما للجيش السوداني قمت بجولة في وحدات القوات المسلحة : فرقة المدرعات ، وفرقة المظليين ، وفرقة المهندسين وكثير من هذه الوحدات قمت بجولة ميدانية إليها ، واستمعت إلي الجنود وإلي أراء الضباط، وجدت أنهم كانوا يجمعون علي أنه لم يعد للرئيس "نميري" أي نوع من الشعبية ليظل في الحكم ، فدعوت إلى اجتماع في القيادة العامة لكبار القادة العسكريين وتشاورنا في الأمر وكان يجمعنا أن الأمر اصبح الآن واضحا ، وحرصا علي السودان وحقنا لدماء شعبة فلابد للقوات المسلحة أن تأخذ جانب الشعب وتعلن نهاية حكم الرئيس "جعفر النميري" وعلي القوات المسلحة أن تتولي السلطة لفترة محدودة تجري خلالها انتخابات دستورية ثم تسلم السلطة إلي ممثلي الشعب وتعود بعد ذلك إلي

ثكناتها .وقد كان هذا بإجماع القادة العسكريين وما كان مني إلا أعلنت يوم 6 أبريل عبر التلفاز وعبر الراديو والإذاعات المسموعة والمقروءة أن القوات المسلحة تنحاز إلي جانب الشعب السوداني.

وعبر المرئيات والإذاعة استمع السودانيون البيان الأول :

لقد ظلت القوات المسلحة خلال الأيام الماضية تراقب الموقف الأمني المتردي في أنحاء الوطن ، وما وصل إليه من أزمة سياسية بالغة التعقيد ، إن قوات الشعب المسلحة حقنا للدماء وحفاظا على استقلال الوطن ووحدة أراضيه قررت بالإجماع أن تقف إلى جانب الشعب واختياره ، وأن تستجيب إلى رغبته في الاستيلاء على السلطة ونقلها الى الشعب عبر فترة انتقالية محددة ، وعليه فإن القيادة العامة تطلب من كل المواطنين الشرفاء الأحرار أن يتحلوا باليقظة والوعي وأن يفوتوا الفرصة على كل من تسول له نفسه اللعب بمقدرات هذه الأمة وقوتها وأمنها .

عن الإرادة المذهلة والإلهاء وأشياء أخرى

في السادس عشر من يوليو الماضي قرر رئيس الوزراء الإسرائيلي تركيب بوابات الكترونية وكاميرات مراقبة متطورة على مداخل المسجد الأقصى لإحكام سيطرة دولة الاحتلال على الوافدين للمسجد.

كان القرار ينفذ جزءا من الاستراتيجيات الموضوعة لديهم والتي تنشط فيها مؤسسات المجتمع المدني والمنظمات الدينية لتهويد مدينة القدس وطمس معالمها الإسلامية.

ويعمل الصهاينة على فرض الأمر الواقع على الفلسطينيين بأحقيتهم المزعومة في إقامة صلواتهم داخل المسجد، بل وبأحقيتهم في أرض المسجد نفسه وهي الاستراتيجية التي يكون في خاتمتها بناء هيكل سليمان بعد هدم المسجد كما تصور أدمغتهم المريضة.

وعندما قرر نتنياهو ذلك لم يكن يخطر بباله أنه ارتكب في الحقيقة غلطة عمره بل لم يخطر بباله أن تنقلب معادلة الصراع العربي الإسرائيلي وأن يرتد ذلك

السهم المسموم إليه، وبالفعل اصطدمت هذه السياسة الرعناء بالمشاعر المتفجرة للمصلين على اختلاف توجهاتهم وانتماءاتهم وفصائلهم، وواجهوا ذلك القرار بأجسادهم وأرواحهم وصاروا علي قلب رجل واحد.

ووصل الأمر إلى أن أجهزة الأمن أوصت نتنياهو في نهاية الأمر برفع كل الإجراءات التي تقيد حركة الدخول للأقصى لان الوضع في طريقه لانفلات كبير تصعب السيطرة عليه في الحقيقة.

لم يكن نتنياهو وهو يتخذ هذا القرار المذل والمهين للمصلين في الأقصى ولأمة المليار ونصف المليار مسلم، لم يكن يتخذ هذا القرار بمعزل عن تهم الفساد التي تلاحقه وهي من ثم محاولة منه لتحويل الانتباه وصرف الأنظار داخل الوسط الإسرائيلي، لأنه إذا تمكن في فرض الواقع الجديد بقراره الأخير ووفق الاستراتيجية الموضوعة فإنه يكون قد حقق بذلك رصيدا كبيرا ربما يزيد من شعبيته وبقائه في رأس السلطة ورغم أنها سياسة إلهاء وصرف أنظار إلا أنه الهاء يخدم في نهاية المطاف الدولة الإسرائيلية ذاتها ويتفق مع مصالحها وتوجهاتها الأيديولوجية.

كما يحقق جزءا من المراحل التصعيدية ببناء هيكل سليمان كما قدمنا وتلك

السياسة التي تخدم غرضين في وقت واحد تذكرنا بتلك الضربة اليتيمة التي وجهها "ترمب" لقاعدة الشعيرات العسكرية في سوريا في الشهور الماضية لأنه كان في حاجة لتغطية فضيحة تزوير الانتخابات الرئاسية، التي جاءت به للحكم وصرف الأنظار عنها وفي الوقت نفسه، والإيحاء لشعبه بجبروت الولايات المتحدة وتأديبها الفوري للمعتدين الذين قصفوا الأبرياء بالأسلحة الكيميائية، وهذا هو المعيار الذي يقيس به نتنياهو و "دونالد ترمب" مصالحهم ويدارون به سوءاتهم.

ورغم أن سياسة الإلهاء يتضح مفهومها ومقصدها في أخر الأمر لدي الأغلبية إلا أنها تنجح على الأرجح في خلق قاعدة ولو قليلة ممن تنطلي عليهم الخدع والمكر السيئ.

للأسف فان هذا الإلهاء يلجأ إليه بعض الجنرالات المستبدين في عالمنا العربي، إلا انه دائما يستهدف الدمار وموت الأبرياء من ذات الشعب، ومن ثم فإنهم يستقطبون هذه القلة القليلة كما أشرنا والتي تصدق التمثيليات المتقنة في محاولة لتحقيق موازنة ولو بصورة أقل بين مواطنيهم.

ومع ذلك فان هؤلاء الجنرالات عندما يسلكون مثل هذا المسلك القبيح فإن أول ما يستقر في الأذهان، هو تهاوي شعبيتهم إلى الحضيض وفشلهم المتكرر في نهوض الدولة.

ومع هذا فإن هذه الإرادة القوية الصلبة وهذا الصمود الذي أظهره المرابطون والفئة القليلة في أبواب الأقصى أمام قرارات نتنياهو، إنما هو مثال جيد لتحقيق النصر عندما تتحقق الإرادة وإخلاص الأعمال والنيات لرب العالمين.

هذه الإرادة القوية المذهلة للمرابطين من جهة أخري إنما كانت تعلن بوضوح أنها تتبرأ تماما من حكومات الخذلان والخزي والعار والعمالة.

إنه ليوم خالد في تاريخ أمتنا الإسلامية الذي سجل فيه المرابطون المقدسيون أروع صور الفداء، لأن إرادتهم واحدة وكلمتهم واحدة وشهادتهم واحدة.

هذه النهاية الموجعة

يمثل الأدب العربي (تحديدا الشعر) بالنسبة لي وربما للكثيرين، دوحة ظليلة اهرب إليها كلما عافت نفسي السياسة وكآبتها، ونفاق الحكام، ومنظر الحروب والدماء. القصيدة التي سأهرب إليها (إن صح هذا التعبير) هي للمجنون "قيس بن ذريح" وهي من عيون الشعر العربي التي بكى فيها لبناه امر البكاء، غير أننا في الحقيقة لسنا بناجين من الكآبة التي هربنا منها، لأن قيسا يذكرها في أبياته:

ماتت لبيني فموتها موتي

هل تنفعن حسرة على الفوت

وسوف أبكي بكاء مكتئب

قضى حياة وجدا على ميت

المجنون هو "قيس بن ذريح بن الحباب "وامه "بنت سنة بن الذاهل بن عامر الخزاعي" ولبنى هي "لبنى بنت الحباب الكعبية".. يقول رواة الأخبار أن "قيس" ذهب إلى خيام بني كعب بن خزاعة لحاجة له، وكان من الأقدار أن يقف على خيمة

"لبنى بنت الحباب". فاستسقى الماء منها. ويا لها من "لبنى"، كانت طويلة القامة، شهلاء العيون، حلوة المنظر والمنطق.

وكان من أخلاقها الكريمة أن رحبت به وقالت له: أتنزل فتتبرد عندنا؟ قال: نعم. فنزل بهم. وجاء أبوها فنحر له وأكرمه. وقعت "لبنى" في نفسه وعزم الزواج منها، فانصرف إلى أبيه وأعلمه حاله وسأله أن يزوجه إياها، إلا أن أباه "ذريح" رفض ذلك الزواج. ثم انه أتى أمه فشكا ذلك إليها واستعان بها على أبيه، فلم يجد منها مطاوعة ونصرة.

وإذا علمنا أن باقي هذه القصة التي بدأت بالرفض وعدم قبول "لبنى بنت الحباب" زوجا مصونا لقيس، إذا علمنا من الرواة أن "الحسين بن على" رضي الله عنه و"ابن أبي عتيق" تدخلا وتوسطا لإكمال هذا الزواج، وان أبو لبنى قال: يأبن رسول الله، ما كنا لنعصي لك أمرا وما بنا عن الفتى رغبة. وان أبو "قيس" قال للحسين رضي الله عنه: السمع والطاعة لأمرك. فلنا أن نتخيل ونتصور أي سعادة وهناء كبيرين حازهما "قيس بن ذريح".

وأقامت "لبنى" معه مده وطابت لهما الحياة لا ينكر أحد من صاحبه شيئا، لكن لم تدم لهما السعادة طويلا فقد مرض "قيس"

مرضا شديدا ولما برأ من علته قال له "ذريح": يا "قيس"، إنك اعتللت هذه العلة فخفت عليك ولا ولد لك ولا لي سواك. وهذه المرأة ليست بولود، فتزوج إحدى بنات عمك لعل الله أن يهب لك ولدا تقر به عينك وأعيننا.

فقال "قيس": لست متزوجا غيرها أبدا. فقال له أبوه: فإن في مالي سعة فتسر بالإماء. قال: ولا أسوءها بشيء أبدا والله

قال أبوه: فإني أقسم عليك إلا طلقتها. فأبى وقال: الموت والله على أسهل من ذلك

واقترح "قيس" لوالده أمام هذه المصيبة التي أحاطت به ولم يتوقعها أبدا، والتي تعني إن هو أطاع أباه فقد دمر سعادته بيديه، اقترح ثلاثة حلول قال: تتزوج أنت فلعل الله أن يرزقك ولدا غيري. قال: فما في فضلة لذلك. قال: فدعني أرتحل عنك بأهلي واصنع ما كنت صانعا لو مت في علتي هذه. قال: ولا هذه. قال: فأدع "لبنى" عندك وارتحل عنك فلعلي أسلوها، فإني ما أحب بعد أن تكون نفسي طيبة أنها في خيالي قال: لا أرضى

كان النزاع على اشده بينه وبين أبيه، حتى روى الرواة أن "ذريح" من عزمه وإصراره على رأيه وقراره (مع أن العقلاء

أو الحكماء أو أيا من تطرح أمامه هذه القضية، فانه لا يسعى إلى هدم البيوت وخرابها بمثل ما سعى "ذريح "،وأن يقضي على قلبين تعلقا ببعضهما تعلقا شديدا) كان يقف في حر الشمس ويذهب اليه "قيس" ليظلله بيديه وهذا من واجبه وبره وإحسانه ويدخل إلى "لبنى" فيعانقها وتعانقه ويبكي وتبكي معه وهذا أيضا من حسن معاملته وواجبه، كان عليه أن يعامل ويرضي جميع أهله وأحبابه، وإن جثمه ذلك الجهد والطاقة، وان جثمه الضغط على مشاعره التي تفرض عليه متناقضات عديدة في وقت واحد. كانت "لبنى" تقول له: يا "قيس" لا تطع أباك فتهلك وتهلكني. فيقول: ما كنت لأطيع أحدا فيك أبدا. ويقال: أنه أقام على ذلك أربعين يوما، ثم طلقها ولحقه الجنون.

يقول "قيس بن ذريح":

إذا خدرت رجلي تذكرت من لها

فناديت لبني باسمها ودعوت

دعوت التي لو أن نفسي تطيعني

لفارقتها من حبها وقضيت

برت نبلها للصيد لبنى وريشت

وريشت أخرى مثلها وبريت

فلما رمتني أقصدتني بسهمها
وأخطأتها بالسهم حين رميت
وفارقت لبنى ضلة فكأنني
قرنت إلى العيوق ثم هويت
فيا ليت أني مت قبل فراقها
وهل ترجعن فوت القضية ليت
فصرت وشيخي كالذي عثرت به
غداة الوغى بين العداة كميت
فقامت ولم تضرر هناك سوية
وفارسها تحت السنابك ميت
فإن يك تهيامي بلبني غواية
فقد يا ذريح بن الحباب غويت
فلا أنت ما أملت في رأيته
ولا أنا لبنى والحياة حويت
فوطن لهلكي منك نفسا فإنني
كأنك بي قد يا ذريح قضيت

والقصة على كمية الألم والحسرة التي بها، والتي كانت نهايتها أن فقد قيس الحياة بفقده لبنى، وفقد الدنيا بفقده عقله،

تركت لنا أبياتا مملوءة صدقا لا كذب فيها مثل سائر الشعر، وجعلتنا معهم نحس الكآبة ونشاهد هذه النهاية الموجعة.

عن الشورى وقوة الرأي

الشورى هي طلب الرأي من الآخر أو الآخرين في أمر لا يستطيع فيه الفرد اتخاذ القرار جملة واحدة، ولا يبلغ درجة الاطمئنان والسكينة فيه إلا بمشاركة الآخرين، وهي بهذا الاعتبار قيمة أساسية من جملة القيم التي على أساسها يتم التحكم في الصراع بدرجة عالية، وتوجه القوة فيه توجيها سليما ، والله تعالى يقول: (وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) [آل عمران:159].

ذكر "ابن عبد البر "في (اختصار المغازي والسير): نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أدنى ماء من مياه بدر إلى المدينة، فاشار عليه الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح بغير ذلك، وقال لرسول الله: أرأيت هذا المنزل أمنزل انزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه، أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟ فقال عليه السلام: " بل هو الرأى والحرب والمكيدة" فقال :يا رسول الله أن هذا ليس بمنزل، فانهض بنا حتى ناتي أدنى ماء من القوم فننزله ونغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء فنشرب ولا يشربون،

فاستحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك من رأيه.1

وذكر "ابن كثير" القصة في كتاب (البداية والنهاية) قال: قال ابن إسحاق:

فحدثت عن رجال من بني سلمة أنهم ذكروا، أن الحباب بن منذر بن الجموح قال يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: " بل هو الرأي والحرب والمكيدة ". قال: يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل، فأمض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد أشرت بالرأي".2

إن المنزل الذي حدده الصحابي" الحباب بن المنذر" رضى الله عنه، الذي هو أدني وأقرب ماء من معسكر المشركين يمثل رأيا فرديا يصب (تبعا لتقديره) في مصلحة الجماعة، وقد تأكد صحة هذا التقدير والرأي بعد أن رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولاحقا بعد انقضاء الحرب.

هذا الرأي لم يكتمه الصحابي" الحباب بن المنذر" رضي الله عنه لأن مصلحة الفرد هي عين مصلحة الجماعة، ومصلحة الجماعة هي ذاتها مصلحة الفرد، وأهداف الفرد هي أهداف الجماعة، وأهداف الجماعة هي ذاتها أهداف الفرد، إنه تمازج الكل في الواحد والواحد في الكل، وتفكير وتخطيط الواحد، هو تفكير وتخطيط الكل، إنها إرادة واحدة وثابتة، لا متعددة ومتباينة.

والرأي الذي أشار به" الحباب بن المنذر" وقبول النبي صلى الله عليه وسلم به، يوضح أهمية الشورى، وكان هذا الرأي عاملا مهما في انتصار المسلمين، وهي قوة سخرها الله للصحابي "الحباب بن المنذر".

ولنا في هذه القصة جملة من الفوائد أو بالأحرى الدروس والمبادئ، التي يقرها رسول الهدى صلى الله عليه وسلم:

1_ أن الصحابي "الحباب بن المنذر" أشار بالرأي باعتباره فرد من الأمة والجيش الإسلامي المجاهد ، ويهمه ما يهمه. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "المسلمون تتكافا دماؤهم، ويسعي بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم." 3

2_لم تكن اعتبارات صغر سن الصحابي "الحباب بن المنذر"، لتمنعه من إبداء الرأي.

3_أنه لم يكتم رأيا يتوقع فيه أن يكون سببا في النصر، وإلحاق الهزيمة بالعدو.

4_الإحساس الكبير بالمسؤولية، والانتماء للدين والدعوة.

5_لم تكن أخلاق وسلوك جيش الإسلام فوضوية، كأن تتم المشاورات ووضع الخطط دون الرجوع إلى قائد الجيش، بل على العكس من ذلك تماما فإن إبداء الصحابي لرايه، تمثل قمة الانضباط والربط.

6_يمثل رأى الصحابي "الحباب بن المنذر" قوة سخرها الله له.

7_قبول النبي محمد صلى الله عليه وسلم لرأى" الحباب بن المنذر"، يعني إشراكه صلى الله عليه وسلم لكافة أفراد الجيش في صنع القرار.

8_يمثل قبول قائد الجيش لرأى أحد من أفراد جنده، دفعة معنوية عالية لذلك الفرد، بل لكل أفراد الجيش.

9_قبول قائد الجيش مبدأ الشورى والأخذ به، هي أبلغ دلالة على وجود المبادئ الإسلامية السامية، مثل مبدأ المساواة

والعدل، والإنصاف والتكامل، والتكافل بين الجميع.

10_يمثل قبول قائد الجيش محمد صلى الله عليه وسلم لرأى الصحابي "الحباب بن المنذر"، إشراك كافة أفراد الصف الإسلامي في القرار، وتحمل المسؤولية.

11_يمثل إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لرأى الصحابي "الحباب بن المنذر"، محصلة بينة للتفكير الجماعي، والمشاركة والوصول للقرار السليم.

12_الإتحاد والوحدة في جسد الأمة الواحد.

13_يمثل إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لرأى الصحابي "الحباب بن المنذر" تقديرا من القائد الأعلى للجيش، لكافة أفراد الصف الإسلامي، ومساواتهم في الحقوق والواجبات.

14 _يمثل إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لرأى الصحابي "الحباب بن المنذر"، تطبيقا فعليا لقيمة الشورى في الميدان.

15 _الرأي يؤخذ من الصغير مثلما يقبل من الكبير، سواء بسواء.

16_ توفيق الله سبحانه وتعالى وهدايته الصحابي "الحباب بن المنذر" الرأي السليم.

17_ قوة الرأي هي من الأدوات المكملة والمتممة لجاهزية الجيش الإسلامي.

18_ محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين. قال الله جل وعز (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) [التوبة:128]

19_ تعديل خطط الحرب وفق ما تقتضيه الضرورة، هو من صفات القادة العظماء. وأفضل وأعظم قائد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

20_ أدب وخشية الصحابي "الحباب بن المنذر" في خطابه، (أرأيت هذا المنزل أمنزل انزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه أو نتاخر عنه، أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟)

المصادر:

1_ابن عبد البر، تحقيق شوقي ضيف، الدرر في اختصار المغازي والسير، (القاهرة: مؤسسة دار التحرير للطباعة والنشر، ط.1966، 1)، ص113.

2_أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، الجزء الثالث، (بيروت: مكتبة المعارف،ط.1، 1991)، ص.267

3_محمد ناصر الدين الألباني، إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل، الجزء السابع، (بيروت: المكتب الإسلامي ،ط.9791، 1)، ص562.

يا لها حقا من مشابهة !!

من الناس من يحبون الأدب بكافة ضروبه وأشكاله، ومن الناس أيضا من يحبون الأدب ولكن يتميزون مع هذا باهتمامهم بإقامة صالونات ومجالس ومنتديات، يتم فيها مناقشة الأعمال الأدبية ونقدها وتحليلها، ويقفون علي مواقع الإمتاع فيها، وربما يستضيفون كتابا وأدباء ممن أثروا الحياة الأدبية بفكرهم وإنتاجهم، "مشاعر شريف سعيد "واحدة من هولاء الذين يتميزون بذلك، واحسب أن اهتمام سيادتها وحبها للأدب، خاصة الأدب الروائي كان واضحا في تكثيف كل جهدها في إنشاء النادي السوداني للكتاب، وربما يكون ذلك النادي هو الوحيد في السودان الذي يجتمع أعضاؤه شهريا لدراسة وتذوق الأدب الروائي، بمختلف مدارسه واتجاهاته علي مدي ستة أعوام !! وكأن" مشاعر" تحاول هي ومن معها ممن يهتمون ذات الاهتمام أن تؤكد تلك المقولة الخالدة التي تقول: أن القاهرة تكتب وبيروت تطبع والخرطوم تقرأ..، والحق يقال أن النادي السوداني للكتاب

اكتسب مكانة عظيمة علي مدى الستة أعوام وقدمت سيادتها نموذجا جيدا ومثالا بديعا، يجتمع فيه عشاق ومحبو الأدب، لتحليل ومناقشة الروايات من جهات متعددة سودانية ومغربية وإنجليزيه وأرجنتينية وسنغالية وغيرها .

ولم يقدر لي أن التقي ب"مشاعر شريف" إلا في تلك الأمسية من الأسبوع الماضي، التي استضافت فيها سيادتها الكاتب الروائي "إبراهيم اسحق" رئيس الاتحاد العام للأدباء و الكتاب السودانيين الأسبق، والتي تمت فيها مناقشة روايته العظيمة (وبال في كلميندو) التي لم يقدر لي (لسوء حظي) قراءتها بعد (ربما يكون السبب الظاهر في ذلك هو تعودي علي القراءة بصيغة أل بي دي إف، والرواية لم ترفع للشبكة العنكبوتية بها)ورغم أني لم يقدر لي ذلك، إلا أنني وجدت نفسي مستحضرا روايته الأولي بقوة وهى رواية (حدث في القرية)، واذكر أني التهمت فصولها بشغف منذ أمد بعيد، والتي لا أزال اذكر تفاصيلها وسردها الشيق، وتلك اللغة الحوارية الرائعة بلهجة أهلنا في الأرياف بغرب السودان، ومن المفارقات أن رواية (حدث في القرية) التي صدرت طبعتها الأولى في عام 1969 ووجدت قبولا واسعا من جمهور القراء إذ ذاك، ورفضا قليلا من آخرين

للغة الحوارية بعامية أهلنا في غرب السودان، من المفارقات أنها وجدت منتدى اجتمع فيه المؤيدون للغة الحوارية العامية التي استخدمها الكاتب في ثنايا الرواية والرافضون على السواء، وهو منزل "عبد الله حامد الأمين"، والذي كان منبرا حرا لعرض الأراء المرحبة والناقدة للرواية المثيرة للجدل وقتها، وهي الأجواء التي ساعدت" إبراهيم اسحق" على المضي قدما في رواياته، والتي قال الروائي العالمي "الطيب صالح" بحقها ("إبراهيم اسحق" كاتب كبير حقا، رغم انه لم يعرف بعد على نطاق واسع، وقد اكتسب سمعته الأدبية بعدد قليل من الروايات الجميلة مثل روايته (حدث في القرية) و(مهرجان المدرسة القديمة)، و(حكاية البنت مايكايا)، وهي روايات قدمت لأول مرة في الأدب السوداني صورا فنية بديعة للبيئة في غرب السودان، وهو عالم يكاد يكون مجهولا لأهل الوسط والشمال) ويالها حقا من مشابهة مدهشة بين منزل "عبد الله حامد الأمين" الذي استضاف إبراهيم اسحق ومؤيديه ورافضيه في تلك الأيام، والنادي السوداني للكتاب بقيادة الأستاذة "مشاعر" الذي استضافت فيه الكاتب القامة لمناقشة وتحليل روايته العظيمة (وبال في كلميندو) !! التي أمتعت كل الجمع الكريم

في تلك الأمسية، مثلما فعلت روايته الأولي (حدث في القرية) في نفوس معارضيه ومؤيديه في ذلك الزمن البعيد !!.

"مايكل فلين"، "كومي" : في إدارة "ترامب" الطيور علي أشكالها تقع !

أثارت إقالة الرئيس الأمريكي دونالد "ترامب" الخميس الماضي، مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي الاف بي آي "جيمس كومي" من منصبه (وهو المنصب الذي يفترض أن يبقي "جيمس كومي" في إدارته لمدة عشر سنوات بعد أن عينه الرئيس السابق "باراك اوباما" في الرابع من سبتمبر 2013) ..أثارت إقالته عديدا من التساؤلات عن مدي نزاهة أو فيما يفترض من نزاهة العملية الانتخابية الرئاسية الأخيرة، التي كان "جيمس كومي" فتح ملفا للتحقيق فيها، يشير باتهام وتورط روسيا في التخطيط للتأثير علي العملية الانتخابية، بما يضمن هزيمة "هيلاري كلينتون" الديمقراطية وفوز "ترامب" الجمهوري، وألقت إقالة "كومي" في الوقت نفسه مزيدا من الشك وعدم اليقين في مصداقية "ترامب"، ومزيدا من الظن السيئ في الدور الذي تقوم به روسيا تجاه الولايات المتحدة .

ومع هذا فان نفي" ترامب" لوقائع القرصنة الروسية الالكترونية، والتي تمكنت فيها روسيا من اختراق البريد الالكتروني ل"كلينتون" وقائد حملتها الانتخابية "بوديستا"، وزعمه أن القضية غير صحيحة لأنه لو كان ذلك، فلم لم يفصحوا بشيء إلا بعد هزيمة" كلينتون" ..مع هذا بات نفيه في كفة وتأكيد العمل التخريبي السيبراني من وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية السي آي ايه، ومكتب التحقيقات الفيدرالي الاف بي آي في كفة .

الروس من جانبهم بادلوا اتهامات مكتب التحقيقات الفيدرالي بالتهكم والسخرية، ففي الوقت الذي وصفت فيه "هيلاري كلينتون" الخاسرة في الانتخابات الرئاسية التي أجريت في الثامن من نوفمبر الماضي، بسبب القرصنة الروسية، في الوقت الذي وصفت فيه بان ما حدث ليس هجوما علي شخصها، وعلي حملتها فحسب بل هو هجوم علي بلدها، وان الأمر يتجاوز السياسة ويتعلق بالديمقراطية وامن الولايات المتحدة ، فان "ديمتري بيسكوف" المتحدث باسم الكرملين، قال انه في هذه المرحلة بات علي الأمريكيين أما التوقف عن التطرق إلي هذا الموضوع أو تقديم أدلة، وإلا فهذا يفوق الوقاحة، ولا احد يدري عن أي وقاحة يتهكم !! .

من ناحية أخري، فان مستشار الأمن السابق "مايكل فلين" المعروف بعدائه للإسلام والمسلمين، والذي عينه "ترامب" مستشارا للأمن القومي قدم نصائح في اتصال هاتفي مع السفير الروسي، ألا تقوم روسيا بإبداء أي رد فعل نحو العقوبات الاقتصادية التي سيقوم بها "أوباما" تجاه روسيا، إلا انه نفي أن يكون قد قال ذلك بعد ما واجهته الاستخبارات المركزية الأمريكية، التي تنصتت علي مكالمته، وبعد اقل من شهر قدم فلين استقالته، فيما يؤكد اتصالاته المشبوهة مع الروس.

الضربات الصاروخية التي وجهها "ترامب "لسوريا (قاعدة الشعيرات) تؤكد من وجهة نظر مؤيدي "ترامب" ، عدم وجود علاقة له بروسيا وهي حجة واهية فيما أري، يدافعون بها عنه، لان الناس يقتنعون اشد اقتناع بالتفسير الذي يفيد أن قصف الشعيرات لم يهدف به "ترامب" إلا الإلهاء، وخلق مظهر قوي للولايات المتحدة أمام حلفائها،، وإبعاد أذهان الناس عن تورطه مع روسيا وبوتين، بدليل عدم تكرار تلك الضربة اليتيمة.

التخطيط الروسي الالكتروني الظاهر، لتزييف العملية الانتخابية الرئاسية لمساندة "ترامب"، يعكس ضعفا واضحا في

المؤسسة الأمريكية وسهولة اختراق الأنظمة الأمريكية، لتزييف إرادة الناخب الأمريكي، ويوضح زيف العملية الانتخابية الرئاسية تواطؤ الرئيس وجنرالات في الحكومة الأمريكية مع "فلاديمير بوتين".

مهما يكن من شيء، فانه لا يمكن تفسير أي قرار أمريكي، أو تصرف من المؤسسة الأمريكية في المنطقة، بمعزل من القرار الروسي، الذي تدخل مبكرا في صنع القرار الأمريكي، وانه لا يمكن تفسير أي تصرف من المؤسسة الأمريكية أو القرار الأمريكي باعتباره قرارا أمريكيا صرفا إلا في حالة واحدة، وهي عزل الرئيس" ترامب" .

عن "رزان النجار" التي اعرفها

بالرغم من ابتعاد النخب العربية الحاكمة عن القضية الفلسطينية ،وسعي البعض منهم إلي إسرائيل فيما هو مشاهد، مثل قيام سفير دولة الإمارات لدي الولايات المتحدة، بدعوة رئيس الوزراء الإسرائيلي علانية إلي مائدته في العاصمة الأمريكية !وفي مشهد آخر لا يقل عن الأول خزيا ومهانة، حضر ممثلو وسفراء مصر والإمارات والبحرين الاحتفال الذي دعا إليه السفير الإسرائيلي في القاهرة، بالذكري السبعين لقيام إسرائيل، بالرغم من ذلك فإن المشهد الفدائي الذي قدمته الشهيدة "رزان النجار" رحمها الله، يوم الجمعة الماضي الأول من يونيو/حزيران 2018 في خان يونس، في فعاليات مسيرة العودة الكبرى إلي الأرض، والتي صوب رصاصات الغدر والخسة نحوها الجنود الإسرائيليون بدعاوي حق إسرائيل في الدفاع عن النفس، فإن ذلك يقدم رسالة واضحة للغزاة ولأذنابهم ومن لف لفهم، أن القضية الفلسطينية والأقصى هي قضية باقية إلي أن يتم التحرير الكامل.

ومع هذا فإن مسيرة العودة، التي دفعت "رزان النجار" المسعفة الفلسطينية حياتها ثمنا لها، والتي سالت دماء "عز الدين التميمي" وغيرهم العشرات، فداء وشهادة في سبيلها، من المتوقع أن تحقق إيجابيات كبيرة لعدة أسباب، منها أنها اختارت توقيتا مناسبا لانطلاقها، لأن القوة التي تعتمد عليها إسرائيل، وهي الولايات المتحدة والتي تحتمي خلفها، تمر الآن بحالة ضعف واضح خلافا لما هو عليه في السابق، وبالتالي فان الكيان الغاصب هو الآن في اضعف حالاته، ودلالة ذلك الضعف هو التمايز بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوربي بعد انسحاب الولايات المتحدة الأحادي من الاتفاق النووي مع إيران، وهو تمايز وخلاف مرشح للتصاعد، وهذا الضعف هو الذي ينبغي علي الطرف الآخر أن يستفيد منه فائدة كبيرة.

من ناحية ثانية، فإن هذا التوقيت من شأنه أن يقطع الطريق أمام الخطوات المتلاحقة، لتمرير صفقة القرن المزمعة (تحاول الولايات المتحدة إنشاء حلف يتكون من إسرائيل وبعض دول التطبيع العربية، لمواجهة الخطر الإيراني المحدق والمتنامي، ومن ثم تبدءا خطوات صفقة القرن التي يتولونها لتصفية فلسطين)

ما يؤكد أيضا أن إيجابيات كبيرة ربما ستتحقق، خاصة إذا انضم لهذه المسيرة، مسيرات مماثلة من الضفة الغربية والقدس، والأردن ولبنان وسورية ومصر فيما هو مفترض، هو أن قوة الزحف الجماهيري المزلزلة، التي حققت انتصارا علي إسرائيل في حادثة تركيب البوابات الالكترونية علي مداخل المسجد الأقصى، وهو القرار الذي كان ينفذ جزءا من الاستراتيجيات اليهودية لتهويد القدس والذي أذعنت أجهزة الأمن في آخر الأمر! لإلغائه، ووقف تلك الإجراءات لان الوضع في طريقه لانفلات كبير تصعب السيطرة عليه، هذه القوة المزلزلة أو بالأحرى المدمرة، التي أطاحت بكثير من العروش، هي نفسها القوة التي ترتعب منها إسرائيل اليوم، لأنها ستفرض بأسواء الأحوال لديها، إما عودة ملف القضية لاهتمام الرأي العام العالمي، أو يضع إسرائيل في الأضواء بصفتها مجرم حرب وقاتل، إذا هي لجأت للنيران.

وقبل أن أفارق المقال، فإنني أود أن أشير إلي حديث الشيخ "احمد ياسين" رحمه الله، في عام 1998 خلال لقاء تلفزيوني مع قناة الجزيرة، فإنه تحدث حينذاك عن رؤيته لمستقبل دولة إسرائيل فقال: (إن إسرائيل قامت علي الظلم والاغتصاب، وكل

كيان يقوم علي الظلم والاغتصاب مصيره الدمار، وأن القوة في العالم كله لا تدوم لأحد ..الإنسان يولد طفلا ثم مراهقا، ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا، وهكذا الدول تولد وتكبر ثم تتوجه للاندثار، والقرآن حدثنا أن الأجيال تتغير كل أربعين عاما، في الأربعين الأولي كان عندنا نكبة، وفي الأربعين الثانية أصبح عندنا انتفاضة ومواجهة وتحد وقتال وقنابل، وفي الأربعين الثالثة تكون النهاية).

رحم الله الشهيد "احمد ياسين" ورحم الله الشهيدة المسعفة "رزان النجار"، وكل الشهداء الذين ضحوا بدمائهم نصرة للقضية.

أخلاق القادة.. ملائكة وشياطين

تعد الولاية أو الرئاسة أو القيادة أو حتى الاضطلاع بتولي وتدبير شؤون امر اثنين، عند البعض وربما عند جماعات كثيرة ،سببا من أسباب تحول أخلاق الفرد أو القائد أو الحاكم، من أخلاق فاضلة ومحمودة، إلى أخرى سيئة ومذمومة وناقصة، وبالرغم من صحة هذا الافتراض أو الادعاء في تقدير الكثيرين ومنهم أبو "الحسن الماوردي" الذي أشار إلى هذه الفرضية في (أدب الدنيا والدين)، حيث ذكر "الماوردي" الولاية في مقدمة الأسباب التي ربما تغير من أخلاق الفرد، إما من لؤم طبع وإما من ضيق صدر، وذكر منها العزل لأنه يسوء منه الخلق ويضيق به الصدر، إما لشدة الأسف أو لقلة الصبر، ومنها الهموم فإنها اذا اجتمعت تذهل اللب والعقل وتشغل القلب، وتكون سببا في تغير الأخلاق، وذكر "الماوردي" الفقر أيضا من أسباب تغير الخلق، فقد يتغير به الخلق إما انفا من ذل الاستكانة أو حسرة علي الغني الفائت، بالرغم من صحة هذا الادعاء والافتراض والذي يؤكده الواقع ويؤكده التاريخ أيضا دون أن نشخص زعيما دمويا

أو قائدا ربانيا ، إلا انه من ناحية ثانية ربما تكون الولاية أو الرئاسة أو القيادة ذاتها ، سببا رئيسا في تحول أخلاق الفرد إلى أخلاق فاضلة ورفيعة ، أو زيادة درجات الأخلاق والفضيلة ، وهو أيضا امر يؤكده الواقع والتاريخ .

الواقع أننا أمام صنفين من القادة لا ثالث بينهم ، إما قائد وحاكم ذو خلق رفيع ، وآخر ذو خلق وضيع ، أو قائد ملائكي وآخر يتشبه بأخلاق الشيطان.

استخدام القائد أو السلطان للقوة أو السلطة ينبغي أن تحده عدة قيود وضوابط أخلاقية (مع أن الضوابط الأخلاقية هي من الأساسيات الهامة ، بل من اهم القيم والآداب التي ينبغي أن يراعيها أو ينميها ويتخلق بها الفرد ما استطاع، وتكون في كل سكناته وفي كل طبع من طبائعه وفي كل سلوك يقوم به ، وليس فقط استخدامه للقوة أو استخدامه للسلطة) هذه الضوابط من شانها أن تكون كابحا له ، من أي محاولة جنوح للاستبداد أو الظلم أو الطغيان أو أي فعل أثيم ، كما هو مفترض ومتوقع من الخلق القويم ،وما تحض عليه أحكام الدين الحنيف ، الذي يدعو لمكارم الأخلاق وينهى عن سفسافها ، لان الاستبداد والظلم والطغيان هي صفات الأخلاق الناقصة

والذميمة ،إلا أن اكتساب القوة بأشكالها المتعددة والمتنوعة واستخدام الوحدات السياسية لهذه القوة ،يتم وفق مقاييس ومعايير انتقائية ومجانبة للأخلاقيات والضمير ،بصورة مفزعة ومؤلمة في المجتمع الدولي الذي تسير فيه الوحدات السياسية (معظمها إن لم يكن كلها) وفق قواعد البقاء للأقوى، وحيث تكون المصلحة والمنفعة.

صحيح أن الأخلاقيات هي حقيقة نسبية، وتختلف باختلاف البيئات والحضارات، إلا أنها على اختلاف منابعها وفي مجموعها، تشكل وتكون قيم المجتمع الدولي، وباعتبار أن الأخلاق هي الطبائع والسجايا المتكونة في دواخل كل فرد، وتحثه على أعمال الخير وتنهاه وتردعه في الوقت ذاته عن أعمال الشر، فإن القانون الأخلاقي بهذا الاعتبار في نفوس كل البشر، هو رابط يربط بينهم جميعا، وعلى أساسه يمدحون إن هم فعلوا الخير، أو يذمون ويجرمون إن هم اجترحوا الشر.

ووفقا لاتجاهات الدول في تقديرها للمعايير والضوابط الأخلاقية، فان البعض ينكر هذه المعايير والضوابط ! ويرى أن الواقع لا الأخلاق هو ما يوجب النظر فقط إلى المصالح، سواء كانت مصالح آنية، أو

بعيدة المدى في استراتيجيات الدولة، وهي بهذا الاتجاه تحلل نفسها من أي التزام أخلاقي، من الممكن أن يكون عائقا وقيدا (كما تعتقد) على حرية الدولة والسلطان، في اكتساب هذه المصالح. والبعض الآخر لا يراها عوائقا وقيودا، بل يعترف بوجود الأخلاقيات الدولية، فيرفض الحرب العدوانية الظالمة، ويرفض التدخل في شؤون الدول الأخرى، ويحترم الحقوق الإنسانية، أما الفريق الأخير فهو يرى أن الأخلاقيات إنما هي مجرد امتدادات للأخلاقيات الفردية، وعليه فان الشخصية الإنسانية في تصور هذا الفريق، هي الأصل الذي تتمركز حوله كل هذه القيم، ومن ثم فان النفس الإنسانية هي التي تبلورها وتؤثر فيها وتتأثر بها.

مع هذا فإن الأصل في الأخلاق والطبائع، هي طبيعة النفس الإنسانية الفاضلة، المبرأة من النقائص والرذائل، إن تحكيم العقل وتغليبه على الشهوات والارتفاع عنها هو ما يجعل الفرد شبيها للملائكة، وتغليب الشهوات على العقل يرجع الفرد إلى درجات الحيوانية أو دونها.

التغير الذي يطرا في أخلاق القائد أو الحاكم أو السلطان، أو أي فرد، يكون نتيجة المؤثرات والمتغيرات المتصلة به

ولهذا قال الخليفة الراشد أبو بكر رضي الله عنه في خطبته (وهذا من حسن أخلاقه وتواضعه):

" أما بعد أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى أزيح علته إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا يشيع قوم قط الفاحشة إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم " .

اكثر من ذلك فإن مجموعات المنافقين والمرائين، أو جماعات الضغط والمصالح، أو حتى المغرضين والحاقدين وذوي النفوس المريضة (وهي نفوس وأرواح لا يهدأ لها بال وتستقيم لها طريقة حتى يكون كل البشر غارقون في الخطيئة والشر) الذين يلبسون ثياب الفضيلة ويخفون جلد الشيطان، ولا يهتمون إلا بذواتهم وتحقيق رغباتهم الشخصية وتحقيق أهدافهم وربما أهداف جهات خارجية، تأثيرهم المضلل من شأنه أن يحول الفرد من فضائل الخير إلى ظلمات الشر ومن العدل إلى نقائص الظلم،

ومن فضيلة الصدق والبر إلى نقائص الكذب والفجور، حتى يكتب عند الله كذابا.

السيدة "نيمراتا راندوا" تتحدث

السيدة" نيمراتا راندوا" أو "نكي هالي"، تخصصت في الحسابات وعملت محاسبة وسيدة أعمال، ثم أصبحت حاكمة لولاية كارولينا الجنوبية لدورتين متتاليتين، هي الآن سفير الولايات المتحدة الأمريكية في الأمم المتحدة .

ذكرت" نيمراتا " وهذا هو اسمها الحقيقي ،(هي ابنة لأبوين من المهاجرين الهنود السيخ)ذكرت في تصريحاتها الأخيرة المستفزة والمستوجبة للغضب، قبل أن تصوت أكثر من مائة وعشرين دولة في الجمعية العامة للأمم المتحدة لصالح قرار يدعو الولايات المتحدة إلي سحب اعترافها بالقدس عاصمة لإسرائيل، ورفض أي ممارسات تمس الوضع التاريخي للمدينة المحتلة، ذكرت أن الولايات المتحدة لن تتراجع عن قرار نقل السفارة إلي القدس مهما كانت نتائج التصويت علي مشروع القرار، لان الشعب الأمريكي يريد ذلك ولأنه أيضا القرار الصائب!، وعندما يتخذ قرار بخصوص أين تكون موقع سفارتهم فانه لا ينبغي أن يتوقع من هؤلاء الذين قدموا لهم المساعدة أن يستهدفوهم، وأضافت انه سيكون هناك تصويت في الجمعية العامة ينتقد اختيارهم

والولايات المتحدة ستقوم بتدوين أسماء الدول!

منذ اللحظة الأولي نشعر أننا أمام سيدة إما مختلة العقل وإما أنها مدفوعة لقول هذه التصريحات !، وعلي الأرجح أنهما الاثنين معا، صحيح أن الولايات المتحدة وإسرائيل لديهما المقدرة العسكرية المتطورة والمتفوقة علي هذه الدول التي صوتت بإجماع كبير ضد اعلان "ترامب" ،لكن هذا لا ينبغي أن يكون هذا هو المعيار والمقياس الذي تستخدمه لاحتلال أراضي الغير،وان تجزم السيدة "نيمراتا " أن قرار "ترامب" بإعلان القدس عاصمة لإسرائيل هو القرار الصائب، وان تتحدي مشاعر ما يقرب من المليار ونصف مسلم !، أما أن تهدد صراحة أن الولايات المتحدة ستقوم بتدوين أسماء الدول التي ستصوت لصالح القرار، فهذه سابقة خطيرة أظن أنها المرة الأولي التي تحدث علي مستوي العلاقات بين الدول، وهو ما يعطي انطباعا كما لو أنها معلمة في فصل ممتلئ بالتلاميذ المشاغبين!

وهي من ناحية ثانية تنتقص من كرامة هذه الدول انتقاصا واضحا، لأنها تستخدم التهديد والوعيد وسؤ الأدب، وتتحدي الدول الأعضاء بأنه مهما كانت نتائج التصويت

فان الولايات المتحدة لن تتراجع عن إعلانها، ربما كان من فوائد مشروع القرار الذي قدمته تركيا واليمن والذي لاقي إجماعا كبيرا، هو أنه يفضح هذه النفسية المضطربة .

ومن بين ما قالت ايضا ،أن الاعتقاد السائد في الأوساط الأمريكية أن السماء ستطبق علي الأرض، ولكن لم يحصل شيء إذ مر الخميس والجمعة والسبت والأحد ولا تزال السماء في مكانها ولم تسقط، أما أخطر ما تفوهت به علي الإطلاق، فهو ما جاء علي لسانها في أبريل الماضي أمام مؤتمر لجنة الشؤون العامة الأمريكية والإسرائيلية (ايباك)، الذي قدم فيه المشرف علي الاجتماع المندوبة الأمريكية بالقول: إن الأمم المتحدة هي واحدة من الأماكن القليلة في العالم التي تتعرض فيها إسرائيل لهجوم مستمر وغير عادل. وأقدم لكم هذه السيدة التي ستغير هذا الوضع وهي مصممة علي ذلك، فقالت بعد أن وضحت ما تقوم به من اجل الدفاع عن مصالح إسرائيل في الأمم المتحدة: أنا ارتدي حذاء ذا كعب عال ليس من اجل الموضة، ولكن لركل أي شخص يوجه انتقادا لإسرائيل !، وهذا الكلام لا يصدر فيما أتصور، إلا عن نفسية مضطربة وغير متزنة ،وهي من ثم تحاول بهذه العبارات التي جمعت فيها بين

التراجيديا الهندية والاكشن الأمريكي أن تظهر شيئا من الغطرسة الأمريكية ،ولا استبعد شخصيا أن تصرح "نيمراتا" أو "نكي هالي" المرة القادمة في الأمم المتحدة ذاتها ،أنها لن تكتفي بركل أي شخص يوجه انتقادا لإسرائيل بل إنها ستعضه بأسنانها وتعبث في وجهه بأظافرها !

عن الحروب الموجهة

الأسباب والعوامل التي تدعو الوحدات السياسية وتجبرها لخوض غمار الحروب، قد تكون عوامل ومتغيرات سياسية أو اقتصادية أو أيدلوجية أو أطماعا توسعية أو مزيجا من ذلك كله، وهي تختلف باختلاف المكان والزمان وبحسب المستجدات والأحداث المتغيرة، بعبارة أخرى فإن الواقع يفرض على الوحدات السياسية الدخول بالضرورة في الحروب.

في ذات المعنى يعتقد "مورجانثو" أن التطلع إلى السلطان من جانب دول عدة تسعى كل واحدة منها إما إلى الحفاظ على الوضع القائم أو إلى الإطاحة به بحكم الضرورة، يؤدي إلى صورة أو تشكيلة تسمى بتوازن القوى، وإلى سياسات تهدف إلى الحفاظ عليه.

مع ذلك فان الوحدات السياسية تتبع عدة سياسات أو استراتيجيات للحفاظ على القوة أو زيادتها وتعظيمها، لما للقوة من أهمية قصوى في منازلة الخصوم، هذا إذا لم تكن السبب الرئيس في وجودها وبقائها.

من هذه السياسات أنه إذا حاربت الدولة خصومها ومنافسيها بغرض تعظيم القوة، فإن الطرف الآخر يفترض أن يكون أقل منها قوة ولديه من الثروات والموارد الطبيعية الضخمة ما يغري الطرف الأول بالدخول في الحرب، وتكون المحصلة هي الاستحواذ على تلك المصالح والموارد الطبيعية بما يزيد من ثروة الدولة، ومن ثم تعظيم القوة (الثروة هي أهم مكون للدولة في بناء قوتها سواء خاضت الحروب للحفاظ على القوة أو لتعظيمها وزيادتها لأن القوة الاقتصادية هي أساس القوة العسكرية. بقاء الدولة والنمو الاقتصادي هما وجهان لعملة واحدة كما ذهب إلى ذلك "فيبر" وكما نحى "ابن خلدون" في مقدمته).

أما كون الدولة المنافسة في نفس حجم القوة، وسواء لديها ثروات وموارد طبيعية أم ليس لديها، فإن دخول الحرب هنا إنما يكون للحفاظ فقط على مستوى القوة لا لزيادتها، ولا تحارب في هذه الحالة إلا لتثبيت بقاءها ووجودها.

السياسات الأخرى تتمثل في أن تنأى الدولة بنفسها عن الحرب، ويكون هدفها في هذه الحالة هو الحفاظ على القوة، يتضح ذلك في سياسة الاسترضاء أو الوقوف على

الحياد، أو مسايرة الدول العظمى وعدم مشاكستها، أو تمرير مسئولية الحرب إلى آخرين (الحروب بالوكالة أو الحروب الموجهة) أو دعم الحروب الاستنزافية بين الدول المنافسة، أو التحريض وإيقاد الفتن أو الابتزاز المادي، كل هذه السياسات الغرض فيها هو الحفاظ على قوة الدولة.

وعندما يكون هدف الدولة هو الحفاظ على القوة في الوضع الراهن، فإنها تستخدم سياسة التحريض والاستنزاف وتمرير المسئولية للآخرين، ومن ثم فإنها تقوم بالتحريض بين دولتين تقفان حجر عثرة أمامها ،وتدخل الاثنين معا في موجة حروب طويلة الأمد بهدف إفقارهما وتدميرهما معا وخلو الجو (إن جاز هذا التعبير) للدولة المحرضة. ومن اجل انجاز تمرير المسئولية للآخرين وتحويل عبء الدخول في الحرب لدولة أخرى، بما ينطوي عليه دخول الحرب من أعباء مالية واقتصادية ضخمة تؤثر تأثيرا بالغا في ميزانيتها فإن الدولة المحرضة تتصرف ببراءة كاملة مع الدولة المنافسة فضلا عن إقامة علاقات دبلوماسية جيدة معها في ظاهر الأمر، شأنها في ذلك شأن كل علاقتها مع الدول الأخرى وتدفع الدولة التي ستخوض غمار الحرب إنابة عنها من غير أن تشعر الأخيرة بأنها

مدفوعة للحرب. هناك فرضيتين إما أن تنجح الدولة (ب) في الحرب على الدولة (أ) المنافسة والخصم الرئيس، وإما أن تهزم هزيمة نكراء. نجاح الدولة (ب) في الحرب وتحقيق نصر كاسح على(أ) هو مطلب الدولة الممررة للمسئولية، أما إذا تضخمت قوة الدولة (ب) بعد هذا الانتصار الكاسح فربما يكون هذا في حد ذاته قلقا جديدا للدولة الممررة إذ أنها تكون في واقع الأمر أمام قوة جديدة أو خصم جديد بما يشبه انقلاب السحر على الساحر، وإذا فشلت الدولة (ب) في الحرب على الدولة (أ) فسوف تبدو الدولة الممررة أمام المجتمع الدولي كأن لم تفعل شيئا رغم أنها في الخفاء بذلت الغالي والنفيس، لذلك فهي تحرص على أن تكون أسباب الحرب أسباب منطقية وعادلة، يستحيل التنازل فيها مثل مشاكل الحدود، أو السيادة أو أي سبب آخر يبدو منطقيا ولا يقبل التفاوض فيه ،على سبيل المثال في أعقاب الثورة الفرنسية عام 1789 كانت محاولات روسيا آنذاك لإغراء النمسا وبروسيا لبدء الحرب مع فرنسا، هي بهدف توسيع قوة روسيا في أوروبا الوسطى . الزعيمة "كاثرين" قالت وقتها: أفكر جديا في تأليب قادة فيينا وبرلين على فرنسا.. ثمة أسباب لا أستطيع التحدث عنها، أريد أن أحرضهم على ذلك لكي تصبح

يداي طليقتين فلدي أعمال كثيرة لم تكتمل ولا بد أن ينشغلوا بعيدا عن طريقي.

ربما تنطبق سياسة التحريض التي تستنزف كلا الدولتين بما تكون محصلته خسائر هائلة في الأرواح والممتلكات وبنية الدولة الاقتصادية، خاصة إذا كانت الضربات الاستباقية والاستراتيجية تستهدف المكون الاقتصادي في مفاصل الدولة ، ربما تنطبق على كثير من الحروب التي اندلعت بين دول المنطقة شمالها وجنوبها، شرقها وغربها، بل إنها ربما تنطبق حتى داخل حدود الدولة الواحدة التي تندلع فيها الحروب الداخلية. إذا أرجعنا البصر مرتين فإن الأمثلة أكثر من أن تحصى.

المحتويات